

شَرَبِل دَاغَر  
الْمَجْمُوعَاتُ الشَّعْرِيَّةُ  
(١٩٨١ - ٢٠١٦)

الإخراج الفني / نجاح مصطفى بدر

---

# شَرِبِلِ دَاغِرِ

المَجْمُوعَاتُ الشَّعْرِيَّةُ

(١٩٨١ - ٢٠١٦)

المَجْلَدُ الثَّانِي



## إشارة خاصّة بطبعة الكتاب

يشمل هذا الكتاب، بمجلدَيْهِ، المجموعات الشعرية للشاعر اللبناني شربل داغر، أي مجموعاته الشعرية الصادرة بين العام ١٩٨١ والعام ٢٠١٦؛ وهي المجموعات التالية: «فُتات البَيَاض»، «تَخْتُ شَرْقِيٌّ»، «حَاطِبُ لَيْلٍ»، «إِعْرَابًا لَشَكْلٍ»، «لا تبحث عن معنى لعلّه يلقاك»، «ترانزيت»، «القصيدة لمن يشتهيها»، «على طرف لساني»، و«دُمَى فَاجِرَة». ولا يشمل العمل الشعري- الفني: «رشم» (٢٠٠٠). كما ضمّ الكتاب، في مجلده الأول، قصيدة داغر «الاحترافية» الأولى، التي نشرها في الملحق الأدبي لجريدة «النهار» اللبنانية، في صيف العام ١٩٧١، والتي ما نُشِرَتْ في السابق في أيّ من مجموعاته الشعرية. ووجِبَ التنبيه إلى أن قصيدة «مواطن بالوكالة»، في المجموعة الأولى، نُشِرَتْ في مجلة «مواقف» اللبنانية (عدد ١٧ / ١٨ - السنة الثالثة، أيلول- كانون الأول ١٩٧١)، وقصيدة «جسر يَبْتَلُّ من هناك.. يشتعل من هنا»، في المجموعة الأولى، نُشِرَتْ في مجلة «مواقف» أيضًا (عدد ٢٤ / ٢٥ - تشرين الثاني ١٩٧٢ - شباط ١٩٧٣).

إن مجموع القصائد المنشورة في مجموعتيّ داغر: «فُتات البَيَاض» و«تخت شرقيّ» تُشكّل شِعْرَهُ الأوّل؛ إذ تغطّي مراحل مختلفة من إنتاجه الشعري، بين العام ١٩٧١ والعام ٢٠٠٠: ففي الكتاب الأول قصائد مختلفة تعود إلى سنوات السبعينيات، وفي الكتاب الثاني قصائد تعود إلى الثمانينيات. وتمّ نشر المجموعات والقصائد كما وردت في طبعاتها الأولى من دون أي تعديل.

تبقى الإشارة إلى أنه جرى، في هذا الكتاب، إسقاط جميع النصوص النثرية الموازية للقصائد، والتي نُشِرَتْ في أكثر من مجموعة لداغر، مكتفيًا بنشر القصائد وحدها، ومن دون غيرها.



# ترانزيت

دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٩





## إلى سميع قصير، في ضحكته المقيمة

«حَدَّثَنِي الْجَاحِظُ قَالَ: «وَقَفْتُ أَنَا وَأَبُو حَرْبٍ عَلَى قَاصٍّ، فَأَرَدْتُ الْوَلَعَ بِهِ، فَقُلْتُ لِمَنْ حَوْلَهُ: «إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ لَا يُحِبُّ الشُّهْرَةَ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ»، فَتَفَرَّقُوا، فَقَالَ لِي: «حَسْبُكَ اللَّهُ، إِذَا لَمْ يَرَ الصَّيَّادُ طَيْرًا كَيْفَ يَمْدُ شَبَكَتَهُ»».

(الجاحظ، عن ابن عساکر في «كتاب الجاحظ» لشارل بيل).

«وإِذَا أَنْتَ مِثْلُ الصَّبِيِّ الَّذِي يَنْظُرُ لَيْلًا إِلَى لَعَبِ الْمُشْعَبِ الَّذِي يُخْرِجُ صُورًا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، تَرْقُصُ، وَتَزَعِقُ، وَتَقُومُ، وَتَقْعُدُ، وَهِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ خَرَقٍ لَا تَتَحَرَّكُ بِأَنْفُسِهَا، وَإِذَا تَحَرَّكَتْ خِيوطُ شَعْرِيَّةٍ دَقِيقَةٍ، لَا تَظْهَرُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، وَرُؤُوسُهَا فِي يَدِ الْمُشْعَبِ، وَهُوَ مُحْتَجِبٌ عَنْ أَنْظَارِ الصَّبِيَّانِ، فَيَفْرَحُونَ، وَيَتَعَجَّبُونَ لِظَنِّهِمْ أَنَّ تِلْكَ الْخَرَقَ تَرْقُصُ، وَتَلْعَبُ، وَتَقُومُ، وَتَقْعُدُ. وَأَمَّا الْعُقْلَاءُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ تَحْرِيكٌ، وَلَيْسَ بِتَحَرُّكٍ، وَلَكِنْ رُبَّمَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ تَفْصِيلُهُ، وَالَّذِي يَعْلَمُ بَعْضَ تَفْصِيلِهِ لَا يَعْلَمُهُ كَمَا يَعْلَمُهُ الْمُشْعَبُ الَّذِي الْأَمْرُ إِلَيْهِ وَالْجَاذِبِيَّةُ بِيَدِهِ».

(الغزالي، «إحياء علوم الدين»).

«إِذَا يُسْتَمْعَى مِنْ هَوْلَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْفُرْجَةِ».

(ابن الجوزي، «كتاب القصص والمذكرين»).

«لَيْسَتْ الْحَقَائِقُ سِوَى أَوْهَامٍ نَسِينَا أَنَّهَا كَذَلِكَ، وَاسْتِعَارَاتٍ مُسْتَعْمَلَةٌ فَقَدَتْ قُوَّتَهَا الْمَحْسُوسَةَ، وَقَطَعَ نَقْدِيَّةٌ فَقَدَتْ طَابِعَهَا، وَبَاتَتْ مَحَلَّ تَقْدِيرٍ مِنْ جَدِيدٍ، لَا يَوْصِفُهَا قِطْعًا نَقْدِيَّةً، وَإِنَّمَا يَوْصِفُهَا مِنَ الْمُعْدِنِ».

(نيتشه، «كتاب الفيلسوف»).

«بَيْنَهُمَا، بَيْنَ الْفِكْرِ وَالشُّعْرِ، تَسْوَدُ أُلْفَةٌ خَافِيَةٌ فِي الْأَعْمَاقِ؛ لِأَنَّهُمَا مَعًا يَعْمَلَانِ فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ، وَيَتَفَانِيَانِ مِنْ أَجْلِهَا. بَيْنَهُمَا تَسْتَمِرُّ، مَعَ ذَلِكَ، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، هُوَّةٌ عَمِيقَةٌ؛ لِأَنَّهُمَا يَبْقَيَانِ فَوْقَ الْقِمَمِ الْأَكْثَرِ تَبَاعُدًا».

(هايدجر، «ما الفلسفة؟»).

«التَّعْبِيرُ الْحَيَوِيُّ هُوَ الَّذِي يَقُولُ التَّجَرِبَةُ الْحَيَوِيَّةُ... أَلَا يَكُونُ الشَّاعِرُ مَنْ يَرَى الْإِنْدِفَاعَةَ الْقَوِيَّةَ مِثْلَ فِعْلٍ، وَالْفِعْلَ مِثْلَ إِنْدِفَاعَةٍ قَوِيَّةٍ، وَمَنْ يَرَى مُكْتَمَلًا وَتَامًا مَا كَانَ فِي رَسْمِهِ الْأَوَّلِ وَمَا كَانَ قَبْدَ التَّحْدِيدِ، وَمَنْ يَرَى فِي كُلِّ شَكْلٍ مُنْتَهَى وَعَدًا بِتَجْدُدٍ؟».

(بول ريكور، «الاستِعَارَةُ الْحَيَوِيَّةُ»).

«- أَيْنَ تَقِفُ؟

... -

- لِمَ لَا تُجِيبُ!؟

أَخْشَى أَنْ تَظَنَّ بِأَنِّي خَرَجْتُ مَعَهُمْ.

... -

- لَعَلَّكَ نَسِيتَ: بَقِيَ أَحَدُهُمْ فِي الْعَتَمَةِ.

... -

- لَكَ أَنْ تَسْمَعَنِي، أَنْ تَقِفَ إِزَائِي، عَلَى الْأَقْلُ... وَلَوْ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ.  
(...)

- لِمَ لَا تُجِيبُ؟  
أَيْنَ تَقِفُ؟

- فِيمَا يَخُصُّنِي، أَنَا: خَرَجْتُ مِنَ الْكِتَابِ.  
وَذَاكَ الَّذِي وَجَّهْتُ إِلَيْهِ الْحَدِيثَ؟  
- كُنْتُ تُحَادِثُ غَيْرِي».  
(شربل داغر، «ترانزيت»).

صَوْتُ مُنْفَرِدٍ (في العَتَمَةِ): ما أَنْ يَسْتَرْخِي اللَّيْلُ

أَسْتَعْذِبُ الْكَلَامَ،

وما أَنْ أُنَدَسَ بَيْنَ السَّاهِرِينَ،

أَسْمَعُ الْخِيَالَاتِ التَّائِهَةَ،

وَأُحَلِّقُ مَعَ اسْتِعَارَاتِ الْغُبَارِ

لَأُحْصِيَ الْأَنْفَاسَ قَبْلَ الْحَرَكَاتِ، وَالظُّنُونَ قَبْلَ الْأَفْعَالِ...

لِلَّيْلَةِ كَهَذِهِ،

لِتُفَاحَةٍ تَزْهُو فِي عَتَمَةِ عَصِيرِهَا،

أَسَابِقُ الْأَخْتِلَاجَاتِ إِلَى تَمَتُّمَاتِهَا،

وَاللَّصَّ إِلَى غَنِيمَتِهِ...

أَسْتَرْخِي، اللَّيْلَةَ، مَا أَنْ يَشْرَعَ الْلاهِثُونَ فِي تَلَقُّفِ نَثْرِ النُّجُومِ.

لِكُلِّ لَيْلَةٍ طَاوَلَتْهَا الْمُبْسُوطَةُ،

وخيالاتُ مَنْ يَتِمَايَلُونَ بَيْنَ التَّمَتُّمَاتِ وَالظُّلَالِ،

وَلِي هَذَا الْمَدَى الَّذِي يَتَسَلَّلُ بَيْنَ الْحَرْفِ وَالْحَرَكَةِ،

بَيْنَ الصُّدْفَةِ وَالْمَكِيدَةِ.

(قَامَةً بِلِبَاسٍ أبيضَ، تَنْتَعِلُ حِذَاءً أَسْوَدَ، مِنْ دُونَ أَنْ يَتَّضِحَ مَا إِذَا كَانَتْ تَعُودُ لِامْرَأَةٍ  
أَوْ لِرَجُلٍ: تَتَمَشَّى بِتَوَدَّةٍ، كَمَا لَوْ أَنَّهَا تَرُودُ مَكَانًا لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، مِنْ دُونَ أَنْ تَتَعَرَّفَ  
فِيهِ عَلَى مَا يَخْفَفُ مِنْ مَشْيِهَا الْحَذَرَةَ... إِلَى أَنْ تَخْتَفِيَ).

صوت منفرد (متابعًا، بعد خروجها): لليلةٍ يَلْتَمُّ فيها حَوَلي

مَنْ لَمْ أَدْعُهُمْ إِلَى اجْتِمَاعِ:

بِمَجْرَدِ أَنْ تَنْفَسْتُ وَاكْبُوْنِي،

مُنْشِدًا مَعَ جَوْقَةٍ خَافِيَةٍ خَلْفَ أَصَابِعِ عَازِفِيهَا.

بِمَجْرَدِ أَنْ بَسَطْتُ صَوْتِي

دَبَّتْ أَحْذِيَّتُهُمُ الْغَلِيظَةُ فِي الْمَمَرَاتِ

وَتَحْتَ الْخِيَمِ الضَّوئِيَّةِ...

لليلةٍ كهذه يبكي الغُصْنُ في انتظاراته،

وَيَنْفَرِدُ صَوْتِي،

وإنَّ فِي حَفْلِ ارْتِجَالِي،

أَمَامَ عَيُونِ شَاخِصَةٍ

عَلَى مَا يَعْنِيهَا وَتَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ،

عَلَى مَا يُؤَرِّقُ كِرَاسِيهَا وَتَنْسَاهُ بَعْدَ خُفُوتِ الْمَشْهَدِ؛

لِلَّيْلَةِ كَهَذِهِ أُخْرِجُ

مُضْغِيًّا أَكْثَرَ مِنِّي مُتَكَلِّمًا،

مَنْ دُونَ أَنْ أَظْهَرَ،

مَنْ دُونَ أَنْ أَجْتَمَعَ بِأَحَدٍ:

لَيْسَ لِي أَنْ أَدْعُوَهُمْ إِلَى سَرِيرِ هَيْنٍ؛

لَهُمْ أَنْ يُحِيطُوا بِي مِثْلَ وَشَوَّاتِ الْمَلَائِكَةِ إِذْ تَطِيرُ،

أَنْ يَتَسَلَّقُوا جِبَالَ الشُّدَّةِ قَبْلِي؛

صوت منفرد: لَيْلَتِي هَذِهِ...

القائمة (تتقدّم ذات اللباس الأبيض والحداء الأسود بحذرٍ أقل... لا تجد ما يمكن أن يستوقفها؛ تقول بصوت عالٍ، في نوع من الاحتجاج، وهي تمضي إلى العتمة): وأنا... وأنا... وأنا...

صوت منفرد (مستعيدًا، بعد خروجها، ما سبق أن بدأ به): ليلتي هذه تُنير بنجومها،

المحمولة معها، مثل ريقٍ في تفاحته،

وبريقٍ في سطوره؛

كأنّ تَبَعَتْ البراعمُ قبل الغصون، والملابس قبل الممثلين،

ويستوقف البواباتِ المارة العجولون؛

يجمّدون من دون سبب،

غير الذي يصيبهم بالبله...

(بعد توقّف) بله له أصابعٌ لكي يُصقّ،

وعيونٌ لكي يُشخص؛

له مُحِبُّون حاذقون، يدلفون خفافاً إلى العزلاتِ الرطبة،

وله جنودٌ نشطون،

وصنّاع رقيقون،

لا يميّزون بين ما يفعلون وما يلمسون...

دعوني، الليلة، أنتظرُ من دون أن أقلق،

على أن البوابة -الوحيدة- تستقبلُ فلا تُودّع؛

لأنهم يغيبون من دون أن يختفوا،

ويتناوبون على الكرسيّ عينه من دون بطاقة.

(وقفة)

صوت منفرد : (متابعًا): دَعُونِي أُخْلِ للمترددين...

القائمة : (ما أن تدخل يتوقّف الصّوت المنفرد): أَمَا من أحد؟ أَمَا من أحد؟

(بعد تَوَقُّفٍ) أَمَّا من أَحَدٍ يُحَادِثُنِي؟

(تخرج، وهي تنزع لباسها الأبيض وحذاءها الأسود).

صوت منفرد : (مستعيداً، ومتابعاً): دعوني أُخْلِ للمرتدِّدين فُسْحَاتِهِم،

بما يوافقهم،

وأتركُ الحارسَ من دون حَشِيَّتِهِ،

والسَّارِقُ أيضاً من دون حَشِيَّتِهِ:

أتركهما لمن يشملهما في تَبَاعُدِهِمَا،

من دون أن يرتعدا؛

أتركهما لما يقيم الكلام خفيفاً ووازناً في مَسْرَاهُ،

لَمَّا يشغله في هَوَسِهِ،

ويُنِيرُهُ فيما يحترق...

هو صوتي، وله نَبْرَاتُ اليتيم الباحثِ

عن تَدْيِهَا،

وعن راحة يَدِهَا،

وعن وَشْوَاشِ الطُّيُورِ الصَّابِرَةِ،

وعن مناظرِ الدَّهْشَةِ الْمُتَلَفِّفَةِ على عناصرها؛

هو صَوْتِي لَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ وَجْهِي،

هو نَفْسِي، لكنه لا ينام في بيتٍ، أو قَبْلَ قَافِيَةٍ،

طالما إنه يسبقني،

طالما إنه يحملني إلى سطور الكائنات،

فأكتفي، وأَرْضَى،

بأن حياتي

لن أذوقها

وحدي،

بل مع غيري،

في لَمَعَانِ جُمْلَةٍ، أو قُبْلَةٍ، عند انطباق شَفَتَيْنِ.

(وقفة)

المخـرج (زاعقًا، على ما يبدو من وجهه الذي يُنيره الضوء وحده): لا هذا، ولا هذا،

لا تَلْكَ، ولا اللَوَاتِي،

ولا الذين يتلصصون ويتخاصمون في عَتَمَةٍ،

أو يَلْهَثُونَ قبل الخطوات وخلفها...

يكفي أن آتي بالكُرْسِيِّ (يَمُدُّ يَدَهُ إلى العتمة، ويأتي بكرسيٍّ مكتوب عليه: «المخرج»)،

أن أجلس عليها،

أن أدير ظهري (وهو ما يقوم به)،

أن أرفع يدي اليمنى، أن أسدّد أصبعي...

صـوت (في العتمة، مقاطعًا): لكي تدور دواليب هواء...

صـوت (آخر، في العتمة، مقاطعًا):... أو مطحنة حروف.

المخـرج (غاضبًا، بعد أن وقف): اخرس.

يتنصّت لسماع جواب، من دون أن يأتي. يجلس من جديد).

يكفي أن أرفع سَبَّابَتِي، أصابعي العشرة، مثل أعمدة بنيان، مثل شموعٍ تنير ما

يتراءى خلف ستائرٍ سميكة...

صـوت (في العتمة): وماذا أيضًا؟

المخـرج : يكفي أن أختفي لكي تَرَوْها... لكي تسمعوها.

صـوت (آخر، في العتمة): وماذا بعد؟

المخـرج (مُلتَفِتًا إلى جهة الصوت): وَمَنْ دعاكَ إلى المُشاركة؟

صـوت (في العتمة): أتحرق لرؤية ما تفعله.

المخـرج : أنا لا أفعل؛ أنا أتكلم.



صَوْت (في العتمة): وأنا كذلك. أنت مثلي.  
المخرج : لا. أنا أَتَكَلَّمُ، ولأصواتي مُحَرَّكَات تدور أسرع من دواليب جنون، ولها أجنحة أعلى مما يبلغه طَيْرٌ.

صَوْت (في العتمة): وأنا كذلك، ولكن في العتمة.  
المخرج : اخرس.

صَوْت (في العتمة): إذا شئتُ.

المخرج : لي أن أَتَكَلَّمُ.

صَوْت (في العتمة): إذا شئتُ.

المخرج : وإن أَرَبْتُ كُلَّ شيء؟

صَوْت (في العتمة): أدبٌ في عَتَمَةٍ أعمق.  
(عتمة).

(المساحة مضاءة كُلياً، تعلوها شاشةٌ في الخلفية العالية، ويظهر عليها ما يلي:

برنامج الرحلات الواصلة

الواصلّة من : مَمَرَات الاعتراف الأخير، موعد الوصول: عند خفوت الحركات، الباب: المُؤدّي إلى  
الْفَرَجِ

الواصلّة من : أعالي الشكوك، موعد الوصول: تعرفون بمجرد وصولها- إذا وصلتُ،

الباب : الباب: للذين يأتون من دون تأشيرات سفر

الواصلّة من : القصيدة بمحربي استعارة، موعد الوصول: عند وصول القارئ، الباب: إذ يخرجان  
معاً

الواصلّة من : عتمة الشّفاة المزمومة، موعد الوصول: تأخّر وصولها، الباب: مُقَفِّلُ

الواصلّة من : تَخَتِ الليل، موعد الوصول: عندما تستلقي الشهوة على مؤخرتها،

الباب : إذ يخرج منها تستقبله.

يظهر «البرنامج» فوق شاشة حاسوب مكبرة، ويتمُّ نَقْرُ الحروف فوقها تباعاً؛ ولا

يتم تبديل أي مُعْطًى في «البرنامج» إلا عند حصوله- إذا حصل).

(في العتمة)

صوت : هي بُقْعَةٌ...

صوت (آخر، مقاطعاً): ... لكنها لا تَصْلُحُ للنزهة.

صوت : هي جهة غير معلومة...

صوت (مقاطعاً): ... لكنها باتت معلومة.

صوت : أَهْيَ تَفَاحَةٌ أمْ غُصْنٌ؟

(ينتظر جواباً لا يأتي).

صوت : أَكْرَرُ سؤالي: أَهْيَ تَفَاحَةٌ أمْ غُصْنٌ؟

أَهْيَ زَجَاجَةٌ أمْ الطَّائِلَةُ التي عليها؟

أهناك أحد؟

صوت : دائماً هناك أحد، أو أكثر.

ماذا تريد؟

صوت : أنتظر جواباً؛ فأنا منذ وقت أنادي من دون أن يبادلني أحدُ كلمة!

صوت : لكنك تتكلم؛ ولك أن تنتظر.

صوت : كيف ذلك؟

صوت : لك أن تبحث عنه.

صوت : عَمَّنْ تتكلم؟

(صمت).

(في العتمة).

صوت : لِنَقُلْ إنها شاشة.

صوت : لكنني لا أراها.

صوت : لِنَقُلْ إنها ورقة.

صوت : لكننا في حاشية...

صوت (مقاطعاً): ... بل في كواليس ما لا يُرى، وما يُؤَقَى به إليها؛ ما نسمع جَلَبَتَهُ أحياناً،

على أنها الشاهد الوحيد.

صوت : ألا ترى كلمات؟

صوت : لا. لها ديب، ولها وجهة وحسب؛ لها أطراف تختفي تحت قُبَعَاتِها ما أن تَشْرَبَ من سطور المباعثة.

صوت : أأنت تكتب أم تُوجّه الكلام لي؟

صوت : طبعًا.

صوت : بماذا أجبت؟

صوت : لا يهم!

(بعد توقف) اسع إلى سريرها...

صوت : عمّن تتحدّث؟

صوت (شارحًا): بما أنك تزورها لأول مرة وآخر مرة، ليس مطلوبًا منك أن تحفظ الطريق؛ المهم أن تكون متحفّزًا، ومشغولًا بما تهتمُّ به.

صوت : ألِهَذَا قد أعود على أعقابي في أيّ لحظة؟

صوت : لا، لن تعود أبدًا؛ ستجد سِرًّا مختلفًا.

صوت : (بعد تردد) لا تلتفت، إذن، إلى الوراء...

صوت (مقاطعًا): إذن، لقد مَضَتْ، لقد أقلعت!

صوت : طبعًا.

ضع حزام الأمان.

الملائكة تُحسِّنُ المَشْيَ، لكنها تستطيب الطيران؛ لا تُواكِبُ المتردّدين، ولا النائمين...

امض. امض.

(عتمة).

صوت (عبر المكبر): نداء. نداء. نداء.

نداء إلى مَنْ يُعِنُّ في النظر إلى النافذة المفتوحة إثر غيابٍ وَجْهٍ، وإلى المنديل الذي بَقِيَ وحده فوق الأريكة...

نداء إلى الصامتين في خلواتهم، الذين تَضَجُّ بِهِمْ خلواتهم، من دون أن يَقْوُوا على الخروج إلى الأمسيات من دون «توجيهات»...  
نداء إلى مَنْ لا يسمعون، ولا يُبالون...  
نداء إلى القهقهة العالية حتى يتلقَّفها الضاحكون في ذقونهم...  
نداء إلى اللمتَمَهِّلِينَ في حركاتهم، إلى مَنْ يحسبون البُكاء على فقيْدٍ بكاءً على فقيْد...  
(وقفة).

نداء إلى مَنْ يعنيه الأمر: المنديل الذي بَقِيَ وحده فوق الأريكة بقي صامتاً، كَتُومًا، بل أحرص؛ ولا تكفي التجاعيدُ التي فيه، ولا مُداعباته للهواء العتيق، لكي ينهمر البكاء الذي في غَيِّمِ الهواء...  
نداء أخير، نداء أخير، نداء أخير: القصيدة حُزمت حَقَائِبُهَا الخفيفة.  
(عتمة مديدة)

(يدخلون تبعاً بالبستهم المختلفة.

يقفون في صفٍّ. يصل كل واحد منهم أمام حائط أبيض، أمام مُشَجَّبٍ لثياب زرقاء؛ يسحب ثوبًا، تَبَعًا لمقاساته، ويرتديه بعد أن يغطِّي رأسه بِقُلَنسُوءَةٍ موصولة بالثوب؛ ثم ينزع الحذاء، ويضعه في خزانة مناسبة في الحائط، وينتعل حذاء أحمر، موجودًا في الخزانة، موحَّدَ الشكل، ومُنَاسِبًا لما قبل النوم.

ما أن ينتهي الداخل من تبديل هيئته، ينتقل إلى الجهة الثانية من الحائط، حيث جلس أحدهم، بشبابه الاعتيادية، على كرسي «المخرج»، مثلما هو مكتوب عليه، واضعاً فوق طاولة مجموعة أوراق وعلبة مفتوحة.

يتقدّم الداخلون تبعاً إلى الطاولة، ويضعون في العلبة: جواز سفر، أو علّاقة مفاتيح، أو هاتفاً نقّالاً، أو ساعة يد وغيرها؛ ثم يُسلّم الجالس كلّ داخلٍ مجموعةً من الأوراق، ويطلب منه أن يوفّع على ورقة استلام، ويدعوه للوقوف في صفٍّ جديد، وإلى الانتظار.

فيما ينتظر هذا وذاك، يَشْرَعُ في قراءة الأوراق التي تسَلَّمَهَا، هازًا رأسه في نوع من التلاوة الصامتة).

(عتمة).

(الحائط الأبيض تعلوه شاشة بيضاء من دون كلام أو صور، ومتكلمان أمام الحائط).

**متكلم :** سيكون الأمر مُسَلِّيًا من دون شك.

هذا ما تقول.

أنا احتفظت بآلة تسجيل موسيقي في جيبى الداخلي.

متكلم : وأنا بساعة يد.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأن لي ارتباطاتٍ أخرى.

(وقفة).

متكلم (دالاً على ثوبه): لعلنا دخلنا إلى سلك الرهبة...

متكلم (مقاطعاً): ... أو إلى غرفة عمليات، يحتاج الداخل إليها إلى تعقيم ثيابه، خشية إدخال جسيمات ضارة.

متكلم (دالاً على قلنسوته): لعلنا سنجري تمارين تفيد في حُسن ارتداء الحجاب.

متكلم : لا أظن.

ألا ترى أن ثيابنا موحدة، بما لا يُظهر أشكال أجسامنا بالضرورة؟  
وإن تكلمنا؟

قد يُبدّلون صوتنا، مثلما بدّلوا ثيابنا... ألم ترّ الآلات العديدة الواقعة خلف هذا الحائط؟

ألا ترى أن ليس هناك ما يدعو إلى التسلية، بل إلى الحيلة ربما؟

صوت (من العتمة): لا، هذا مدعاة للسكوت.

صوت (من العتمة، بشكل زاجرٍ): سكوت. سكوت. سكوت.  
(عتمة).

(يتمشيان بموازاة الحائط).

متكلم : وأنت أين تقفُ؟

متكلم : لا أقف، بل أمعن في التذمّر.

متكلم : أما تعبّت من المناكفة؟

متكلم : هل التقينا في ما سَبَقَ؟  
متكلم : أَيْكُفِيكَ هذا؟  
متكلم : لا أخون نفسي على الأقل.  
متكلم : من كَلَّفَكَ بهذا كله؟  
(متابعًا) تتحدّث عن أمانتك، وأنت لا تتوانى عن تأنيبي مثل شرطي سَيِّرٍ أو قاضٍ  
ناقم!

متكلم : وأنت أين تقف؟  
متكلم : أَنْطُ وَحَسْبُ، أو أمشي بالطول.  
متكلم : ...  
متكلم : لِمَ لا تقول شيئًا؟  
متكلم (وهو يهمهم بالمغادرة): لأنك لا تقول شيئًا.  
متكلم : أرجوك، لا تتركني وحدي.  
متكلم : ما أغضبك؟  
متكلم : مَسْعَاكَ أَعْرَجُ... (مستدركًا) لا، مَسْعَاكَ من دون قدمين.  
متكلم : أهو درس في الأدب؟  
متكلم : لا، في المشي.  
صوت (في العتمة): لا، أنا لا أمشي، بل أتقدّم... أتقدّم كما أعود على خطوي.  
كُنَّا اثنين، ها نحن ثلاثة.  
(فيما يغادر) كُنَّا اثنين نتكلّم: يتقدّم واحد، ويتنزه آخر. ها أصبحنا ثلاثة: الثالث  
فيما يتكلّم فقط.

صوت (في العتمة): لا، أنتنزه معكم، ولكن في مَمَرَات خفيفة.  
متكلم (الوحيد، الباقي): أهذه حديقة أم غابة؟  
صوت (في العتمة): ألم تر مرةً إلى «نقل مباشر» على الشاشة؟  
متكلم : بلى...

صوت (في العتمة، مقاطعاً): ... لا من موقع المتفرج، بل في المكان الذي يتم فيه التصوير؟  
متكلم : بلى.

صوت (في العتمة): ألا ترى أن ما يجري في المشهد، على الأرض، يختلف عما هي عليه  
الصورة المنقولة؟

متكلم : أهي صورة مُزوّرة أم مُحوّرة؟

متكلم : (مستدركا) أتلأحظ أن الفارق بسيط بين «مُزوّرة» و«مُحوّرة»؟

صوت ...

متكلم : ما لك؟ ألا زلت هنا؟

صوت (في العتمة): أجل.

متكلم : لم سكت؟

صوت (في العتمة): لا أحسن الكلام إلا في موضوع واحد.

متكلم : كنت تتحدّث عن الصورة المنقولة.

صوت (في العتمة): أعرف ذلك، لا زلت هناك. أنتظر فقط أن تعود فتلتحق بي.

متكلم : ها أنا عدت... عذراً على المقاطعة.

صوت (في العتمة): حسناً، حسناً.

تري إلى الصورة المنقولة في إطار، أما على الأرض فأنت تراها، هي وما يحيط بها،

من تقنيين وعناصر خارجية.

متكلم : أضعتني... ماذا تريد أن تقول؟

صوت : ...

متكلم : (ينتظر، فلا يأتي الجواب على سؤاله): من أنت؟ من تكون؟

صوت (في العتمة): أنفّرَج على التقنيين، وعلى الصورة، وعليك وأنت تتفرّج عليها.

هكذا إذن!

صوت : ...

متكلم : لم لا ترد؟ أين تقف لتشاهد هذا كله؟



صوت (في العتمة): لي أن أقول جملة وحيدة وأخيرة.

متكلم : كيف ذلك؟

صوت (في العتمة): أما انتبهت إلى الهاتف المُعطل الذي يحتفظ برسالة أخيرة إلى مُستَعْمِلِه، بعد تعطله؟

متكلم : ما تكون الرسالة؟

صوت صوت (في العتمة): عفوًا، عزيزي المتكلم، لقد انقطع كلامي... عفوًا، عزيزي المتكلم، لقد انقطع كلامي... عفوًا، عزيزي المتكلم، لقد انقطع كلامي... عفوًا، عزيزي المتكلم، لقد انقطع كلامي... (عتمة).

(أمام الحائط حاجز معدني، كتب عليه «الحدود» بأكثر من لغة).

متكلم (على عَجَلٍ، مستوقفاً أحد الواقفين): أرجوك، أرجوك: من أين بوابة الخروج؟

متكلم : ألا يَسْعَكَ الاستماع إلى ما قاله أحد المسافرين قبل قليل؟

متكلم : بلى.

متكلم : ماذا لو تجلس؟

متكلم : لو تأتيني بكرسيٍّ.

متكلم : مَنْ قال لك إن الحكاية طويلة؟

متكلم : ماذا قال؟

متكلم : أمسكَ بقميصي، وشَهَرَ في وجهي صورةً مُكَبَّرَةً، ثم قال: «ألسَتِ أنتِ القائِلَ بأن الكلامَ أَخْفَى من أن يظهر؟»

متكلم : ماذا قلت؟

متكلم : لا شيء.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأنني لم أفهم المقصود من كلامه. أنتِ، هل فهمت؟

متكلم : ماذا قال؟

متكلم : ألا تُصْغِي؟

متكلم : نعم، لكنني كنت أتوقَّع حكاية.

متكلم : أقلتُ لك بأنني سأروي عليك حكاية؟

متكلم (يمسكه بقميصه): ماذا قال لك المُسافر؟

متكلم قال لي: «ألست أنت القائل بأن الكلام أخفى من أن يظهر؟»

متكلم : ماذا تقول؟ ماذا قلتَ؟

متكلم : أين بَوَابَةُ الخروج؟

متكلم : لك أن تبقى قَيَدَ التنفُّس.

أتعرف هُوِيَّةَ هذا المسافر؟

متكلم : لماذا؟

متكلم : أبقى سرّه معه إذ مَضَى.

متكلم : وما يُزْعِجُكَ في هذا؟

متكلم : أن سرّه باتَ سرِّي، وأنه مضى من دوني.

متكلم : أهذا يُقْلِقُكَ؟

متكلم : طبعاً؛ لأنني بتُّ أهجس به، وأبحث عنه، وأنتظر جواباً لا أملك منه سوى سؤاله.

سألتُ عنه بائع الجرائد فما أحسن الجواب؛ وبائعة الزهور نصحتني بالتوجّه إلى

«مكتب الأشياء المفقودة»؛ والشُّرْطِيُّ دعاني إلى وصف ملامح المُسافر...

متكلم (مقاطعا): ... وأنتَ ماذا فعلت؟

متكلم : رحْتُ أبحث عن بَوَابَةِ الخروج...

أين بَوَابَةُ الخروج؟

متكلم : هل ينتظرك أحد؟

متكلم : لا أعرف. ما أعرف هو أنني أفرح عادةً حين أخرج فأرى وجوهاً عديدة من دون

أن يرفع أحداً أمام وجهي بطاقةً باسمي، أو أن يناديني أحداً باسمي... أمشي مُلْتَهِيًا

بحقيبتني، غير آبهٍ بالنظرات الفاحصة التي تتعقَّبُني.

(بعد توقُّف) حينها، أتقدَّم من دون خشية من أحد، أو ملاحقة، أو مناداة. أتقدَّم  
مثل نجم، من دون أن أبالي بهم.  
لهم أن يفحصوني، وليس لي أن أتبع أحداً.  
هكذا أمشي مُغْتَبِطاً في هواء...

متكلم : (مقاطعةً) ... فتنبسط لخطواتك الدرجات التي تناسبها، وفق مشيتك.

متكلم : كيف عرفت؟

متكلم : أما قلت لك ما قاله لي مسافر آخر؟

متكلم : ماذا قال؟

متكلم : قال لي: «الخطوة والدرب - إذ يلتقيان - مثل العصا للكمان: يصمتان، ولا يجدان  
حاجة لأي كلام.»

متكلم : (مغادراً): شكرًا.

متكلم : وبوابة الخروج؟

متكلم : لا حاجة لي بها بعد هذا.

متكلم : ماذا ستفعل؟

متكلم : ألا يكفي أنني وصلت؟!

(عتمة).

المتكلم : (نراه من خلف، يستند إلى مكتب، موضوع إلى جانب الحاجز المعدني، «الحدود»،  
المكتوب بأكثر من لغة، وهو «السائل»؛ فيما نرى وجوه الوافدين المصطفين أمامه،  
أمام المكتب): جهّزوا أوراقكم.

أحد الوافقين (الأول في الصف): أهـي «الحدود»؟

السائل : ألا تُحسِّن القراءة؟

أحد الوافقين : ليس كل مسافر قارئاً بالضرورة.

السائل : هنا، هنا، بلى.

كفى أسئلة! أنا من يسأل، هنا.

واقف : (السابق): لماذا تستوقفني؟

السائل : ها أنت تعود فتسألني!

(بلهجة آمرة) عُدْ إلى آخر الصف.

الواقفون : (معا): عُدْ إلى آخر الصف.

(يمثل الواقف الأول للأمر، ويعود إلى آخر الصف).

(الواقف الجديد يرتب في إيجاد أوراقه، وفي ترتيبها، قبل عرضها على السائل).

السائل : من أين أتيت؟

الواقف : ركبت أول طائرة... مجرد توافر مقعد خالٍ.

السائل : هل تريد البقاء؟ ... لَكُمْ من الوقت؟

الواقف : أريد أن أصل.

السائل : وبعد؟

الواقف : أن أمضي قُدَّماً.

السائل : أَمَعَكَ ما يكفي لرحلة طويلة كهذه؟

الواقف : معي استعارة واحدة، وعدة تشابيه، وحذاء من ميول.

السائل : إلى أين تريد أن تمضي؟

الواقف : إلى غابة... (مستدرِّكاً، مُصَحِّحاً) لا، لا، إلى حديقة.

واقف : (في الصف): أهو استجواب؟

السائل : طبعاً.

واقف : (آخر، في الصف): أتيتُ وفي حقيبتني نفاذ صبري: أَيْكْفِينِي؟

السائل : عُدْ إلى آخر الصف.

واقف : (نفسه، من الصف): أما قلتُ لك إنه نفذ صبري؟

السائل : أنا الذي يأمر ويُجيز.

واقف : (الأول في الصف): أيمكنني الدخول؟

السائل : عليك أن تنتبه إلى أنهم قد يلفظونك من جديد ما أن تظهر أوراقك البيضاء.

واقف : (نفسه): فهمتُ.

السائل : هل كتبتَ جملة الدخول؟

واقف : (نفسه): نعم.

السائل : ما هي؟

(بصوت عال) قلها بصوت عال.

واقف : (نفسه، يقرأ في ورقة، بعد أن سحبها من جيبه): «أمشي من دون خطوات، وأصل من دون أن أفارق مكاني».

السائل : لماذا تريد أن تصل، إذن؟

واقف : (نفسه): لأنني أريد ملازمة الهواء بنفسي.

السائل : أما من سبب آخر؟

واقف : (نفسه): لأنني لا أريد، بعد هذه اللحظة، أن أمصص شفتها السفلى بمجرد أن تزهر في خيالي.

السائل : أهذا من العربية؟

واقف : (نفسه): هذا من لساني.

السائل : لقد وصلت.

(يغادر الواقف الصف، ولا يلبث أن يختفي).

السائل : السائل (موجهًا حديثه إلى واقف جديد): وأنت هل جهزتَ جملة الدخول؟

واقف : معي ألفاظ مبعثرة: وقتٌ، غزالٌ، نامٌ، غَيَمَةٌ، ترانزيت، اسْتَرَخَى، أَرْجُوحةٌ... ماذا تقول؟

السائل : هذه خُرْدَةٌ.

واقف : لكنها صالحة.

السائل : هذا ما تظنُّ.

تنقلها كما لو أنها أكياس في دكان، لكنها -ما أن تنقلها- تبور ويصيبها السُّوس.

عُدْ إلى آخر الصف.

(ينتقل الواقف إلى الخلف).

واقفون (معاً): متى نصل؟

السائل (وهو يودعهم): تعبتُ. هذا يكفي.

واقف : (من بينهم): ألا يَسْعُنِي الانتظار؟

السائل : لا، البطاقة تصلح لرحلة واحدة فقط.

واقف : (نفسه، بعد أن شَهَر ورقة من جيبه): ها هي.

السائل : (يستردها منه؛ يمزّقها): أين هي؟

واقف : (نفسه): لقد أتلّفتها... (مشدداً) وعلى مرأى من الجميع.

السائل : ألا ترى الكاتب كيف يُتْلَف أوراقه تباعاً؟

واقف : (نفسه): أأنتَ الكاتب؟ أنتَ استعارة؟

السائل : ربما، لكنها لا تفيد.

واقف : (نفسه): لماذا؟

السائل : لأنك لم تصل بَعْدُ. الوصول لا يحتاج إلى مُعَامَلَات، ولا إلى تأشيرة... (باحثاً عن

جملته التالية) مثل قطار يصل إلى محطته الأخيرة، وإن لم يصفُر أبداً.

واقف : (نفسه): لكنك أمرتَ ونهيتَ وأجزتَ واستجوبتَ و... و... وغيره.

السائل : لا، كان ذلك امتحاناً شفوياً.

المخرج : (داخلاً، صارخاً): يكفي. يكفي.

هذا هُراء.

السائل : لا، كان فقط مَدْعَاةً لِلْمَلَلِ.

أنت أذكي مما ظننْتُ.

يكفي. يكفي.

(وقفة).

(ينهمك السائل والواقفون في تغيير المشهد: يتحوّل إلى ما يشبه المقهى، من دون

فناجين أو مناضد؛ ويتوزعون كما يلي: جالس وحيد، جالسان وثلاثة).

الجالسان (معًا): نحن اثنان على أننا واحد.

أحدهم : هو يجلس على كرسي، وأنا استريح...

أحدهما: (الآخر، مقاطعًا): ... وهو يصمت ما أن أشرع في حديث.

(صمت).

الجالسون : الثلاثة (معًا): نحن ثلاثة على أننا واحد.

أحدهم : نتوالى على الحبل عينه، ونشدُّ عليه. كما في الرياضة التي نسيت اسمها... أو في سباق البدل.

أحدهم : (الثاني): لا، أنت لا تشدُّ على الحبل، بل تسحب لساني.

أحدهم : (الثالث): لا، أنت تنتزع مني ورقتي.

الجالس الوحيد : (غاضبًا): لا، هي ورقتي.

(وقفة).

الجالس الوحيد : ماذا لو تنضمُّون إلى طاولتي؟

(ينضمُّون، ويرتّبون الطاولات والكراسي بما يتيح اجتماعهم وجاهيًا معًا).

أحدهم : (يسحب من جارور إحدى الطاولات عُلْبَةً مُقْفَلَةً): أنلعب؟

أحدهم : لا، كنتُ أكتب.

أحدهم : لا فرق، طالما أن أحدنا يتشبَّث بالآخر.

أحدهم : ماذا في العلبة؟

أحدهم أحدهم (ماسك العلبة): فيها مفاجآت مجّانية، وأتعاب مُكلّفة.

أحدهم : لنلعب.

أحدهم : أليس هذا ما نفعل؟

أحدهم : لعلَّك لا تعتني باللعب، بل بأدوات اللعب فقط.

أحدهم : كيف ذلك؟

أحدهم : أراك تكتفي بإحضار اللعبة، من دون أن نلعب بها.

أحدهم : أهذا وصفٌ أم اتهام؟

أحدهم : هذا واقعٌ حالٍ.

أحدهم : دَوْرِي الآن.

(بعد أن أظهر يده مضمومةً للجالسين) ماذا فيها؟

أحدهم : تفاحة؟

أحدهم : لا، بل ذكراها.

أحدهم : غيمةٌ شاردة؟

أحدهم : لا، مَضَتْ بأوراقها العديدة مضمومةً بين دَفَّتَيْهَا.

أحدهم : ماذا فيها، إذن؟

أحدهم : ما بقي من هواء بين اللمسة ومحاولتها.

أحدهم : أحسنتَ.

(بعد توقف) كيف عرفتَ؟

أحدهم : لنتأكَّد من ذلك.

أحدهم : إن فتحَ يده طار الهواء.

أحدهم : وإن أغلقها زادت الشائعات...

أحدهم : أحدهم (مضيفاً): ... والتفاسير أيضاً.

أحدهم : لقد فتحها، لقد فتحها...

(يقفون ويطاردون شيئاً يعلوهم، على أن الواحد أو الآخر يكاد أن يمسك به، ثم

لا يلبث أن يخفق).

(وقفة).

الهواء (ما أن يعلو صوته، يخرون ساجدين، فيما تلمع أشعةٌ ضوئيةٌ فوق

رؤوسهم):



ليس لي صوتٌ لتسمعوا، بل جوقَةٌ متراميةٌ لتشاركوا في المشهد؛  
إن كنتُ أكسر الأغصان الخضراء كما اليابسة... إن كنتُ أمام شجرة يتزاحمُ في  
دروبها الكثيرة حاطبُوها وقاطفُوها وطالبُو فَيْئِها، فإنني أكون أيضاً أوشوش في  
زهرها؛

إن كنتُ أنشر، في جهة، غبار المهاجمين وبزأتهم وأسلحتهم قبل أن يصلوا، فإنني  
أتمأيلُ، في جهة أخرى، خفيفاً في تنورتها، في مُلتقى أسرارها؛  
قد أداعب في حُجرة الشدة وترّاً دفيناً، فيما أضجُ بين صنوج المقتلة، فوق عويل  
النساء، أو أحسّس بطرف لساني الزغبَ النابت تحت قميصها المشدود...  
(وقفة).

أنا الهواء، لكي أتقدّم مخفوراً بغزلان شهوتي،  
أطبقُ عليه في خشية مَخادِعِه، وأراودُ الفتحة عن سرّها القريب، والقبضة عن  
شرايين شرارتها، والسريرَ الرافع أحلامَ النائمين عن مسارحه؛  
لي وحدي، أن أكتب لِقراء... وما أن يناموا، أشدُّ على أجراسِ آذانهم؛  
لي أن أتقافز أمام متفرّجين ساهمين في مناظر غائبة، في تعاليم الفقيد المعبود؛  
أن أروي ما أشاء، باللسنة مُتبدّلة، وثياب بيضاء، تصلحُ لمن يقعدون في شهوة  
الانتظار، تحت شمس الطفولات...  
(وقفة).

سأكون شريكاً وإن من دون دعوة.  
تسبقني تمتمات التعزية قبل أن تصل الأرامل، وأعْبُ من لَهو الشارين،  
أنا الحامل من دون سلال،  
أقطف رنين الدهشة،  
أسدّد من دون رصاص،  
وإذ أبكي ينفرون مني.

المخرج (داخلًا، صارخًا): توقّفوا. توقّفوا.

هواء، والمشهد ساكن، وهامد!

هذا مدعاة للضجر، لإغفاءة من يقرأ في أرجوحة.

أو في كرسي، في مسرحية. ألا تذكّر؟

بلى.

(وقفة).

المتكلّم: (ينطفئ كل شيء، باستثناء الضوء على وجه المتكلّم، وعلى وجه من يقع عليه نظره خارج المساحة): ما أصابك؟

(ينتظر جوابًا لا يأتي).

(متابعًا) أعرف أن للنوم سحرًا لا يُقاوم، لكن لا تنس أنك دفعت ثمنًا أقل من إيجار غرفة في فندق، لكي تكون حيث أنت.

لا يمكننا الاستمرار إن غفوت.

حتى لو لم أكلّمك، فأنا أعلم أنك هنا، أنك تسمع: لا يسعني أن أقول ما أشاء... إلا إذا سمحت لي بذلك.

أعرف ما ستقول. طبعًا، طبعًا، أنت لا تسمح أو تمنع، لكنني أتكلّم بما له أن يبقيك مستيقظًا، متأهّبًا.

ماذا لو تأتي إلى جانبي؟

(داعيًا إيّاه، وبالحركة أيضًا، لملاقاته) هيا. هيا.

(وقفة).

(يتدبّر المتكلّم مع المستمع، الذي يصعد إلى جانبه، حوارًا ارتجالياً، ويعمّد فيه إلى مماشاته في ما يقول، بل إلى إظهار أن ما يقوم به -أي المتكلّم وغيره من المتكلّمين- لا يبدو كونه تنفيذًا لعقد.

عند بلوغ الحوار هذه النقطة يظهر «المخرج»).

المخرج: (يتوجّه إلى المستمع): ما اسمك؟

ال (يجيبه بما يناسب: ...).

المخرج (يسحب ورقة من ملف في يده، ويدوّن شيئاً عليها، ثم يدعو المستمع إلى العودة إلى مقعده، ثم يقرأ «المخرج» على الجميع ما ورد في الورقة التي يحملها):  
هذا ما كلفوني به:

أنا الكاتب العدل شربل داغر، أقرُّ وأثبتُ في هذه الوكالة الحصرية، التي لا تقبلُ الردَّ أو المراجعة، بأن مُوكلي، السيد (اسم المستمع)، قد عهدَ إلى السيد (...)، المعروف بـ «المخرج» في هذه الوكالة، بمهمّة التبليغ، وبالطرق المناسبة.

ولقد تعهدَّ «المخرج» أمامي -أنا الكاتب العدل الموقَّع اسمي أعلاه- بتنفيذ ما التزم به، على أن يعاونه في العمل السادة التالية أسماؤهم:

المتكلم 1، الذي له أن يقوم بما يشاء، كأن يكون شريطاً أو مُقيّداً مَسوّقاً إلى محكمة دولية،

والمتكلم 2، والمتكلم 3، وما يحتاج إليه من مُتكلِّمين،

فضلاً عن مسؤول الصوت (...)، والإضاءة (...)، والديكورات (...)، حسب ما يقتضيه العمل.

صوت (في العتمة): لعننا سنبدأ.

صوت (في العتمة): أما بدأنا بعد؟

صوت (في العتمة): لعله مقلَّب.

(أثناء الكلام الأخير، يخرج «المخرج»، تنطفئ الأنوار تدريجياً، فيما نستمع إلى

ثلاث ضربات قوية).

(عَتَمَة مديدة).

صوت (عبر المكبر): نداء، نداء. يُؤسِّفنا إبلاغكم أن عمليات الوصول توقَّفت حتى إشعار آخر.

(يتمُّ إذاعة الإعلان أكثر من مرة، فيما تتكشف الأضواء عن مجموعة من الواصلين: واحدٌ يحمل حقيبة يدٍ، وآخرٌ حاسوبًا في حقيبته الخاصة، وثالثٌ باقَّة وُرْدٍ، ورابعٌ هاتِفًا نَقَّالًا، وخامسٌ يضع جهاز استماع على أذنيه، وعاملٌ يجر عربة نقل عليها كرتونة كبيرة، فيما يتمُّ مَحْوُ «برنامج الرحلات الواصلة» السابق ذكره من على الشاشة... وما أن يتمُّ ذلك تظهر تباَعًا حروف الجملة التالية مكان الإبلاغ السابق: «التوقُّف تام»).

متكلم : (يلتفت إلى الوراء): ما همَّني! لقد وصلت.

متكلم : (يقترب منه): وأنا أيضًا.

متكلم : وأنا أيضًا.

العامل : (وهو يتابع جرَّ العربة): لا، كُلُّكُمْ مَعْنِيُون. لن تقووا الآن على الخروج من هنا.

متكلم : (غاضبًا): ماذا تقول؟

العامل : التوقُّف تام، للوصول كما للمغادرة.

متكلم : لست مَعْنِيًا، ليست لي حقيبة غير هذه (دالًّا على التي يحملها).

العامل : لا يمكنك الخروج من هذه الصالة.

متكلم : أنحن أسرى؟

العامل : لا، أنتم محجوزو الحركة.

متكلم : أين نحن؟

العامل : في قاعة «ترانزيت».

متكلم : إلى متى سيدوم هذا؟

العامل : ألم تسمع؟... حتى إشعار آخر.

متكلم : هذه «الحتَّى» غليظة. ماذا تعني؟

متكلم : (واضعًا حقيبته اليدوية على الأرض): لم تَنْتَهِ مصاعِبُ الوصول.

(عَتَمَة).

متكلم : عَفْوًا، من أنت؟  
 متكلم : أنا مُسَافِرٌ. وأنت؟  
 متكلم : محجوزُ الحركة.  
 متكلم : لَعَلَّكَ مُحِقٌّ في ما تقول: أنا محجوز الحركة بدوري... (مستدرِّكًا) لكننا نقوى على الكلام.

متكلم (مُؤَيِّدًا): وعلى الحركة أيضًا.  
 متكلم (مُتَدَخِّلًا): ولكن في صالة «ترانزيت».  
 متكلم : أَلَنَّا أَنْ نَتَكَلَّمَ عَلَى عَجَلٍ؟  
 صاحب الورود: أخشى من أن تَذُبِّلَ ورودي.  
 متكلم : لا، هذا توقَّف اضطراري، وسريع بالضرورة.  
 متكلم : لَعَلَّهُ مُلِحٌّ.  
 (عتمة).

متكلم (يستوقف العامل الذي يجُرُّ عربته، وعليها الكرتونة): أَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ قَلِيلًا؟  
 العامل : لا، أنا مشغول.  
 متكلم (آخر، يستوقف العامل من جهة أخرى، بحركة فيها بعض العنف): لك أن تتوقف.  
 العامل : (وقد توقف): من أين لك أن تَصُدِّرَ مثل هذا الأمر؟!  
 متكلم : أتريد إقناعي بأنك تعمل... بأنك الوحيد الذي يعمل؟!  
 متكلم : أيُّ عملٍ تقوم به؟  
 العامل : نَقُلُ هذه الكرتونة إلى حيث لها أن تصل.  
 متكلم : أما وَصَلَتْ بَعْدُ؟  
 العامل : لا... (بعد تَرَدُّدٍ) تسَلَّمْتُهَا قبل ثوانٍ.  
 متكلم (شادًا على قميص العامل): كفى تزويرًا ومُخَادَعَةً!  
 لا تتواني عن الرِّوَّاحِ والمُجِيءِ في هذه الصالة منذ حلولنا فيها.

- العامل : لا، أنت مخطئ. استلمتُ عملي قبل قليل. هذه كرتونتي الأولى.
- متكلم : والآخر الذي رأيته قبل قليل، وأتى بفنجان قهوة لأحد الواصلين... مَنْ هو؟
- العامل : إنه عاملٌ آخر... (مستدرَكًا) لنا اللباس عَيْنُهُ.
- متكلم : هل الكرتونة مختلفة في كل مرة؟
- العامل : أجل.
- متكلم : ومن أين تأتون بها؟
- العامل : من المستودع.
- متكلم : وإلى أين تأخذونها؟
- العامل : إلى مُستودَع وصول الطرود.
- متكلم : إذن، أنت تخرج من الصالة.
- العامل : لا. أستمُ الكرتونة من مصعد التسلم، وأودعها في مصعد التسليم.
- متكلم : المطار يعمل، إذن؟
- العامل : طبعًا.
- متكلم : نحن مُعطلون فقط.
- العامل : (محاوَلًا الانسحاب) أرجوكم، تأخَّرتُ عن عملي.
- متكلم : (مانعًا إيَّاه) وكيف ذلك؟
- العامل : أنا مُلزَمٌ بنقلِ عددٍ مُعَيَّنٍ من الكرتونات في الساعة الواحدة.
- متكلم : (يسعى إلى إخضاعه، ولا ينجح إلَّا بعد تَدخُّل المتكلم الآخر): كفاك مُخادَعَةً! أنت مُتَّهَمٌ.
- متكلم : (يشدُّ بدوره): أنت مُتَّهَمٌ.
- متكلم : (آخرون، يشاركون في الحوار): إنه المُتَّهَمُ. إنه المُتَّهَمُ.
- العامل : ما تُهَمِّتي؟
- متكلم : لقد سُرقت.
- متكلم : ماذا؟

متكلم : (يجيب بعد تردّد): راحة بالي، وأنا في عُنُقِ الجواب.

متكلم : لا. لقد شارك في مكيدة احتجازنا في الصالة.

متكلم : لكنه عامل.

متكلم : لا، هذا لباس للتمثيل.

متكلم : هذا لا يكفي.

ماذا في الكرتونة؟

العامل : (راكعًا): ومن أين لي أن أعرف؟

أنا عامل نقل فقط... (بعد تردّد) قد أنقل ماكينة خياطة، أو شمسية بحر، أو طردًا للمنفلوطي.

متكلم : مَنْ هو؟

متكلم : صاحب محل حلوى بالجملة في «حي الفجالة».

متكلم : (فاحصًا الكرتونة، رافعًا إيّاها من العربة): لكنها ليست ثقيلة.

متكلم : (متنصّتًا لما فيها، وهو يهزّها): من المؤكّد أنها لا تحتوي على ساعات تفجير...

متكلم : (مقاطعًا): ... بل على زناير وتنانير تفجير... (مضيفًا) على أنها صامتة.

متكلم : مثل خلايا صامتة؟

متكلم : أو جراح صامتة.

متكلم : ماذا لو نفتحها؟

(يفحصها، هو وغيره، من دون أن يجد فتحة مناسبة لذلك): لا يسعنا فتحها  
عُنوةً؛ لأن هذا قد يزيد من عقوبتنا.

متكلم : لكننا لسنا مُعاقبين.

متكلم : كيف لك أن تحسب احتجازنا هذا!!

متكلم : نحن مُشْتَبَهٌ بهم في أقصى الأحوال.

متكلم : أو قيد التوقيف الاحتياطي.

متكلم : (متوجّهًا إلى أحد المتكلمين): وأنت ماذا تقول؟ لماذا لا تشارك معنا؟

متكلم : لأنكم ضللت السبيل... في الكرتونة حروف جرّ وأدوات عطفٍ وأخوات كان وما شابهها، فضلاً عن آلاتٍ للرفع والنصب...

متكلم : ... وأنت تكون في هذه الحالة علامة سكون.

متكلم : لا، لعله مبنيٌّ على المجهول، أو مفعول به.

متكلم : نسينا العاملَ. ما نفعل به؟

متكلم : انزلْ على السطر.

(عتمة).

متكلم : أأنا أتكلّم أم أمشي؟

أأفعل أم أقول؟

أأتحدّث عمّا لا يُقال أم أقوم بما لا يقوى عليه القول؟

متكلم : ها أنت تمشي وتراقب خطواتك.

متكلم : أو أنظرُ إلى المرأة فيما أظنّها تُفْضي على شبّاك آخر يلهون فيه من دون أن يبالوا بحديثي إليهم.

متكلم : المهم، أنك وصلت.

متكلم : فعلاً؟

متكلم : طبعاً. لن يستوقفك أحدٌ بعد هذه اللحظة أمام حاجز «الحدود».

متكلم : أكان حاجزاً؟

متكلم : كان ممّا يصعب تحديده: كأن تنام فيما يحملك التّوقُّ إلى أَمَكَنَةٍ لا تقلُّ سعةً عن لفظٍ بحجم غيمة؛ كأن تتقدّم فيما تعود إلى الخلف في الصف مرة ثانية وثالثة.

متكلم : لكنني -الآن- محجوزٌ.

متكلم : لا يعني هذا أنك مُحتَجَزٌ.

أنت تعرف من دون شك أن العربية تُميّز...

متكلم (مقاطعاً): ... أرْحَني من هذه البليدة.



متكلم : كما تشاء، لكنك تخسر...

متكلم : كيف أخرج من هنا؟ متى أخرج من هنا؟

متكلم : هذا صحيح، إلا أن العربية هي التي تُعيننا في ذلك.

متكلم : (وهو يضع السماعة على أذنيه، مغادرًا): سأكلّفك بها.  
(عتمة).

متكلم : أين العامل الذي كان يَجُرُّ كرتونه الكبيرة؟

متكلم : سيعود للتوّ... ذهب للإتيان بفنجان قهوة.

متكلم : لمن؟

متكلم : لي.

متكلم : أهو يعمل في خدمتنا؟

متكلم : ربما.

متكلم : لمْ تَقُلْ لي ذلك سابقًا؟!

متكلم : نسيت.

متكلم : هكذا ببساطة!

متكلم : نعم، هكذا ببساطة.

(وقفة).

(المتكلمون يجتمعون حول طاولات بما ينظم اجتماعًا فيما بينهم).

متكلم : ومَن نكون؟

متكلم : مجموعة من وصلوا للتو.

متكلم : لا، مجموعة من يتحسّون فرصة للخروج.

متكلم : أنكون -نحن الستة- مجموع من وصل؟

متكلم : قد تكون هناك صالة ثانية...

- متكلم : ... وثالثة
- متكلم : ... وعاشرة.
- متكلم : متى وصلت؟
- متكلم : قبل ثلاث ساعات.
- متكلم : وأنا، قبل نصف ساعة.
- متكلم : وأنا، قد نسيت.
- متكلم (مستنتجا): يعني أنه لا علاقة لاحتجازنا بموعد وصولنا.
- متكلم : أعتقد ذلك؟
- متكلم : أفي الأمر ما يُقلِّق؟
- متكلم : هل اختارونا لتوزيع هدايا أو مفاجآت؟
- متكلم : أتمنى ألا تكون من المفاجآت الضَّارَّة.
- متكلم : هل اختارونا لأن نكون نَقْلَةَ رسائل؟
- (بعد توقف) مثل العامل؟
- متكلم : ربما.
- متكلم : لكنه ينقلها على عربة.
- متكلم : هذا ما يقلق في حالتنا، ألا تعتقد؟
- متكلم : ولكن لم يحملنا أحدُ أي رسالة! أليس كذلك؟
- متكلم : أأنت أكيد؟
- متكلم : نعم. وأنت؟
- متكلم : لعلها رسائل خافية.
- متكلم : يمكنك تفتيشي: لن تجد شيئاً.
- متكلم : أقول لك: خافية، لا مخفية... ألا تفهم؟
- متكلم : أعدنا إلى سبويه؟
- متكلم : لا، إلى الكلام... (شارحاً) حيث نحن.

من أين أتيت؟

متكلم : من الشرق. وأنت؟

متكلم : من الجنوب. وأنت؟

متكلم : من أقصى القَرْف. وأنت؟

متكلم : من حيث لا تتوقعون. وأنت؟

متكلم : من باب حرف الشين.

متكلم : لا شيء يجمع بيننا.

متكلم : بلى، الاحتجاز.

متكلم : أكنت تنوي قتلاً أو سرقة أو إيذاء أحد؟

متكلم : لو توجّه السؤال إلى غيري.

متكلم : كُلُّنا مُتَّهَمُونَ، على أي حال، من دون أن نعرف اللائحة الاتهامية.

متكلم : لا، كلنا أبرياء إلى أن تثبت إدانتنا.

متكلم : لا هذا، ولا ذاك.

متكلم : أَنْنَظِّمُ تَظَاهِرَةً؟

متكلم : لا تَصْلُحُ...

(بعد تردد) لو نكتب عريضة.

متكلم : إلى مَنْ نرفعها؟ ماذا نقول فيها؟ أَنْتَهُمُ هُمَا لا نعرف؟

متكلم (يقف): أعتقد أنه باتَ لزاماً علينا تعيينَ أَحَدِنَا للتَّكَلُّمِ باسمنا... (مضيفاً) وَتَسَلِّمُ أَمْرِنَا.

متكلم (يقف بدوره): أعتقد أنه من المُسْتَحْسِنِ تكليفَ مَنْ يُحَسِّنُ العربيةَ بمهمةِ التَّخاطُبِ بِأَسْمِنَا.

متكلم (يقف): أعتقد بأنني المناسب لذلك.

متكلم (يقف): لا، أنا.

متكلم : لا، هذا ما أظهرته من موهبة في إدارة الأسئلة. وأنت؟

صاحب الورود : ليس لي ما أقوله لكم، بل لها.

(ينهض من كرسيه، وينتقل إلى جهة أخرى.

هذا ما يفعله المتكلمون الآخرون، في اتجاه آخر).

(عتمة).

صاحب الورود (يستلقي فوق مقعد، بحيث نرى وجهه وجانباً من المقعد): للواقف أن يسترخي، وللمتكلم أن يصمت، وللكراسي أن تقعد: لغيرنا، الآن، أن يتبدى، وللهواء أن يعدو... إن رغب في ذلك.

الهواء (صوت في العتمة): إيقاعي في خطواتي، وعطري محفوظ في وردة.

متكلم : لعلك الهواء؟

الهواء : أنا حامل عطر الوردة، فلا يتبدد.

(عتمة).

(متكلم يمشي بمحاذاة حائط. يتوقف أحياناً ليضع أذنه اليمنى عليه، كَمَنْ سَمِعَ نداءً أو جملة تَخُصُّه. يتوقف، يصيح السمع، يهز رأسه تأييداً، أو يرفع رأسه اعتراضاً، أو غيرها من حركات وإشارات التماور الصامت.

متكلم آخر يراقب ما يجري بشيء من الاستغراب).

متكلم : لم لا تحدثني؟

متكلم : (مستمراً في تمشيه وتماوره مع الحائط، ومُجيباً على عَجَلٍ): لأنني مشغول.

متكلم : بماذا؟

متكلم : بما ترى.

متكلم : لا أرى غير هذا اللون الرتيب.

متكلم : ...

متكلم (يقترّب منه): أعرفتَ بما قالته لي في عَتَمَةِ الدَّرَج؟

متكلم : ...

متكلم : أهنأك ما تسمعه في عتمة الحائط؟

متكلم (من دون أن يبدل حركته): نعم.

متكلم (يقترب من الحائط ويقلد المستمع): لا أسمع شيئاً.

متكلم : لعلك أصم.

(عتمة).

متكلم : أيها المجتمععون، دَعَوْتُكم اليوم...

متكلم (مقاطعا): ... نحن مجتمعون... حُكمًا.

متكلم : ماذا يريد أن يقول؟

متكلم (منسحبا): أساء التكلّم إليّ مُنذُ عبارته الأولى.

متكلم : أيها المجتمععون، دَعَوْتُكم اليومَ لما فيه مصلحتنا.

(وقفة).

متكلم (يلتفت إلى الراء): ما همّني! لقد وصلت.

متكلم (يقترب منه): وأنا أيضًا.

متكلم : وأنا أيضًا.

العامل (وهو يتابع جرّ العربة): لا، كُلُّكم مَعْنِيُون. لن تقووا الآن على الخروج من هنا.

متكلم : (غاضبًا): ماذا تقول؟

العامل : التوقّف تام، للوصول كما للمغادرة.

متكلم : لست مَعْنِيًا، ليست لي حقيقة غير هذه (دالًّا على التي يحملها).

العامل : لا يمكنك الخروج من هذه الصالة.

متكلم : أنحن أسرى؟

العامل : لا، أنتم محجوزو الحركة.

متكلم : أين نحن؟

العامل : في قاعة «ترانزيت».

متكلم : إلى متى سيدوم هذا؟

العامل : ألم تسمع؟... حتى إشعار آخر.

متكلم : هذه «الحتي» غليظة. ماذا تعني؟

متكلم (واضعاً حقيبته اليدوية على الأرض): لم تَنْتَهِ مصاعِبُ الوصول.  
(عَتَمَة).

متكلم : عَفْوَ، من أنت؟

متكلم : أنا مُسافرٌ. وأنت؟

متكلم : محجوزُ الحركة.

متكلم : لَعَلَّكَ مُحِقٌّ في ما تقول: أنا محجوز الحركة بدوري... (مستدركاً) لكننا نقوى على الكلام.

متكلم متكلم (مُؤَيِّداً): وعلى الحركة أيضاً.

متكلم متكلم (مُتَدَخِّلًا): ولكن في صالة «ترانزيت».

متكلم : أَلنَّا أَنْ نَتَكَلَّمَ على عَجَلٍ؟

صاحب الورود : أخشى من أن تَذْبُلَ ورودي.

لا، هذا تَوَقَّفٌ اضطراري، وسريع بالضرورة.

لعله مُلِحٌّ.

(عتمة).

متكلم (يستوقف العامل الذي يجرُّ عربته، وعليها الكرتونة): أَلَكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ قليلاً؟

العامل : لا، أنا مشغول.

متكلم (آخر، يستوقف العامل من جهة أخرى، بحركة فيها بعض العنف): لك أن تتوقف.

العامل (وقد توقف): من أين لك أن تَصْدُرَ مثل هذا الأمر؟!

متكلم : أتريد إقناعي بأنك تعمل... بأنك الوحيد الذي يعمل؟!

متكلم : أيُّ عملٍ تقوم به؟

العامل : نَقُلْ هذه الكرتونة إلى حيث لها أن تصل.

متكلم : أما وَصَلَتْ بَعْدُ؟

العامل : لا... (بعد تَرَدُّدٍ) تَسَلَّمْتُهَا قبل ثوانٍ.

متكلم : (شاذًّا على قميص العامل): كفى تزويرًا ومُخَادَعَةً!

لا تتوانى عن الرّواحِ والمجيء في هذه الصالة منذ حلولنا فيها.

العامل : لا، أنت مخطئ. استلمتُ عملي قبل قليل. هذه كرتونتي الأولى.

متكلم : والآخر الذي رأيته قبل قليل، وأتى بفنجان قهوة لأحد الواصلين... مَنْ هو؟

العامل : إنه عامِلٌ آخر... (مستدرِّكًا) لنا اللباس عَيْنُهُ.

متكلم : هل الكرتونة مختلفة في كل مرّة؟

العامل : أجل.

متكلم : ومن أين تأتون بها؟

العامل : من المستودع.

متكلم : وإلى أين تأخذونها؟

العامل : إلى مُسْتَوْدَعِ وصول الطرود.

متكلم : إذن، أنت تخرج من الصالة.

العامل : لا. أَسْتَلِمُ الكرتونة من مصعد التسلّم، وأودعها في مصعد التسليم.

متكلم : المطار يعمل، إذن؟

العامل : طبعًا.

متكلم : نحن مُعْطَلُونَ فقط.

العامل (محاولاً الانسحاب): أرجوكما، تأخَّرْتُ عن عملي.

متكلم : (مانعًا إيَّاه): وكيف ذلك؟

العامل : أنا مُلْزَمٌ بِنَقْلِ عِدَدٍ مُعَيَّنٍ من الكرتونات في الساعة الواحدة.

متكلم : (يسعى إلى إخضاعه، ولا ينجح إلا بعد تدخل المتكلم الآخر): كفاك مُخادعة! أنت مُتهم.

متكلم : (يشدد بدوره): أنت مُتهم.

متكلمون : (آخرون، يشاركون في الحوار): إنه المُتهم، إنه المُتهم.

العامل : ما تهمتي؟

متكلم : لقد سرقَت.

متكلم : ماذا؟

متكلم : (يجيب بعد تردد): راحة بالي، وأنا في عنقِ الجواب.

متكلم : لا. لقد شارك في مكيده احتجازنا في الصالة.

متكلم : لكنه عامل.

متكلم : لا، هذا لباس للتمثيل.

متكلم : هذا لا يكفي.

ماذا في الكرتونة؟

العامل (راكعًا): ومن أين لي أن أعرف؟

أنا عامل نقل فقط... (بعد تردد) قد أنقل ماكينة خياطة، أو شمسية بحر، أو طردًا للمنفلوطي.

متكلم : مَنْ هو؟

متكلم : صاحب محل حلوى بالجملة في «حي الفجالة».

متكلم : (فاحصًا الكرتونة، رافعًا إياها من العربة): لكنها ليست ثقيلة.

متكلم : (متنصتًا لما فيها، وهو يهزها): من المؤكد أنها لا تحتوي على ساعات تفجير...

متكلم : (مقاطعًا): ... بل على زناير وتناير تفجير... (مضيفًا) على أنها صامته.

متكلم : مثل خلايا صامته؟

متكلم : أو جراح صامته.

متكلم : ماذا لو نفتحها؟



(يفحصها، هو وغيره، من دون أن يجد فتحة مناسبة لذلك): لا يسعنا فتحها عُنْوَةً؛  
لأن هذا قد يزيد من عقوبتنا.

متكلم : لكننا لسنا مُعاقبين.

متكلم : كيف لك أن تحسب احتجازنا هذا!؟

متكلم : نحن مُشْتَبَهٌ بهم في أقصى الأحوال.

متكلم : أو قيد التوقيف الاحتياطي.

متكلم (متوجّهاً إلى أحد المتكلمين): وأنت ماذا تقول؟ لماذا لا تشارك معنا؟

متكلم : لأنكم ضللت السبيل... في الكرتونة حروف جَرٍّ وأدوات عَطْفٍ وأخوات كان وما شابهها، فَضْلاً عن آلاَتٍ للرفع والنصب...

متكلم : ... وأنت تكون في هذه الحالة علامة سكون.

متكلم : لا، لعله مبنيٌّ على المجهول، أو مفعول به.

متكلم : نسينا العامل. ما نفعل به؟

متكلم : انزل على السطر.

(عتمة).

متكلم : أأنا أتكلّم أم أمشي؟

أأفعل أم أقول؟

أأتحدّث عمّا لا يُقال أم أقوم بما لا يقوى عليه القول؟

متكلم : ها أنت تمشي وتراقب خطواتك.

متكلم : أو أنظرُ إلى المرأة فيما أظنّها تُفْضي على شابٍ آخر يلهون فيه من دون أن يبالوا بحديثي إليهم.

متكلم : المهم، أنك وصلت.

متكلم : فعلاً؟

متكلم : طبعاً. لن يستوقفك أحدٌ بعد هذه اللحظة أمام حاجز «الحدود».

متكلم : أكان حاجزاً؟

متكلم : كان ممّا يصعب تحديده: كأن تنام فيما يحملك التّوقُّ إلى أَمَكِنَةٍ لا تقلُّ سعةً عن لفظٍ بحجم غيمة؛ كأن تتقدّم فيما تعود إلى الخلف في الصف مرة ثانية وثالثة.

متكلم : لكنني -الآن- محجوزٌ.

متكلم : لا يعني هذا أنك مُحْتَجَزٌ.

أنت تعرف من دون شك أن العربية تُهَيِّزُ...

متكلم : (مقاطعاً): ... أَرَحِني من هذه البليدة.

متكلم : كما تشاء، لكنك تخسر...

متكلم : كيف أخرج من هنا؟ متى أخرج من هنا؟

متكلم : هذا صحيح، إلا أن العربية هي التي تُعيننا في ذلك.

متكلم : (وهو يضع السماعه على أُذُنَيْهِ، مغادِراً): سأكلّفك بها.  
(عتمة).

متكلم : أين العامل الذي كان يَجُرُّ كرتونته الكبيرة؟

متكلم : سيعود للتوّ... ذهب للإتيان بفنجان قهوة.

متكلم : لمن؟

متكلم : لي.

متكلم : أهو يعمل في خدمتنا؟

متكلم : ربما.

متكلم : لمْ لمْ تقلْ لي ذلك سابقاً؟!

متكلم : نسيت.

متكلم : هكذا ببساطة!

متكلم : نعم، هكذا ببساطة.

(وقفه).

(المتكلمون يجتمعون حول طاولات بها ينظم اجتماعاً فيما بينهم).

متكلم : ومَن نكون؟

متكلم : مجموعة من وصلوا للتو.

متكلم : لا، مجموعة من يتحَيَّنون فرصة للخروج.

متكلم : أنكون -نحن الستة- مجموع من وصل؟

متكلم : قد تكون هناك صالة ثانية...

متكلم : ... وثالثة

متكلم : ... وعاشرة.

متكلم : متى وصلت؟

متكلم : قبل ثلاث ساعات.

متكلم : وأنا، قبل نصف ساعة.

متكلم : وأنا، قد نسيت.

متكلم : (مستنجا): يعني أنه لا علاقة لاحتجازنا بموعد وصولنا.

متكلم : أعتقد ذلك؟

متكلم : أفي الأمر ما يُقلق؟

متكلم : هل اختارونا لتوزيع هدايا أو مفاجآت؟

متكلم : أتمنى ألا تكون من المفاجآت الضَّارة.

متكلم : هل اختارونا لأن نكون نَقْلَةَ رسائل؟

متكلم : (بعد توقف) مثل العامل؟

متكلم : ربما.

متكلم : لكنه ينقلها على عربة.

متكلم : هذا ما يقلق في حالتنا، ألا تعتقد؟

متكلم : ولكن لم يحمِّلنا أحدُ أي رسالة! أليس كذلك؟

متكلم : أأنت أكيد؟

- متكلم : نعم. وأنت؟
- متكلم : لعلها رسائل خافية.
- متكلم : يمكنك تفتيشي: لن تجد شيئاً.
- متكلم : أقول لك: خافية، لا مخفية... ألا تفهم؟
- متكلم : أعدنا إلى سيبويه؟
- متكلم : لا، إلى الكلام... (شارحاً) حيث نحن.
- متكلم : من أين أتيت؟
- متكلم : من الشرق. وأنت؟
- متكلم : من الجنوب. وأنت؟
- متكلم : من أقصى القَرْف. وأنت؟
- متكلم : من حيث لا تتوقعون. وأنت؟
- متكلم : من باب حرف الشين.
- متكلم : لا شيء يجمع بيننا.
- متكلم : بلى، الاحتجاز.
- متكلم : أكنت تنوي قتلاً أو سرقة أو إيذاء أحد؟
- متكلم : لو توجه السؤال إلى غيري.
- متكلم : كُلُّنا مُتَّهَمُونَ، على أي حال، من دون أن نعرف اللائحة الاتهامية.
- متكلم : لا، كلنا أبرياء إلى أن تثبت إدانتنا.
- متكلم : لا هذا، ولا ذاك.
- متكلم : أَنْظُمُ تظاهرة؟
- متكلم : لا تَصْلُحُ...
- (بعد تردد) لو نكتب عريضة.
- متكلم : إلى مَنْ نرفعها؟ ماذا نقول فيها؟ أنتهمم بما لا نعرف؟

متكلم (يقف): أعتقد أنه باتَ لزماً علينا تعيينُ أَحَدِنَا للتَّكَلُّمِ باسمنا... (مضيفاً) وتَسَلَّمِ أَمْرنا.

متكلم (يقف بدوره): أعتقد أنه من المُسْتَحْسَنِ تكليف مَنْ يُحَسِّنُ العربيةَ بمهمةِ التَّخاطُبِ بِاسْمِنَا.

متكلم (يقف): أعتقد بأنني المناسبُ لذلك.

متكلم (يقف): لا، أنا.

متكلم : لا، هذا ما أظهرته من موهبة في إدارة الأسئلة. وأنت؟

صاحب الورود : ليس لي ما أقوله لكم، بل لها.

(ينهض من كرسيه، وينتقل إلى جهة أخرى.

هذا ما يفعله المتكلمون الآخرون، في اتجاه آخر).

(عتمة).

صاحب الورود (يستلقي فوق مقعد، بحيث نرى وجهه وجانباً من المقعد): للواقف أن يسترخي، وللمتكلم أن يصمت، وللكراسي أن تقعد: لغيرنا، الآن، أن يتبدَّى، وللهواء أن يعدو... إن رغب في ذلك.

الهواء : (صوت في العتمة): إيقاعي في خطواتي، وعطري محفوظٌ في وردة.

متكلم : لعلَّكَ الهواء؟

الهواء : أنا حامل عطر الوردة، فلا يتبدَّد.

(عتمة).

(متكلمٌ يمشي بمحاذاة حائط. يتوقَّف أحياناً ليضع أذنه اليمنى عليه، كَمَنْ سَمِعَ

نداءً أو جملة تَخَصُّه. يتوقَّف، يصيخ السمع، يهز رأسه تأييداً، أو يرفع رأسه

اعتراضاً، أو غيرها من حركات وإشارات التَحاوُر الصامت. متكلم آخر يراقب ما

يجري بشيء من الاستغراب).

متكلم : لمَ لا تحدثني؟

متكلم : مستمراً في تمشيهِ وتجاوزهِ مع الحادث، ومُجيباً على عَجَلٍ: لأنني مشغول.

متكلم : بماذا؟

متكلم : بما ترى.

متكلم : لا أرى غير هذا اللون الرتيب.

متكلم : ...

متكلم : (يقترّب منه): أعرفتَ بما قالته لي في عَتَمَةِ الدَّرَج؟

متكلم : ...

متكلم : أهنأك ما تسمعه في عتمة الحادث؟

متكلم : (من دون أن يبدّل حركته): نعم.

متكلم : (يقترّب من الحادث ويقلّد المستمع): لا أسمع شيئاً.

متكلم : لعلّكَ أصمّ.

(عتمة).

متكلم : أيها المجتمعون، دَعَوْتُكُمْ اليوم...

متكلم : (مقاطعا): ... نحن مجتمعون... حُكْمًا.

متكلم : ماذا يريد أن يقول؟

متكلم : (منسجبا): أساء التكلّم إليّ مُنْذُ عبارته الأولى.

متكلم : أيها المجتمعون، دَعَوْتُكُمْ اليومَ لما فيه مصلحتنا.

(وقفة).

متكلم : (زاعقًا): أين هو؟

العامِل : (يظهر بعربته، وعليها الكرتونة): ها أنا.

متكلم : من أين أتيت بالقهوة؟

العامِل : من المصعد الكهربائي.

متكلم : أي مصعد؟

العامل : ها هو (يدلهم على باب حديدي مستطيل في جدار، له قبضة وشاشة صغيرة).

لكم أن تطلبوا ما تشاؤون بالضغط على أزرار الشاشة.

متكلم : مثل الطعام؟

العامل : أما أكلتم بعد؟

متكلم : ما شعرتُ بالجوع.

متكلم (يتوجّه إلى العامل ويمسك بقميصه): توقّف عن القيام بهذه الحركات البلهاء.

كرتونتك لا تصل إلى أي مكانٍ لكي تَجَرِّها منذ أن وصلنا إلى هذه الصالة.

العامل : ماذا تريد؟

متكلم : ما دَوْرُكَ بالضبط؟

العامل : ليس لي دور بينكم... إن احتجتم إلى مساعدة، فأنا جاهز.

متكلم : كيف ذلك؟

العامل : أنا أليف المكان.

(وقفة)

متكلم (يسعى إلى إركاع العامل، من دون أن ينبجح في ذلك): يبدو أنك قويُّ البنية.

متكلم : لعله يراقبنا.

متكلم : لعله رغبة ماثوثة في تضاعيف الجملة.

متكلم : قد يكون منيعاً؛ لأنه عاملٌ احتماليٌّ لا يتوانى عن الرواح والمجيء، من دون أن

يسلّم كرتونته.

متكلم : لا، العامل، هنا، بين أيدينا، مثل مفتاح في مزلاج باب.

متكلم : ماذا تقترح أن نفعل به؟

متكلم : لنحقّق معه.

متكلم : وإن لم يتكلّم؟

متكلم : سيصمت، وفي صَمْتِهِ بَلَاغَةٌ.

العامل : لن تقووا على ذلك.

متكلم : لماذا؟

العامل (ما أن يتكلم تنطفئ الأنوار، ويحدث هرج بين المجتمعين): لأنني أقوى من أن أصمت.

(بصوت قوي) أقوى من أن أتكلم.

(بصوت أقوى) أقوى من أن أنساق إلى ما تشاء، أنت أو أنت أو أنت.

(عتمة).

(على طاولة).

متكلم : لا تتوانى عن التأجيل.

متكلم : أليس أفضل؟

متكلم : الاحتمالات عديدة، وقد تسبق جملة أخرى.

متكلم : دعني أصمت.

متكلم : دعني أتأمل.

متكلم : لقد وجدتُ هذا الحبل (دالاً عليه، وهو يسجبه من خلفه).

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : طلبتُ دفترًا فأعطوني حبلًا.

متكلم : أفي الأمر مَقْلَبٌ أو حكمة خافية؟

متكلم : علينا أن نتدبّر أمرنا به.

متكلم : ما تقترح؟ ما يمكننا أن نفعل بحبل كهذا؟

متكلم : إنه أبيض.

متكلم : أليكون حبلًا لإنزال نعوش الشهداء في أسرتهم الأخيرة؟

متكلم : ألهم أسرة أخيرة؟



متكلم : من دون شك... إلا إذا أضلوا نزولهم.

متكلم : وكيف يضل الشهيد نزوله؟

متكلم : بأن يخاصمه شهيد آخر في عتمة بكاء، أو يسبقه إليها.

متكلم : على أي حال، عاد الشهيد على أدراجه.

متكلم : كيف كان ذلك؟

متكلم : نَبَّهه «المخرج» إلى أن فيلم الشهادة فاسد.

أمكننا أن نعيد الشهيد -بحبلنا هذا- إلى الصراط المستقيم؟

متكلم : أيمكنني أن أُعيدَكَ إلى الجبل، حيث كُنَّا؟

متكلم : أتعني أنه في إمكاننا التسلُّق عليه؟

متكلم : على الأرجح.

متكلم : إلى أين يمكن أن نرتفع به؟

متكلم : إلى أعلى درجات التَّوَقُّ.

متكلم : وعندها؟

متكلم : يكون الشوق قد بلغ أَشَدَّهُ.

متكلم : (بعد تردد) ألا تلاحظ التقاربَ بين «التَّوَقُّ» و«الشَّوْق»؟

متكلم : أَرِحْنِي من هذا! أريد أن أَصِلَ، أن أَبْلُغَ - إذا فَضَّلْتَ هذا اللفظ.

متكلم : أما وصلتَ بعد؟

تسلَّقْ معي.

متكلم : (في العتمة): أتراهم الآن؟

لا تَخَفْ، سينتقلون لملاقاتنا.

متكلم : كيف سيكون ذلك؟

متكلم : بالشوق نفسه الذي لنا.

متكلم : ها باب البيت يُفتح...

متكلم (مقاطعا): لا تتكلَّم. اكتفِ بالإشارات.

متكلم (هامسًا): لماذا؟  
 متكلم (بصوت خفيض): خشية أن ينتبه الآخرون إلى هروبنا.  
 متكلم (بصوت يكاد أن يسمع): تمسك جيدًا... تقدّم ببطء... لا تخش السقوط، الهواء هو الذي يحملك، لا أنا.  
 كُن متأهبًا... هذا أسرع من حلم سجين.  
 متكلم (بما يشبه الوشوشة): اقتربي. اقتربي.  
 متكلم : مع من تتكلم؟  
 متكلم : اقتربي. افتحي راحتك، لكي أشرب كما من نبع.  
 (عتمة).

متكلم (في العتمة، على أننا نرى شيئًا من وجهه لصيقًا بجدار):  
 ما أفعل؟ هذا ما في مقدوري.  
 لا يسعني تكبير الثقب أكثر مخافة إفساد خطتي.  
 لي أن أكتفي بما أرى من دون أن أتحدث عنه لغيري.  
 هكذا ألقفها من دون حساب، على أن أبسطها وأنقب فيها، مثل غملة في وكرها.  
 صوت : (في العتمة): ولم العتمة؟  
 متكلم : أما رأيت أحدًا في مختبره يستظهر الصور الفوتوغرافية؟  
 (عتمة).

متكلم (يستوقف العامل الذي يجرُّ كرتونة كبيرة): لو تتوقف.  
 (العامل يتوقف).

متكلم : ماذا فيها؟  
 عامل (حائرًا في الجواب): ومن أين لي أن أعرف...؟!  
 متكلم : من أرسلها؟ من سيستلمها؟

العامل : أرسلها الجاحظُ.

متكلم : مَنْ هذا؟ إلى من أرسلها؟

العامل : إلى شربل داغر.

متكلم : وَمَنْ هذا أيضاً؟

أظنُّ أن في الأمر عملية تمويهية... (يشرع في رفع وتيرة صوته)... هذا أمر غير مقبول! لعل في الكرتونة حمولة ممنوعة.

(بمجرد ارتفاع صوته يتزايد عددُ المتجمِّعين حولهما).

العامل : هناك جهات أمنية مُكلَّفة بفحص الطرد... ولقد قامت بذلك.

متكلم (بحدة): وما كانت النتيجة؟

العامل : لا شيء يدعو إلى القلق.

متكلم : جواب غير مُطمئن.

لنا نحن أن نفتِّشه. إنه يُهدِّد سلامتنا.

(يشرع في فتح الكرتونة بمعونة غيره، فيما يتم إبعاد العامل عنها بنوع من الحركة القسرية. ويظهر بمجرد فتحها مجموعان خشبيان مستطيلاً الشكل، ولوح خشبي ثالث له عرض المجموعين معاً).

ما تكون هذه؟

متكلم (مُسارعاً إلى الإمساك باللوح الخشبي المستطيل، واضِعاً إِيَّاهُ إلى حائط): لعله يقوم على هذه الصورة.

متكلم (يسارع مُتكلِّم آخر إلى حمل المستطيل الثاني، وإلى إلصاقه بالآخر): وهذا يناسبه.

متكلم (يسارع مُتكلِّم ثالث إلى رفع اللوح الخشبي، وإلى تثبيته فوق المجموعين بما يعلوهما بشكل مناسب وموافق): هكذا أفضل.

متكلم (يتقدَّم منهم متكلِّم آخر، ويشدُّ بثياب أحد الثلاثة الواقفين إلى جانب المجموعة الخشبية): أنت، وأنت (دالًّا عليه)، وأنت (دالًّا عليه)، تعرفون طبيعة هذه المجموعة الخشبية، وتُخفونها عنَّا.

(يحيط المتكلمون الآخرون بالثلاثة، فضلاً عن العامل نفسه: يسارع الثلاثة إلى نزع الغلاف الورقي عن المجموعة الخشبية، فتظهر الصورة التالية: المجموعة الخشبية الأولى عليها اللفظ: «كتاب» بحروف كبيرة، والمجموعة الثانية: «التاج» بحروف كبيرة، فيما يتضح أن للوح الثالث أشكالاً زخرفية تعلو المجموعين، بما يشبه الزخارف التي تعلو المقاعد الفخمة وغيرها).

متكلم : «كتاب التاج». ماذا يعني هذا؟

متكلم (أحد الثلاثة المحيطين بالمجموع الخشبي): إنه كتاب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

متكلم (أحد الثلاثة المحيطين بالمجموع الخشبي): لا، قد يكون منسوباً إليه.

متكلم : عمّ يتكلم؟

متكلم (أحد الثلاثة المحيطين بالمجموع الخشبي): عنا وعنهم.

متكلم ما هذه الوصفة الجاهزة! أهذا «ماكدونالد» عباسي؟

(متابعاً) مَنْ تكونون أنتم الثلاثة؟

متكلم (أحد الثلاثة الواقفين إلى جانب المجموعة الخشبية، مُجيباً عن السؤال): محجوزو الحركة.

متكلم : (أحد الثلاثة الواقفين إلى جانب المجموعة الخشبية، مُجيباً عن السؤال): لا داعي لإخفاء دورنا.

أنا ممثل، وهو ممثل (عن الثاني)، وهو المخرج (عن الثالث).

متكلم : ومتى تبدأ؟

متكلم : أتقصد التمارين؟

متكلم : إذا شئت.

أحد الممثلين : الآن.

أحد الممثلين : أمّا بدأت؟

(عتمة).

(قائمة بلباس أبيض، تنتعل حذاء أسود، تحت أضواء خافتة، تتقدّم بخطى ثابتة صوب طاولة، عليها حاسوب: تشعله، وما تكتبه يظهر على الشاشة العالية):  
ألا يكون لي سوى هذه الضربات الضوئية؟ ... سوى هذه التّمتمات الدفينة... بل  
المرئية؟

ألا يكون لي أن أتكلّم؟

ألي أن أبقى وحدي في هذا الخلاء المنير؟

صوت (في العتمة): لعلها امرأة...

صوت (في العتمة، مقاطعاً): ... أو شهوة تُطلُّ برأسها.

(القائمة تدير رأسها في كل اتجاه، من دون أن تنتبه إلى وجود أحد.

تتابع النقر على الحاسوب، وقد أَظْلَمَت الشاشة العالية).

(عتمة مديدة).

متكلم م (عن متكلم مُمدّد فوق مقعد): لعله مات.

متكلم م : لعله لا يتحرّك. لعله مُحْتَجَزٌ قهراً.

(الممدّد لا يجيب).

متكلم م : لعله نسيّ يده، أو لسانه، بمجرد أن صدر إعلان التوقّف التام للعمليات.

لعله توقّف كما في لقطة سينمائية.

متكلم م : وما يعيده إلى الحركة من جديد؟

متكلم م : وما حاجتك إليه؟

متكلم م : أنعتبره من تجهيزات الصالة أم مُتَكَلِّمًا صامتًا؟

متكلم م : لا يهم. هو، هنا، بما لا يقبل أي اختلاف.

هو سابق على كلامنا، ولاحق عليه.

أسبق من الشجرة التي تجلس تحتها في ملعبك الأول، وتُظِلُّ جثمانك عند الانتقال

بك إلى مقبرة.

متكلم م : هذا إن متّ حيث وُلِدْتُ.

متكلم : وإن كان لك أن تختار؟

متكلم : في ودي أن أعود مرة ثانية إلى فرانكفورت، إلى شجرها الذي ما كان لي، على ضفة النهر، غير أن أنظر إليه بعيني الداخل إلى صالة سينما للمرة الأولى.

متكلم : في قولك حسرة.

متكلم : ذلك أنني تهيتُ لمرأة، فيما اعتنيت بإحصاء أقل حركات وسكنات البارون غوته.

متكلم : لم تقول عنه «البارون»؟

متكلم : كان يمكن أن أسميه: «الارتعاشة» التي لورق فرانكفورت، إذ اعتنى بالنسيمات الداخلية أكثر من الأغصان الباسقة والجذور المترتبة في مياه النهر. وهو ما يصدم في حالته، إذ هو في صنيعه الكتابي أرق من وقفته المنحوتة، التي تبدو في أكثر من لوحة، شبيهة بوقفه عضو في مجلس الشيوخ الإمبراطوري بروما.

متكلم : أهنأك فارق إلى هذا الحد؟

متكلم : هو أشد مما تعتقد؛ إذ إن اللوحات العديدة عنه تبدو أقرب إلى صور «السوبر ستار»، فتروي «نجوميته» وتذيعها، وهو ما كان غير معروف بعد؛ لعدم وجود الصورة الفوتوغرافية، عدا أن الجريدة ما كانت تعتني بعد إلا بأخبار الملوك، وسفن الشركات العابرة للمحيطات، وأخبار الأسواق التجارية.

متكلم : الأشجار فرانكفورت صلة بكتاب غوته أم بهذا الممدد أمانا؟

متكلم : لعلك تجري حديثاً صحفياً معي من دون أن أدري أو أن تدري.

متكلم : لا، أنت الذي انسقت إليه. لماذا؟

متكلم : ربما الكلمات تجر الصور... ربما الصور تجر الكلمات...

(بعد توقف قليل) ربما أجربها بشكل مُلتو، فيفيد الكلام لك ولغيرك في صورتين

متباينتين.

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : قد يكون هناك مشهد آخر يتخلل ما قلت، ولم تكن أنت المعني به، ولا هو (دالاً على الممدد).

متكلم : ومن المقصود به؟

متكلم : هي، حيث هي...

(بعد تردد) حيث تنتظر تحت شجرة، على أن أوراق شعرها أرق من اهتزازات غوته. حيث انها -إذ تتكلم- تكاد أن توشوش، أو تهمس، لك وحدك، من دون غيرك، مثل ورقة إلى ورقة فوق قوارب الهواء.

متكلم : ولماذا هذا الممدد؟

متكلم : لأنني مثله... مجمّد في انتظار أن أعود إلى حيث الشجرة.

متكلم : وما علاقة وقفة غوته بصورته؟

متكلم : الصورة قديمة وإن مُحَوَّرة، والكلام هو أقرب إلى التأتأة حين ينصرف الشاعر إلى سماع صوته الداخلي، أو حين يجد أن لأصابعه -على الرغم من مكتبه الفخيم- شرايين تصلها باهتزازات جسمه.

متكلم : لم تُحدّثني سابقاً على هذا المنوال!

متكلم : لأن منوالي له خيطان متعدّدة، ودعسات مختلفة.

(يقف الممدد).

متكلم (متوجّهاً بكلامه إلى الممدد): أليس لك أن تقول شيئاً بعد هذا الغياب؟

متكلم (الممدد الواقف): ما توانيْتُ عن التَّنَفُّس من دون أن أتكلّم.

(مستدرّكاً)... لكنني سمعت كما لو أنني أقرأ.

متكلم : ولو تكلمت؟

متكلم (الممدد الواقف، كأنه يجيب): لو كنتُ شجرة في فرانكفورت

لَمَا فتحتُ كتاباً؛

لو كنتُ ورقةً

لَمَا كتبتُ شيئاً؛

لو كنتُ غصناً

لَكُنْتُ عصا للحروف،

وللكمان؛

لو كنتُ جَذْعًا لها

لأَمَسْتُ بها في قُبْلَةٍ خَتَامِيَّةٍ بعد نهاية الجملة.

متكلم : وأنا تحدثت معها كما لو أنني أكتب لغيرها، وعن غيرها.

متكلم : لا تتوانَ عن اللعب.

متكلم : لا أتوانى عن أن أكون أنا، ولنفسي، وعن أن تكون الكتابة اهتزازة...

متكلم : متكلم (مقاطعا): ... لشجرة في فرانكفورت.

(عتمة).

متكلم (مستوقفا أحدهم): مَنْ أنت؟

متكلم : حاملا حقيبة يد: أنا فلسطيني. وأنت؟

متكلم : أيّا كان.

لماذا تُشهرُ هُويَتَكَ؟

أنت الوحيد الذي فعلها. لماذا؟

الفلسطيني : لأنني كذلك.

متكلم : أين يقع بلدك؟

الفلسطيني : بين وَعْدَيْن.

متكلم : اجلس قليلاً؛ تبدو عليك العجلة دوماً.

الفلسطيني : لا، لقد مضيتُ منذ وقت بعيد، وتأخرتُ في الوصول.

متكلم : أهنأك مَنْ ينتظرك؟

الفلسطيني : الحبة على شُباك الشرفة، وحسابات مُوجَّلة.

متكلم : الحسابات تنتظر...

(مستدركا) هذا الكلام عن الحَبَقَةِ سمعته منذ وقت، أَسْرَقْتَهُ؟

الفلسطيني : لن تذبل حبقتي، ولا غيرها، طالما أن أحداً يرويها يوماً بعد يوم.

متكلم : ولماذا الحبة؟



الفلسطيني : لأنني إن لم أقرب منها، لا أشم رائحتها.  
متكلم : أعود فأكرّر: أنت بدورك تتحدّث عن حَبَقَة.  
الفلسطيني : لأهلنا أكثر من حَبَقَة على شرفات منازلهم.

وما المشكلة؟

متكلم : بلاغية، إن شئت.

الفلسطيني : ...

متكلم : أهي تنتظرك؟

الفلسطيني : طبعاً.

وأنت من تكون؟

متكلم : أنا ضَجِر. أهذا يكفي؟

أتريد أن نلعب؟

الفلسطيني : بماذا؟

متكلم : بلعبة الأسماء.

الفلسطيني : لعلك أستاذ لغة: هذا ما قلته لنفسي.

كيف تكون اللعبة؟

متكلم : أقول لك حرفاً فتذكر أسماء موافقة.

لو تبدأ...

الفلسطيني : حرف الفاء.

متكلم : فتنة. فاتورة. فسخ. فتك. فلسطين. فرس. فقيد. فلس الفقيرة...

الفلسطيني : ... أنعلم أنه في إمكاني تأليف جملة بل أكثر من هذه الألفاظ؟

متكلم : تعود بي، فيما أريد الهرب والتملّص.

أنا أسألك: حرف الباء.

الفلسطيني : بارودة. بركة. بيت. بكيث. بيدر. بنت. بندورة...

متكلم : ... أنعرف أن لكل لَفْظٍ قَاطِرَةً في حدّ ذاته؟

الفلسطيني : يمكنني أن أوْلِفَ منها قطارًا متسلسلاً.

متكلم : لا، لكل قاطرة وجهتها.

الفلسطيني : ماذا تعني هذه اللعبة؟

كيف نربح؟ كيف نخسر؟

متكلم : وإلا؟

الفلسطيني : أتريد أن تذبل الحبة؟

متكلم : هذا يعينك، لا يعينني.

أريد أن ألهو، أن أنسى...

هل انتبهت إلى أنهم ما أذاعوا بعد أي بيان منذ احتجازنا؟

الفلسطيني : هذا صحيح. لكن ذلك جرى قبل دقائق قليلة.

متكلم : لا، منذ وقت بعيد.

الفلسطيني : لا، بدليل أن ذقنك حليقة تمامًا.

متكلم : غير أن جُملي ذُبَلت، بل تَرَهَّلَت.

ألم تنتبه إلى أنني لا أقوى حتى على تَلْفِظِ الجُمَلِ، كما في لحظات التعارف الأولى  
بيننا؟

الفلسطيني : ألهذا تريد أن تلهو؟

متكلم : ...

الفلسطيني : قد يكون لكل منّا سبب خاص في طلب اللهو: أنت تريد أن تطيل السفر، ولو في  
صالة ترازيت، وأنا لست مستعجلًا للوصول، مهما طال الوصول.

متكلم : لا، أنا تعبٌ من مجرد السعي، وأنت لا تزال تأمل بعطر محفوظ.

(عتمة).

متكلم (يستوقف أحدهم من المتكلمين): سبق أن قلتَ أمامي: «أَمْصِمَص»: أهذا من  
العربية؟

متكلم : أَنْتَ ضَجَرٌ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟

متكلم : السُّؤَالُ يَعْنِينِي.

متكلم : مَا كَانَ السُّؤَالُ؟

متكلم : أَنْسَيْتَ؟

متكلم : لَا، أَنَا أَتَأَكَّدُ مِنْ إِصْرَارِكَ.

متكلم (راكعا): «أَمْضِمُصُ»، أَهِيَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ؟

متكلم (شارحا): هَذَا مَا أَحْتَاجُهُ. هَذَا مَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ.

هَذَا مَا أَسَالُ الرِّيقَ عَلَى شِفَاهِي.

متكلم : عَنْ أَيِّ شِفَاهٍ تَتَحَدَّثُ؟

متكلم : عَنْ شِفَاهِهَا.

متكلم : مَنْ هِيَ؟

أَهِيَ الَّتِي تَجْتَمِعُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَمْ فِي لِسَانِكَ؟

متكلم : لَعَلَّكَ نَازِرٌ عَامٌّ فِي حَوْشِ مَدْرَسِيٍّ لِلْأَطْفَالِ، أَوْ مُحَقِّقٍ قِضَائِيٍّ.

متكلم : لَكِنَّكَ لَمْ تَجِبْنِي.

متكلم : بَلَى.

متكلم : لَعَلِّي سَهَوْتُ. لَعَلِّي أَتَغَابَى.

متكلم : الْهُوسُ الَّذِي لِي فِي أَطْرَافِ أَصَابِعِي يُقْبَلُ عَلَى عَمَلِهِ مِثْلَ نَحَاتٍ عَلَى حَجَرِهِ: أَنَا،

مِثْلِهِ، أُرِيدُ أَنْ أَبْنِيَ.

متكلم : كَيْفَ؟

متكلم : كَمَنْ يَقْلَعُ صَخْرًا، وَيَعَالِجُ حَجَرًا، بِمَا يَنْزِلُهُ فِي مَنَازِلٍ جَدِيدَةٍ، بِمَا يَجْعَلُهُ حُضُورًا.

ذَلِكَ أَنْ جَارِي -أَتَذْكُرُهُ فِي جَلْسَةِ قَبْلِ الظُّهْرِ؟- يَسْتَعْمِلُهَا مِثْلَ قَلَمٍ مُدَرَّبٍ، أَوْ مِثْلَ

ارْتِجَالٍ ظَاهِرِيٍّ يَكْشِفُ عَنْ تِمَارِينِهِ الْعَدِيدَةِ وَالْمُتَكَرِّرَةِ.

أُرِيدُ، كَمَا الْمَصُورُ، أَنْ أَخَفِّفَ الْأَلْوَانَ، أَنْ أَعْدِلَهَا، أَنْ أَجْعَلَ لَهَا ظِلَالًا، أَوْ أَنْ تَشْرُقَ

بِقُوَّةٍ.

متكلم : أهذا ما تقوى عليه؟

هذا صعب؛ لِلُّغَةِ ثِيَابٍ مستعملة، تحمل معها خيالات مَن غادروها للتَّو، منذ زمن بعيد، فلا تظهر من دونها، بعكس اللون أو الحجر.

متكلم : أنذهب إلى المصبغة أم إلى الخياط؟

متكلم : أتعلم أن للجماليات سحرًا خصوصيًا في ما يلبسون، في ما يظهرون، وإن كان قديمًا؟

متكلم : ...

متكلم (مُضيفًا): ذلك أَنَّهُنَّ يُحَسِّنُ لِبَسَهُ، تشكيله مع غيره، عدا أنه مكويٌّ بِأَلْقٍ مَن خرج للتَّو من علبة العيد.

متكلم : أَمَا لاحظتَ أنك شبهتَ نفسك، وفعلك، بما تفعله الآنثى؟

متكلم : وما في الأمر؟

متكلم : أَلَا ترى غرابَةً في هذا؟

متكلم : لا؛ لأن الكاتب- الذَّكَرَ أنثى بالضرورة؛ إذ يكتب: أَلَا تراه مُلْزَمًا بِإظهار ما يكتبه، باستمالة القارئ إليه، بتحري عواطفه المتناقضة، بل المتموجة بين رَجُلٍ وامرأة؟

متكلم : والآنثى إذ تكتب؟

متكلم : قد تكون ذَكْرًا؛ إذ تصدر الجملة مثل حيوان أسطوري.

متكلم : إن فهمتُ جيدًا: قد يكون، قد تكون، بين- بين.

متكلم : هنا وهناك وهنالك، هذا وذاك وتلك وهؤلاء وأولئك واللواتي وكل ما حملت اللغة من علامات تسمي وتُعين: كُلُّها بتصرُّفه، بتصرُّفها، تبعًا لميله وميلها، في هذه الجملة أو في ذاك المقطع، بما يقيمه، ويقيمها، ناطقًا...

متكلم : \ (مقاطعة): ... أو متكلمًا، مثلما نفعل هنا.

متكلم : ...

متكلم : ما لك قد صمت؟

متكلم : لأنك قلتَ ما تقول، وما لي أن أقول، في آنٍ معًا. كما لو أنك استبقت...

متكلم : \ (مقاطعة): مَن نكون؟ مَن تكون؟

متكلم : نكون في اللغة.

متكلم : اللغة بيتنا، كما قال أحدهم...

متكلم : (مضيفاً): ... وحيث نعمل خصوصاً.

متكلم : وإن لم نعمل؟

متكلم : نبقى ساكنين، مثل ستارة مطوية على أشباح وخيالات ما لا يظهر أو يتحرك، فيما هو موجود.

متكلم : مثل ستارة أو كفن؟

متكلم : لا، هم لا يموتون أبداً: يعملون في الخفاء، فوق كراس هزازة، تحت أنوار خافتة، يتبادلون خيطان ما يجمعهم، حول بكرة صوف، في سهرة شتاء...

متكلم : (مضيفاً): ... فلا تميز بين خيطانهم وأصابعهم.

متكلم : (مُشدداً): وعند الانصراف إلى العشاء، يخدمون أنفسهم بأنفسهم، ظانين أنهم السادة الوقورون، فيما هم يخدمون -واقعا- سادة غير منظورين، ولهم مهابة.

متكلم : ألم نصبح في أحد قصور أغاتا كريستي؟

متكلم : ربما. هناك جريمة خافية، مُعقدة، لا يتوصل إلى كشف القاتل فيها، في النهاية، غير المؤلف نفسه.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأن القتل هم -في العملية نفسها- المقتولون أنفسهم.

متكلم : أهنأك قتل أم هي نهاية كتابية؟

متكلم : لا فرق.

متكلم : إلا أنها قد لا تكون مُمكنة.

(مشدداً) هذه جريمة مستحيلة.

متكلم : لكنها مُمكنة.

ألم تتابعها معي؟ ألم تستنكرها؟

متكلم : بلى.

متكلم : إذن، هي هنا.

لقد حصلت.

متكلم : لكنك نسيتَ السؤال.

متكلم : ما كان؟

متكلم : نسيتُ بدوري.

متكلم (مغادرًا): أراك...

متكلم (مقاطعًا): ... في حوار أكيد.

متكلم : حكمًا.

(عتمة).

متكلم : بما إننا ننتظر، دعونا لا ننتظر. دعونا...

متكلم : (مقاطعًا): ... دعونا نكون.

متكلم : وكيف نكون؟

متكلم : أنا أريد أن أصل إلى حياقي.

متكلم : أين تقع؟

متكلم : وجدتُها مُلقاةً على هامش الحديقة في المرّة الأخيرة.

متكلم : وأين كنتَ؟

متكلم : في غَفْلَةٍ عنها.

متكلم : وإذ تنتبه، وتستيقظ، ماذا تفعل؟

متكلم : أتَحَسَّرُ عليها.

متكلم : ولمَ لا تنتقل إليها؟

متكلم : لأنها تكون قد انتقلت من جديد.

متكلم : إذن؟

متكلم : علي أن أصل في أقصى سرعة... مباشرةً.

متكلم : تأخَّرتَ كثيرًا، على الأرجح.

متكلم : ما أن أصل، لن أفارقها، مثل حبيبين في أرجوحة، في حديقة.  
 متكلم : ألا تتبادل مع الحبيبة القُبَل، وإن في حديقة؟  
 متكلم : بلى، لكنني مستعجل.  
 متكلم : لعلك خرجت من الحديقة من جديد.  
 متكلم : (راكضًا): أنت تلهو؛ دعني أصل.  
 (عتمة).

المخرج : (يظهر من دون تمهيد): لقد وجدت...  
 متكلم (مقاطعًا): ... ليس لك أن تتفوه بأي كلمة...  
 متكلم (مشددًا): ... ولا بأي إشارة.  
 متكلم : لك أن تخرج.  
 المخرج : (متذمرًا): لكنني المخرج.  
 متكلم : لك أن تنتظر خلف الصفحة، أو في أقرب نقطة بعد البوابة تلك (دالًا إلى جهة).  
 (يخرج المخرج وفق الوجهة المرسومة).  
 (صمت).

متكلم : أتعرف إنني وجدت لفظًا جميلًا للكينونة، غير مُستعملٍ في الكتابة؟  
 متكلم : أين وجدته؟  
 متكلم : في المعجم.  
 متكلم : ما هو؟  
 متكلم : «كينة»... كينة الإنسان.  
 متكلم : وبعد؟  
 متكلم : لا شيء؛ إنه موجود، وله قوة كامنة.  
 متكلم : وبعد؟

متكلم : أتعرف أن هذا اللفظ يختلف عنك؟

متكلم : كيف ذلك؟ ما صَلَّتي به؟

متكلم : أنت موجود من دون نفع، وهو نافع من دون أن يكون موجودًا.

متكلم : (خارجًا): شكرًا.

(صمت).

متكلم : إلى أين تمضي؟

متكلم : إلى حيث لي أن أصل.

متكلم : ولم تمضي؟

متكلم : لأن الهواء سبقني...

(يشرع في المشي) ها هو يدفعني.

متكلم : وكيف عرفت؟

متكلم : (مُسْتَمِرًّا في المشي): أرجوك، ابتعد عن طريقي.

(صمت).

متكلم : لا أحد يأتي وحده؛ كل واحد يصل مع مُتَعَلِّقَانِهِ.

متكلم : والمعجم؟

متكلم : ما له؟

متكلم : أليست له غُرْفٌ مُنفَرَدَةٌ؟

متكلم : بلى، ولهذا هو بيت افتراضي.

(صمت).

متكلم : ماذا قلتَ؟

متكلم : ...



متكلم : ماذا قلت؟

متكلم (مغمغماً): ممممممم.

متكلم (ممسكاً بثوبه بشيء من التهديد): ماذا قلت؟

متكلم : هذا ما كنتُ أتوقعه.

متكلم (ثالث، متدخلًا): لكنك لم تجب.

متكلم : بلى.

متكلم : ماذا قلت؟

متكلم : ما لا يجعله يسك أكثر من ثوبي.

(عتمة).

متكلم : ...

متكلم : أتعلم ما قرأت عن أحدهم؟

متكلم : وكيف لي أن أعلم؟

متكلم كان شاباً قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت كأنه يعلم.

متكلم (متوقفاً عن حركته، ناظراً إلى المتكلم الآخر): أتعلم ما سمعتُ عن أحدهم؟

متكلم : وكيف لي أن أسمع؟

متكلم : كان شاباً يتحرش بالآخرين وكأنه يحاور، ويثرثر كأنه يعرف.

أتعرفه؟

(ينصرف من جديد إلى ما كان يفعله).

متكلم : ...

(عتمة)

متكلم (في العتمة): لم يبق لي غير أن أمضي، إلى أي مكان. من دون حقيبة. من دون

تذكرة. معي هذه الاستعارة التي لها أكثر من عَرَبَةٍ وظلالٍ وقيلولات هائلة.

(صمت).

متكلم (في العتمة): جلس حَجَرٌ إلى مائدة غُبارٍ، من دون أن يأكل، من دون أن يشرب، غير أنه مَسَحَ فَمَهُ بطرف مريسته، ونزعها عنه، واستلقى في قيلولته، مثل مَلِكٍ له حرسٌ يحرِّكون جوقاتِ هواءٍ، بما يطرد خفافيش القلق، وله رعية راضية تتسَقَطُ قَتَمَاتُهُ عن بُعْدٍ: سواء جلس أو استلقى، يكون الحجر أكيداً لغيره، من دون جهد، منصرفاً - من دون علم أحد، مثل الملك - إلى تَرَدُّدَاتِهِ الْخَفِيَّةِ.

متكلم (في العتمة): لماذا تشبَّه بـ«الملك»؟

متكلم (في العتمة): لأنه مخلوع من الاستعمال.  
(عتمة).

(تحت أضواء خافتة، يمشي أحد المتكلمين والقامة البيضاء ذات الحذاء الأسود في اتجاهين مختلفين).

متكلم (يستوقفها): سامحيني، ما انتبهتُ في السابق إلى أنك امرأة.

القامة : (تتوقف): أظنُّ؟

متكلم : لو تكَلَّمْتُ لعرفتُ.

لماذا لم تتكَلَّمِي؟

القامة : قَمَشْتُ، تَنَزَّهْتُ، كَتَبْتُ، تَفَرَّجْتُ... ألا يكفي؟

متكلم : في كلامكِ إدانة.

القامة : لا، فيه اقتصاد ودراية.

متكلم : أيكُنَّا أن نتعارف؟

القامة : ها نحن نتحدث؛ ألا يكفي؟

متكلم : أما مللتِ من الانتظار؟

القامة : بلى.

متكلم : لنسرع الخطى؛ من تكونين؟

القائمة : وحيدة بين مجموعة متكلمين.

متكلم : أأنت متزوجة؟

القائمة : بَمَ يفيد الجواب عن هذا السؤال؟

(بعد توقف) لك أن تخمّن.

متكلم : ...

القائمة : القائمة (مستدركة): إلا أنك مثل غيرك، إذ تخرج تستحسن الصيد فقط.

متكلم : كيف ذلك؟

القائمة : ماذا لو نتراسل إلكترونياً؟ (دالة على ما يحمله المتكلم على كتفه) أليست هذه

حقيبة حاسوب؟

متكلم : ألم نفعلها سابقاً؟

(وقفة).

(يضع حقيبته على طاولة، ويشعل الحاسوب؛ وهو ما تفعله بدورها. فوق الشاشة

العالية، المضاءة وحدها، تظهر تباعاً جمل الدردشة الإلكترونية):

متكلم : أأنت خجولة إلى هذا الحد؟

متكلم : أتريد ابتزازي إلى هذا الحد؟

متكلم : لعلك من هواة التّعري، ولكن بالكتابة؟

القائمة : لعلك أنت نفسه، فوق طاولة في مقهى، أو في عتمة حاسوب.

متكلم : أتعرفيني إلى هذا الحد، وأنت لم تبادليني سوى عبارات قليلة؟

القائمة : ما أعرفه هو أنك لا تبالي بالحاسوب، وبما لك أن تكون فيه وبواسطته.

متكلم : أنا أستعمله مثل «الدكتيلو». وأنت؟

القائمة : مثل صاروخ له رؤوس متعدّدة.

متكلم : أتُحسن النوم مع رجل وأنت في طائرة؟

القائمة : أتُحسن شيئاً غير الدوران حول تنوّرتي؟

متكلم : لماذا طلبتِ الدردشة معي؟

القائمة : يعنييني فَعَلْهَا مع مَنْ لا أعرف.

متكلم : تطلبين لقاءاتٍ غامضةً، إذن.

القائمة : لا، مع أناسٍ مغموري الهيئات ومجهولي السلوكات.

متكلم : وماذا يقولون في الدردشة؟

القائمة : احتمالات واحتمالات، ما يشير مُحَيَّلَتِي...

متكلم : إلا أن هذه العلاقات -إذ تنتهي في الفراش- لها هيئة الشراشف نفسها.

القائمة : هذا ما تعرفه، لا ما أعرفه (بعد تَوَقُّفٍ) لا ما عرفتُ.

متكلم : تبالغين في ما تقولين.

القائمة : لا، أنت مُقَصِّر ومحدودٌ في ما تعيش.

متكلم : أخبريني سرّاً.

القائمة : لعلك لم تفهم بعد أنه لن يكون هناك شيء بيننا... حتى الدردشة معطوبة سَلَفًا.

متكلم : لمَ دعوتني إليها؟

القائمة : لكي تعرف بأني لست حرف جرٍّ، ولا واو عَطْفٍ، فتحشرنِي في جملة مَبْنِيَّةٍ سَلَفًا.

متكلم : أنت مُزَعِجَة.

القائمة : أنت لا تزال تقف أمام بوابة المدرسة للتحرُّش بالصبايا.

متكلم : لا، بدليل أنني قريب منك.

القائمة : اقتربتَ بضع خطوات؛ غير أنك لا تعرف سوى التحرُّش.

وما يضربك في التَّحَرُّش؟

القائمة : أن أكون طريدة، لا مُشتهاة.

متكلم : أَمَا انْسَقَتْ مَرَّةً إثرَ تحرُّشٍ بك؟

القائمة : هذا أول لَفْظٍ مناسب تستعمله في هذه الدردشة؟

متكلم : أوف. أوف... هذا أول لفظ جميل تقولينه لي.

القائمة : بلى، دَعَوْتُكَ أكثر من مرة، إلا أنك لم تُحَسِّنِ التقاط الإشارات.

متكلم : وكيف كان لقاءك به؟

القائمة : اللقاءات الحميمة أعيشها، لا أروها.

متكلم : ألا تكتبينها؟

القائمة : أحياناً، لكنها تصبح أخرى، بما يثير شهوتي من جديد.

متكلم : أيسعني اللقاء بك خارج الحاسوب؟

القائمة : ليس لك أن تطلب الإذن؛ لك أن تحاول.

متكلم : إلى اللقاء.

القائمة : الوداع.

متكلم : أرجوك... لماذا قلت الوداع.

القائمة : حاول أن تستعيدني من حيث سأكون.

(يقفلان الحاسوب: تنصرف إلى كتاب تسحبه من حقيبتها اليدوية، فيما ينهض

المتكلم ويتمشى كما لو أنه يبحث عن أحدهم).

(عتمة مديدة).

صوت منفرد (في العتمة): اشتيئ أن أسافر، من دون أن أصل؛

أن أبقى في وعد الصدى؛

وحيداً، بل منفرداً، كما يقولون، مثل: عزف منفرد، وطيف منفرد، وصوت منفرد...

أتقدم، فلا يعترضني أحد؛

أتمدد، فلا يوقظني أحد؛

أبكي، فلا ينافسني أحد...

هكذا، مليئاً، من دون تُخمة،

ومبتعداً، من دون أن أكون منزوياً،

ومستغرقاً في ما أقول، في ما أفعل، من دون أن أتنفس الصعداء...

(بعد توقفٍ) ألا أطبق مثل لونٍ على مكيدته، أو مثل شكٍّ على مُشْتَبِه به؟



متكلم : أَيْكون هذا رَأْفَةً بقاضي الجاحظ في البصرة؟

متكلم : ...

متكلم : هل أنت قادِرٌ على حَكِّ أصبعي؟

متكلم : لا.

متكلم : وَلِمَ طلبتَ مني أن أطلبه منك؟

متكلم : لكي أعتذر عن القيام به.

متكلم : وماذا تطلب مني أن أطلب منك وتُحسِنُ القيامَ به؟

متكلم : أن أغفو، وعيناَي يقظتان.

متكلم : أأنت قادِرٌ على ذلك؟

متكلم : طبعًا. أَمَا انتهيت إلى أنني لم أجد حاجة بعد لحلق ذقني؟

متكلم : وأنا كذلك.

ما السر في هذا؟ أهذا يَخْصُنَا نحن فقط؟

متكلم : لا أعتقد.

متكلم : لم تُجِبْنِي!

متكلم : لا جواب عندي. وأنت بماذا تجيب؟

متكلم : أقول بأننا لم نصل. هذا يفسِّر كلَّ شيء.

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : هل تطول لحيتك كثيرًا بين خروجك من الطائرة واستلام الحقيبة؟

متكلم : لا، في الغالب. لكنها تطول أحيانًا.

متكلم : أهذا ما حصل لك؟

متكلم : هذا ما رواه لي أحدهم، وهو أنه لما دخل إلى الحمام في الطائرة، تحقَّق فجأة من

وجود عدَّة شعيراتٍ بيضاء في رأسه.

متكلم : لعلَّه خاف من ركوب الطائرة.

(مستدركا) لكنه ما كان قد وصل بعد!

متكلم : فعلاً. أنا لا أعرف الآن كيف اقتنعتُ بما قاله لي.

أأنتَ أكثر ذكاءً مني؟

متكلم : لا، أكثر انتباهاً لما يُقال.

(مستدركا) أما انتبهتَ إلى أننا لا نقول شيئاً؟

متكلم : فعلاً، لعلك أكثر ذكاءً مني.

(بعد تردد) ماذا نفعل؟

متكلم : لنصمت.

متكلم : أهنأك تنتهي حدود الذكاء؟

متكلم : لا، بل حدود الغباء.

(صمت).

متكلم : آه! لو أختفي في لفظ!

متكلم : ما سيتأتى لك من ذلك؟

متكلم : أكون قد اختفيت، وما رأيت، وما سمعت.

متكلم : لعلك تطلب الملجأ خشيّةً من تفجير أو من قصف.

متكلم : أو من قباحة.

متكلم : متكلم (مستكملاً ما بدأ بقوله): أكون قد امتنعت حُكماً عن التّكالم.

متكلم : ولمَ قبلتَ بأن تكون متكلماً؟

متكلم : لكي أقول ما يصونني في الحياة من الحياة...

متكلم : متكلم (مقاطعاً): ... ما يصونك في اللفظ واقعاً، أليس كذلك؟

متكلم : أليس للفظ حياة؟

متكلم : بلى، لكنها مُتَخَيِّلَة.

متكلم : هذا يرضيني.

متكلم : هنيئاً لك بما تطلب.



متكلم : هذا لا يكفيني.

(صمت).

متكلم : (جالس مع آخر على مقعد): لَكُنَّا نَقْوَى على القيام والجلوس (يقوم ثم يقعد)...

متكلم : (مقاطعًا): ... وعلى الكلام خصوصًا.

متكلم : كما نقوى على الانتظار. لأننا نفكر فيه ونخطط ونتأمل ونشتهي ونحلم ونجول في

أماكن بعيدة، ونحن على مقعد. أليس كذلك؟

متكلم : أقوى على التمدد، لا على النوم.

أقوى على التكلم من دون انقطاع، لكنني لا أجوع أبدًا... هل تجوع أنت؟

متكلم : لا، وثوبي مُرتَّبٌ دومًا.

متكلم : كيف تعرف هذا كله؟

متكلم : لك أن ترى وحسب؛ لك أن تعرف هذا: الانتظار ليس مقعدًا خاليًا فقط، وليس

مشغولًا فقط بهواء من يُنتظر قدومه.

متكلم : فعلاً.

الانتظار عَيْشٌ ووَعْدٌ.

متكلم : لكنني أضجر.

متكلم : وأنا كذلك.

لا نحسن -من دون شك- جعل الانتظار مفيدًا...

متكلم : (مقاطعًا): ... ولا مُسليًا خصوصًا.

(عتمة).

(القامة ذات اللباس الأبيض والحذاء الأسود جالسة، في عتمة خفيفة، على مقعد.

يدخل متكلم، ويجلس إلى جانبها).

متكلم : (ناظرًا إليها): لعلك أنت...

القامة (ناظرة إليه): توقعتُ وصولك بين خطوة وأخرى.

متكلم : أسمع صوتك لأول مرة.

أرى إلى وجهك لأول مرة.

كأننا على موعد.

صوت (في العتمة، معتزًا): هذه لي... (مصحًا، مستعيدًا) كأننا على موعد.

(القامة تدير رأسها بحثًا عن مصدر الصوت).

متكلم (متوجهاً إليها): أسمع صوتك لأول مرة.

أرى وجهك لأول مرة.

القامة : أجلس منذ وقت على مقعدي هذا، من دون أن يبادلني أحدُ أي عبارة.

(مستدركة) حتى أنتَ وصلت إلى هنا بالصدفة!

متكلم : لا، كنتُ أبحثُ عنك.

القامة : كان يكفي أن تتلفظني لكي تجدني.

متكلم : هذا لا يكفي: أريد أن أراك. أن ألمسك. أن...

القامة (مقاطعة): ... هذا لا يكفي: أريد أن أشمَّ عطر كلامك وإن لم تصل. أن أمدَّ لك

يدي في الرقص إذ تكون غائبًا. أريد أن أسمعك وإن لم أرك. أن...

متكلم (مقاطعة): ... ولم تتجنَّيني؟

القامة : لأنني عمياء.

(عتمة).

متكلم (داخلًا، واقفًا على مقربةٍ من متكلمين، هامسًا): افتضح أمرنا.

متكلم : مَنْ أنت؟

المخرج : أنسيتم؟

متكلم : وما هذه الثياب؟

متكلم : مثل ثيابكم. أنسيتم أننا خضعنا -كلنا- لعملية تبادل ثياب.

ممثّل ١ : الغريب أنه لم يعترض أحد!

ممثّل ٢ : كما لو أننا ندخل معًا إلى غرفة عمليات في مستشفى، ونحتاج بالتالي إلى لباسٍ مُعَقَّمٍ وواحد.

ممثّل ١ : فعلاً.

ممثّل ٢ : (بصوت عالٍ): ماذا تقترح؟

أن نكشف عن هويّتنا.

ممثّل ١ : : عرفوا ذلك سابقاً.

لعلك نسيت...

لعلك اندمجت...

المخرج : لعلكم نسيتم، لا أنا.

(مشدداً) لنا أن نتمرّن.

ممثّل ٢ : لماذا؟

المخرج : هذا أفضل.

ممثّل ١ : : أَقْنَعْنِي.

المخرج : سيكون تمرّيننا دليلَ أمل.

ممثّل ٢ : كيف ذلك؟

المخرج : سيكون دليلاً مُمكِّناً على إيماننا بالخروج من هنا.

ممثّل ١ : فعلاً... لنا ولغيرنا.

ممثّل ٢ : وماذا على المتكلّمين الآخرين أن يفعلوا؟

المخرج : ليتفرّجوا.

متكلّم (جديد، داخلاً عليهم): لا، أنا أُمثّل.

المخرج : عند الضرورة.

متكلّم (داخلاً عليهم مع غيره من المتكلّمين، مُردّداً كل واحد منهم): وأنا أيضاً.

المخرج (مُجيباً الجواب نفسه، عند سماع عبارة كل واحد منهم): عند الضرورة.

(وقفة).

متكلم : (يفتح إحدى المجموعتين الخشبيتين، ويستخرج منها -كما من دُرَج في مكتبة- ورقة كبيرة، أشبه بإعلان، ثم يستخرج من المجموعة الثانية جرسًا صغيرًا. يحمل الجرس بيده اليمنى، والورقة بيده اليسرى، مثل إعلان معروض للفُرَجَة. يقرع الجرس ثلاث ضربات، ثم يقول بطريقة استعراضية):

من حقَّ المَلِك ألا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرك يده معه في صحيفة.  
من قوانين المَلِك أن توضع بين يدي كل رجل صحيفة، فيها كالذي بين يدي المَلِك، ولا يخص المَلِك نفسه بطعام دون أصحابه.  
من حق المَلِك، إذا رفع يديه عن الطعام، أن ينهض عن مائدته كل من الحاف بها، حتى يواروا عنه بجدار أو حائل غيره.

متكلم : (يدون، على ورقة صغيرة، الوارد في الإعلان، ويتساءل): ماذا يعني: «كل من الحاف بها»؟

متكلم : (السابق): أي الجالسين معه إلى المائدة نفسها، ممَّن يحيطون بها.  
(ما أن يجيب يختفي).

متكلم : (آخر، يقوم بالعملية نفسها بعد أن يأخذ الجرس من السابق، ويقول):  
تري المَلِك يحتاج إلى الوضيع؛ لِلْهُوهِ، كما يحتاج إلى الشجاع؛ لِلبأسهِ، ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى النَّاسِك لِعِظَّتِهِ، ويحتاج إلى أهل الهزل كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المُتَقِن.  
(يتوقف مترددًا في الانصراف) أَمَا مِنْ من سؤال؟

(ثم ينصرف).

متكلم : (ثالث، يقوم بالعملية نفسها):  
من حقَّ المَلِك ألا يطيل أحدٌ عنده القُعودَ.  
من حق المَلِك ألا يدنو منه أحد.  
من حق المَلِك إذا تَبَدَّلَ مع أحد، وأنسَ به حتى طاعمه، ألا ينبسط بين يديه في مطعمه.

من حق الملك ألاَّ يحدث على طعامه بحديث جد ولا هزل. وإن ابتدأ بحديث،  
فليس من حقه أن يعارض بمثله. وليس فيه أكثر من الاستماع إلى حديثه، والأبصار  
خاشعة.

متكلم : ماذا تعني: «خاشعة» هذه؟

متكلم : أي: منخفضة، فلا ينظرون إلى الملك.

متكلم : ولم لا ينظرون؟

أهو الشمس يخاف من أذاها من يطيل النَّظَرَ إليها؟

متكلم : (معتزاً): لم تتلوها على مسامعي؟ ألا يكفي أن أتلقها بعيني؟

أحد المتكلمين (السابقين): لا، لأنك من جماعة «حُسن الاستماع».

متكلم : من قال لك هذا عني؟

متكلم : الجاحظ نفسه.

متكلم : وماذا قال تحديداً؟

متكلم : قال إنك تتفرّج على الفيلم العربي وأنت مُغمض العينين.

متكلم : وماذا قال لك أيضاً؟

متكلم : إنك تستطيع -إن شئت- أن تتفرّج على أربعة أفلام دفعة واحدة، من دون أن  
يفوتك منها شيء الكثير.

متكلم : أهذا من باب الجد في معرض الهزل أم العكس؟

(عتمة).

متكلم : (مستوقفاً أحدهم): ألي أن أشارك معك في واقعة جديدة؟

متكلم : (متوقفاً): ولم تسأل؟

متكلم : لأنني أحسب أننا لا نزال واقعين بعد حاجز «الحدود».

متكلم : ليس لي هذا الشعور... أما تابعتَ تمارين الجاحظ؟

متكلم : ...

متكلم : أشعر بأنه مضى زمن عميق. وأن للكلمات أراجيح وأسرة ومقاعد انتظار ومُنزَلَقَاتٍ  
وسُبُلَ مرورٍ سريعة، ما يمكنها من الانتقال والتمدد والتوقف والتردد...

كما إن للكلمات -على ما أشعر- ما تحمله، مثل ثمر، أو هدايا للاستلام، أو عطر  
ينتشر بعد غياب من أذاعه...

متكلم (متأففاً): للكلمات حياتها: قلتَ هذا غير مرة.

متكلم : أما فتحت قصيدة ووجدت فيها أبعد من نزهة، وأعمق من مياه جوفية، وأعلى  
من غيمة، وأسرع من تهمة؟

أما وجدت القصيدة تستقبلك -ما أن تخرج منها- على غير ما دخلت إليها؟

أما انتبهت إلى أنك تحتاج إلى وقت، بعد القراءة، لكي تتلقف الوعد؟

متكلم (مؤيداً): بلى، بلى، بدليل أنني انتشيتُ، ما أن مددتُ يدي بين الأوراق بحرص  
الأكيد من وديعته.

متكلم : فعلاً. فللحروف قوامٌ هو الذي لشريكة الرقص... القوام المشيق الطافح برغبة  
تفيض حتى عن الساهرين في ظلال سجاثرهم.

متكلم : لعلها رغبة لها دخان... ألهذا نشمُّها؟

متكلم : ولها دفاء... ألهذا توقد أجسادنا؟

متكلم : ولها ضوء يُشعُّ في أطرافها.

متكلم : لكنك لا تلبث أن تعود...

متكلم : إلى أين؟

متكلم : إلى حيث كنتَ.

متكلم : مكانياً أو زمانياً أو انفعالياً؟

متكلم : أفي ذلك فروق؟

متكلم : طبعاً، وهي كثيرة.

متكلم (يسأل منتظراً الجواب): إذ ترسم...

متكلم : تخطُّ في مكان.

متكلم : إذ تغني...

- متكلم : تَخُطُّ في زمان.
- متكلم : إذ تكتب...
- متكلم : تَخُطُّ في مكان.
- متكلم : إذ تتكلم...
- متكلم : تَخُطُّ في زمان.
- متكلم : إذ ترقص...
- متكلم : تَخُطُّ في زمان وفي مكان.
- متكلم : إذ تُهْتَلِّ...
- متكلم : تَخُطُّ في زمان وفي مكان.
- متكلم : وأين ذهبَت بالحركة؟
- متكلم : التي في الرسم والغناء والكتابة والكلام والرقص والتمثيل؟
- متكلم : أجل.
- متكلم : هي كلها في فعل «خط».
- متكلم : أيكفي؟
- متكلم : طبعًا. منه ما يبقى فوق حامل، ومنه ما يبقى في فضاء.
- متكلم : ومنه ما يبقى في ذاكرتي.
- متكلم : أين الانفعال في هذا كله؟
- متكلم : فيها كلها، وبمقادير.
- متكلم : وما نفعله، أنا وأنت؟
- متكلم : يجمع هذا كله...
- متكلم : ... كما في مرقص، أو في جلبة، لا تدرك الداخل إليها من الخارج منها، ولا الصامت فيها من نَقَلَة الرسائل اللاهثين.
- متكلم : أننفع في ما نقوم به؟
- متكلم : لك أن تسأل خصوصًا من أُتِيح له أن يلتقي بنا، أو من تنصت لالتقاط أصواتنا.

متكلم : وماذا عَمَّن كَلَّف نفسه عناء المجيء إلى هنا؟

متكلم : له أَجْران: أَجْرٌ مَن سعى، وأَجْرٌ مَن وَصَلَ.

متكلم : لكننا لم نَصِلْ.

متكلم : هو -بخلافنا- يصل. قد يتوقَّف ويعود، ما يجبرنا على أن نَجْمَد من جديد في انتظار إشارة منه.

متكلم : هو المُمسك بنا، إذن؟

متكلم : لا، هو ما يجعلنا أحياء، عامرين بالنشوة التي للخيالات إذ تخرج من قُبَعات المساء، ومن شמוש الطفولة.

متكلم : كم يحلو لي أن أبكي.

متكلم : لماذا؟

متكلم : تأثُّراً بما سمعتُ.

متكلم : ولم لا تبكي؟

متكلم : لأن لي أن أقول: «كم يحلو لي أن أبكي»، من دون أن أبكي.

متكلم : ولماذا البكاء؟

متكلم : لأنه نشوة انفعال تصعد في الصدر، وتَتَلَجَّلُجُ في الحَنَجَرَةِ، وتفيض بعد أن تُشَعَّ في العينين... تفيض مثل امتنان الماء لغيومه.

متكلم (بعد وقفة): آه، لو يبكي...

متكلم : وإن فعلها.

متكلم : يكون قد وافاني إلى بوابة، هي عينها للدخول كما للخروج.

متكلم : مثل دَفَّتِي باب...

متكلم (مقاطعاً): ... أو كتاب.

(وقفة).

متكلم : أَهْنَّ بناتك؟



متكلم : هذا ما يَقُلُّهُ.

متكلم : وأنت ماذا تقول؟

متكلم : لَعَلَّهِنَّ من بنات أفكاري.

متكلم : أو بنات هوى؟

متكلم : ...

متكلم : بدليل إنهن يرفعن فخذًا بمجرد صياح الرغبة أينما كان، أليس كذلك؟

متكلم : ...

متكلم : بدليل إمساك أي متكلم بأي جملة تقع عليها شفاهه.

متكلم : ...

(صمت).

متكلم : أريد لهذا اللفظ أن يمدَّ يده ليصفع صورًا في الجريدة، سبق لي أن علّمتُ فيها على وجوههم، واحدًا واحدًا، يومًا بعد يوم، من دون أن يختفوا، بل كانت تزيد انفراجه شفاههم عن أسنانهم اللامعة...

أريد منه أن يداري بأنامله الرقيقة ما يتخلل الدموع في سقوطها الهين، فيلتقطه ويحسبه في عداد ما لا ينقضي، بما يروي أرض الخيبات الجافة...

أريد له ما أستطيعه مع الإنارة، أي أن تكون للدلالات ما أستطيعه، مع تخفيف أو تقوية الضوء في ما ينزل عليه، ويسمّيه...

أريد منه أن يتعلل قدمي، أو يدي، عند الضرورة، فيكون لها قفازًا -إن شاء-، أو أصابعي -إن شاء-

لهذا اللفظ أن يكفلني...

(كما لو أنه ينتظر جوابًا لا يأتي) أيعقل أن أبقى وحيدًا، إن رغبتُ في سباب، أو

بكاء؟

(عتمة).

صوت (في العتمة): نداء. نداء.

- صَوْت (في العتمة): من أطفأ الأضواء؟ من المتكلم؟
- صَوْت (في العتمة): دَعْنِي أَسْتَكْمِل الجُمْلَةَ... دعني أَسْلُقَ إلى عريشة شعرها.
- صَوْت (في العتمة): هذا تشبيهٌ ريفيٌّ وبالٍ.
- صَوْت (في العتمة): نداء إلى من يهمله الأمر.
- صَوْت (في العتمة): دعني أَسْلُقَ إلى حيث الشَّدَّةُ...
- صَوْت (في العتمة): اسكُتْ. دَعْنَا نَسْمَع. لَعَلَّ النداء المُنْتَظَر...
- (تضاء الجهة الخلفية العالية، وتظهر فوق شاشة الحاسوب المضاءة الجُمْلَةُ التالية):
- نداء إلى الصبورين: أن يسرعوا في صلواتهم،
- وإلى السَّاهِمَات في مقاعدهن: أن ينتهين من كُنْزَةِ الوعد،
- وإلى المتردِّدين أمام عتباتهم: أن يقفزوا إلى القطار عند مروره.
- (تمتدات بين متكلمين مختلفين عند ظهور الجُمْلَةُ المضِيئة).
- صَوْت (في العتمة): لسنا معنيَّين بهذا كله.
- صَوْت (في العتمة): ربما لم تُحَسِّنِ القراءة.
- صَوْت (في العتمة): لا، لعله غليظ الفهم.
- صَوْت (في العتمة): وماذا فهمت، أنتَ وأنتَ؟
- صَوْت (في العتمة): هل انتهى النداء؟
- صَوْت (في العتمة): نداء إلى الحكماء واللاهثين: أن يبحثوا عن إيقاع مناسب...
- صَوْت (في العتمة، موجَّهاً إليه سؤاله): ... عن أي إيقاع تتكلَّم؟
- صَوْت (مُجيباً عليه، في العتمة): عَمَّا تقول، عَمَّا أقول.
- صَوْت (في العتمة): إنه يكلمني.
- (موجهاً إليه سؤاله) كيف يكون الإيقاع؟
- صَوْت (مُجيباً عليه، في العتمة): أنسيَتَ الكلام عن الرقص؟

صَوْت (في العتمة): بات علينا -في أي وقت- أن نعتاد على مُعاشرة «لسان العرب»، وعلى ارتياد محلّ «حلويات المنفلوطي»، وأن نخرج من ملاهي الرقص، لكي نندسّ في أول قطار مُسرّع...

صَوْت (في العتمة): أليس هذا مُنشطاً؟

صَوْت (في العتمة): بلى، لكنه مُتعب.

صَوْت (في العتمة): ومن دعاك إلى شيء أكثر ممّا تفعله في العتمة: أن تقول ما تقول، وأنت تضع قدميك في سَطْلِ ماء، وتحسّس صورة هيفاء وهبي في مجلة؟

صَوْت (في العتمة): نداء إلى الغيارى والحريصين والمتشدّدين: أن ينتقلوا إلى صالة أخرى.

صَوْت (في العتمة): أنستطيع الخروج من هنا؟

صَوْت (في العتمة): نداء إلى المنتظرين العجولين... نداء إلى المنتظرين العجولين... نداء

إلى المنتظرين العجولين... نداء إلى المنتظرين العجولين...

(هرج ومرج في العتمة، لا يلبث أن يتراجع وينقطع).

(عتمة مديدة).

متكلم : (منادياً، وهو يمسك عصا طويلة بيده اليسرى): التشبيه قطار،

والطير استعارة...

متكلم (غاضباً): يكفي. قلّ غيرها.

متكلم (واضحاً العصا بين فخذه، كما لو أنه يركب حصاناً، ثم يدور صائحاً): أنا الموح

الكَدْرُ، أنا القُفْلُ العَسِرُ.

أنا النار، أنا العيار، أنا الرّحّا إذا استدار.

أنا مشيت أسبوعين بلا رأس...

متكلم : ... وبعد؟

متكلم (متابعاً): أنا الدرب الأكشف.

أنا بوق الحرب وطبل الشغب...

أنا القَدْر، أنا الخَدْر، أنا الحَجَرُ.

أنا أخرق الصفوف وأضرب المعسكرين.

أنا مشهور في الآفاق بضرب الأعناق.

أنا الربيع إذا قحط الناس. أنا الغنى إذا ظهر الإفلاس.

أنا أشهر من العيد، أنا أشد من الحديد.

أنا أبو علي الأعور... إذا رأني إبليس أدبر...

متكلم : (مديرًا ظهره، مُغادرًا): حفظت هذا عن ظهر قلب.

(بعد تردد) أحفظت حركاته أيضًا؟

(عتمة).

(جالس بثياب ملكية على كرسيٍّ أمام المركب الخشبي، أي «كتاب التاج» وما

يعلوه من زخرفات).

متكلم : (داخلا بعد وقت): ما تنتظر؟

متكلم : (الجالس): أنت.

متكلم : ما تنتظر مني؟

متكلم : (الجالس): أن تكلمني.

متكلم : ألا تسأل بدورك غيرك، وتطلب منه الجواب؟

متكلم : قلما أسأل؛ أجيب في الغالب.

متكلم : وإن أخطأت؟

متكلم : أجيب من جديد.

المخرج : (مُتدخلاً): يكفي... يكفي..

(يوزع على الجالس أوراقًا، ويقول له): أنت الخليفة.

(ويوزع أوراقًا على المتكلم): وأنت الجاحظ.

متكلم : (يدخلون سائلين): ونحن؟

أنتم مستمعون ... (مترددًا، ثم مضيغًا) ومتفرجون حُكمًا.

متكلم : سيكون علينا أن ننتظر من جديد.

المخرج (زاعقًا): سكوت تام.

(عتمة).

(الخليفة جالس، والجاحظ مائل أمامه، والمستمعون جالسون أرضًا).

الجاحظ (وهو يقرأ في أوراقه): الحمد لله...

مصور (يدخل أحدهم رافعًا كاميرا تصوير محمولة): أرجوك، من الأول.

الجاحظ (مستعيدًا ما كان يقرأه في أوراقه): الحمد لله...

(يتابع المصور التصوير بحيوية لا يحتاجها المشهد).

الخليفة (مقاطعًا): ... وبعد، وبعد.

الجاحظ : أشهد أن...

الخليفة (مقاطعًا، وبجدة): ... قلت: وبعد.

الجاحظ : أما بعد، فإن الذي حدانا على وضع كتابنا هذا، معان:

منها أن أكثر العامة، وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب ملوكها

عليها، وإن كانت ممسكةً بجملة الطاعة، حصرنا آدابها في كتابنا...

مستمع (متذمرًا): هذا كلام مُمل.

مصور : (وهو يتابع التصوير): أحسنت. أحسنت.

المخرج (من العتمة): سكوت.

مستمع (موجهًا سؤاله إلى الجاحظ): وما نفعك من هذا؟

الجاحظ (مُجيبًا): أمّا أحدهما، فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأمّا الآخر،

فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها، وردّ كل نافر إليها.

مستمع (هازنًا): أنت تريد أن تقوم كل مائل؟

مستمع (هازنًا): أما سمعت عنه أنه اعترف بما يلزم قبل وصوله إلى قاضي التحقيق!

الجاحظ : الملوک - وإن عصی أكثرها - فمن حَقَّها أن تُدعى إلى الله بأسهل القول، وألين اللفظ، وأحسنِ المُخاطبة.

مستمع ١ (وقد قام من جلسته): لعلَّ كلام الجاحظ خضع بدوره للتفتيش، مثل الكرتونة.

مستمع ٢ (وقد لحق بالمستمع السابق): لا، الجاحظ متنوّر.

مستمع ١ (مستمراً في الابتعاد): لكنه عاشر الخلفاء!

مستمع ٢ (مرافقاً له في ابتعاده): وعاشر أيضاً العلماء والفقهاء وأهل الكُدَيّة، وكل من أخذ منهم حديثاً لعلم أو نادرة أو خبر.

مستمع ١ (مستمراً في الابتعاد): ...

مستمع ٢ (مرافقاً له في ابتعاده، ومتابعاً): وإلا من أين للجاحظ أن يأتي بما أتى به؟!

أكان في استطاعته أن يأتي بكلام المُتَبَضِّعات في سوق البصرة من دون الذهاب إليه، وبأخبار البخلاء من دون ارتياد موائدهم الفقيرة!

مستمع ١ (متذمّراً، فيما يختفي مع اختفاء المستمع ٢): يكفي! يكفي! هذه محاضرة.

مصور : أحسنت. أحسنت.

مستمع (جالساً): أنا لا أزال مستمعاً.

المخرج (متدخلاً): في مرة أخرى، على أن تعتادوا على آداب الاستماع.

(المصور يتوقّف حائراً في ما له أن يفعل).

(عتمة).

(تحت الضوء).

متكلم : لو سجّلتُ كلماتي كلها...

متكلم : لو...

متكلم : لو استعدتُها تَباعاً...

متكلم : لو...

متكلم : لو...

متكلم : ... مَهْلاً. هل تتمنى أن تستعيدها على مهل أو بعجلة؟

متكلم : أنا الذي أتمنى، لا أنت.

متكلم : لا، أنا فعلتها... سجلتُ أصوات ابنتي عشية عامها الأول.

متكلم : كيف ذلك؟ ماذا قالت؟

متكلم : هذا لها وحدها.

(وقفة).

متكلم : أنا جلستُ على حافة الورقة، وأنتَ ماذا فعلت؟

متكلم : جلستُ على حافة السجادة.

متكلم : لم تجبني! ماذا فعلتَ على السجادة؟

متكلم : جعلتُ قدماي تتدليان منها.

متكلم (متعجبا): ماذا!!؟ أنتَ قصير القامة إلى هذا الحد؟!

متكلم : لا، أنتَ محدود المخيلة.

وأنتَ ماذا فعلتَ على حافة الورقة؟

متكلم : أوشكتُ على السقوط من أول جملة، لكنني أمسكتُ بأحد السطور مثل جبل

نجا، ثم شددت عليه بقوة، فإذا به يطول ويطول، من دون أن أبلغ نهايته...

متكلم : وبعد؟

متكلم : وجدتني أسحب خيطان سجادة خيطاً تلو خيط.

متكلم : أي سجادة؟

متكلم : سجادتك...

(مفسرا) هذا ما جعلك تشعر بأنك تتدلى منها فيما كنتَ تتدلى في الفراغ.

متكلم : عن أي فراغٍ تتحدث؟

متكلم : عن الفراغ الذي تقيم فيه، وتتكلم منه، حيث أنت.

متكلم (مغادراً): أتعرف أن رأسك فارغ؟

متكلم (مغادراً): أتعرف أن رأسك مَحْشُوٌّ بكلام لا يَزُنُ شيئاً.

(عتمة).

(متكلمان يتمشيان).

متكلم : أسألتَ العاملَ ما إذا كان يحمل تأشيرة سفر دائمة؟

متكلم : أسألتَ العاملَ ما إذا كانت حبيبته تعانقه إذ يعود إلى البيت؟

متكلم : ماذا يعني أن عمله هو السفر؟

متكلم : وماذا عندما يسافر فعلاً؟ هل يسافر أم ينتقل؟

العامل : (داخلاً): أتسألني فعلاً؟

متكلم : طبعاً.

العامل : مرةً سافرتُ فعلاً، فأعادوني من حاجز «الحدود»؛ لأنني نسيت جواز سفري.

متكلم : أتعلم دائماً في النقل؟

العامل : لا، أبداً.

مرة طلبوا مني العمل في تلوين إشارات مرور الطائرات والسيارات فوق المدرجات...

تضايقتُ في اليوم الثاني والثالث، وفرحتُ في اليوم العاشر بعد أن رُحْتُ أدير الطائرات

كما يحلو لي: هذه أدبرها إلى الهاوية، وتلك أكتفي منها بالتي نَسِيتُ منديلها الليلي

في مقعدها... (نسيت)

متكلم : فماذا فعلت؟

العامل : أعدتُ الرُّكَّابَ إلى خلف، إلى مقاعدهم، ثم جعلتهم ينزلون من بوابات النجدة،

ما عداها...

لماذا؟

العامل : بسطتُ لها سجادة الضيوف الرسميين، وطلبتُ من الفوج 77 أن يعزف لها «نشيد

البهجة»، فيما كنتُ أحلق ذقني، وأسوِّي ربطة عنقي...

متكلم (مقاطعاً): وهل كفى البرنامج لوصولها إليك؟

العامل : لا.

متكلم : ماذا فعلت؟



العامل : وجدتُ منديلها حيث كان لي أن أحتضنها.

متكلم : فقط؟

العامل : مع رقم هاتفها النّقال.

متكلم : وهل اتّصلتَ بها؟

العامل : وجدت خطّها مُقفلاً.

متكلم : هذه ليست طائفة؛ هذه حكاية تفقد توازنها قبل أن تحطّ.

متكلم : وإذ تحطّ...

العامل : ...

متكلم : أأنت تضجر كثيراً في تلوين إشارات السير؟

العامل : قصي قصيرة، لكن لها بدايات واعدة.

متكلم : وبعد؟

العامل : تنقطع.

متكلم : لماذا؟

العامل : لأنني أكون قد انتقلت إلى عمل آخر.

متكلم : أنت تصلح لرحلات قصيرة...

متكلم : (مقاطعاً، مؤيداً، فيما يدعو المتكلّم الآخر إلى التمشّي من جديد): ... أو لشرب

فنجان قهوة قبل الصعود إلى الطائرة...

هكذا أسافر وأنا مشتاق لسماع تَتَمّةِ الحكاية.

(عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): لم أعد قادراً على السكوت، ولا على إغفال ما يجمعني

-هنا- بغيري.

أتكلم من حيث أرى. حتى في العتمة.

(بعد توقف) هذا تعرفونه. ما لا تعرفونه هو أنني أريد أن أنسى. أريد ألا أرى.

هكذا أنا في مكان آخر... في مكان محتمل، أو مُرَجَّأ.  
أريد أن أنام لدقائق معدودة، في أرجوحة، بِسَعَةٍ عَالِمٍ مُنْبَسِطٍ.  
أن تُتاح لي حياة أخرى، كاذبة: بِسَعَةٍ المسافة الفاصلة، الواصلة، بين أصابعي  
وهيئاتها...  
إلا أنني ما كنت أدري أنني صوت... أنني صوت مُنْفَرِدٍ.  
(عتمة).

متكلم — (متدخلًا، تحت الضوء): أما دريتَ بما جرى؟ أما دريتَ بما يجري؟...  
(منتظرًا جوابًا لا يأتي، ثم مستكملًا) أما دريتَ بعد ببلوغ الألفاظ حياتها الجديدة،  
مع غيري؟  
(من دون جواب) أهنأك أحد؟  
متكلم — : (آخر، متدخلًا، تحت الضوء): ماذا تريد؟  
متكلم — : أين اختفى ذلك الصوت؟  
متكلم — : هو صوت فعلاً، لكنه منفرد.  
متكلم — : ما يعني هذا؟  
متكلم — : وحده، من دون مشاركة أحد.  
متكلم — : أهو من الأسياء؟  
متكلم — : لو تدري! هي ورطة، لا نعمة!  
متكلم — : كيف ذلك؟  
متكلم — : له أن يتكفَّل بالكلام وحده؛ له أن يتكلَّم من دون أن يفعل.  
متكلم — : لكنه أشار إلى أفعال في حديثه.  
متكلم — : أشار، لكنه لم يفعل، عدا أنه يتخلَّل الأشياء، ويتسلَّل عبرها.  
متكلم — : لِمَ لا يحدثنا من حيث هو... من فوق؟  
متكلم — : هو لا يعلنونا، بل على مسافة منَّا.

متكلم : أيبقى بعيداً؟

متكلم : لا، هو يتقدم ولكن بتؤدّة، من دون جنود ظافرين، أو حُرّاسٍ غافلين.

متكلم : مُنفردٌ حتى الانزواء، إذن!

متكلم : لا. منفرد، فلا يحبُّ الحنينَ ولا الشكوى.

يفتّش، ويتلمّس، ويتمعّن، ولكن بحنان الساهر الحريص.

متكلم : ألهذا لا يظهر إلا في الليل؟

متكلم : تماماً، وفي العتمة.

وما يراه يقع في التردّداتِ والاحتمالات واللطائف، ممّا يُبدّدُها النورُ الساطع.

متكلم : بات يحتاج الأمر إلى إحصاء: هناك صوت منفرد، وهناك الهواء، وهناك «المخرج»،

وهناك متكلمون مختلفون...

متكلم : لا يفيد هذا، طالما أن الكلام يتلوّى.

متكلم : هذا قرأته من قبل. ماذا يعني؟

متكلم : ليس المهم من قال، بل المهم ما قيل.

متكلم : سبق لي أن قرأت هذا أيضاً.

متكلم : أين؟

متكلم : في روايةٍ لك أن تعرفَ هُويّةَ المتحدثِ فيها ممّا يقوله ويشير إليه، لا من جهة اسمه، أو بعد تعريف جنسه وهيئته وتنقلاته.

متكلم : هذا صعب. هذا مُضنّ.

متكلم : ربما، إلّا لمن تحلو له القراءة، التي تطلب يقظته ومشاركته؛ أي أن يكون أكثر من قارئ.

متكلم : من له أن يكون؟

متكلم : أمّا رأيَتَ فيلم وودي آلان، الذي يخرج فيه الممثل من الشاشة إلى إحدى المتفرّجات في الصالة، بل إلى الخارج، حيث ينتظرها؟

متكلم : لا.

متكلم : لماذا لا يخرج القارئ من الجلسة إلى حيث يدور الكلام، وينتظره؟

متكلم : أهذا ما يجري؟

متكلم : ربما.

متكلم : متى؟

متكلم : الآن.

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : لا أحدَ غيرنا هنا.

متكلم : قد يكون هناك ثالث... في حياة مُحْتَمَلَة...

متكلم : التي مثل وعد؟

(ينتقل المتكلم إلى جهة معتمة).

متكلم : (مكرراً، مستعيداً): التي مثل وعد؟ ... التي مثل وعد؟...

متكلم : (آخر، متدخلًا، تحت الضوء): لقد مضى مَنْ كنت تتحدث معه.

متكلم : وأنت؟

متكلم : متكلم آخر.

متكلم : ولم اختفى؟

متكلم : كان يصعب عليه أن يجيبك عن الوعد.

(يجيب عن سؤال لم يُطرح عليه) لأنه مُخَصَّصٌ لغيرك، وغيره.

متكلم : لمن؟

متكلم : لمن يقع في العتمة، لا مثلنا تحت الضوء.

متكلم : ومتى يكون ذلك؟

متكلم : حين ننتقل إلى العتمة...

متكلم : (مقاطعاً): وحين ينتقل إلى الضوء؟

(يختفي المتكلم الآخر بمجرد وقوعه في العتمة).

متكلم : وأنا؟ ألي أن أنتظر بعد؟

(عتمة).

(القائمة ذات اللباس الأبيض والحداء الأسود تجلس على طاولة مُديرةً ظهرها، فيما يجلس متكلمٌ قبالتها).

متكلم : أحقَّ أنتِ عمياء؟

العمياء : نعم.

متكلم : لا يبدو هذا عليك.

العمياء : ...

متكلم : وكيف تتنقلين من دون عصا؟

العمياء : الدروب التي أعرفها لا أحتاج إلى التنقل فيها.

متكلم : لماذا؟

العمياء : لأنني حفظتها عن ظهر قلب، مثل شاعر أعمى.

متكلم : لكن الجاحظ تحدّث عن قصاصٍ أعمى...

العمياء : عمّن تتحدّث؟

متكلم : ألا تعرفينه؟

تحدّث عن أن النساء يُفضّلن الاستماع إلى قصاصٍ أعمى.

العمياء : لماذا؟

متكلم : هكذا لا يتعرّف إلى وجوههن.

العمياء : أهذا ممنوع؟

متكلم : لا أعرف.

العمياء : (شارحةً): هذا ما فرضَ عليهنّ من دون شك

متكلم : كان يُفرض عليهنّ الخروج من باب، والقصاص من باب آخر...

العمياء : (مقاطعةً): ... حتى لا يكون احتكاكٌ.

متكلم : (مقاطعةً): ... أكثر من احتكاك، طالما أنه يتحسّس ما يقع عليه إذ يتنقل.

العمياء : يكفي. ها أنت تهتاج لما تقول.

(مستدركة) أنا أرى من دون عينين، بدليل أنني أمضيتُ وقتاً معك، ومعهم، من دون أن ينتبهوا إلى أنني عمياء.

أهي عين البصيرة؟

العمياء : دعني من هذا الكلام الأخرس.

متكلم : كيف يُتاح لك ذلك؟

العمياء : أما تابعتَ الحديثَ معي من دون مشقّة؟

متكلم : بلى. لكنك محيرة.

العمياء : ربما كان من الأفضل أن تكون أنت الأعمى.

متكلم : لا... (شارحاً) من الصعب عليّ أن أحبّ من دون أن أرى...

العمياء : بخلافي... (شارحة) لي أن أنتبه إلى حركة صوته، إلى تموجاتِ جلّسته، إلى ميلانِ جسمه على الكرسي... لي أن أنتبه إلى انحناء صوته على جسدي.

متكلم : وكيف يتحقّق ذلك وأنت لا ترين!

العمياء : أرى إلى الهواء وهو يميل... أذوقه وهو يميل... أزنّه في يدي وهو يميل...

متكلم : وماذا عني؟

العمياء : بماذا تُحسّ؟

متكلم : بأنني لا أقوى على الحراك، ولا على تبديل قعدتي... حتى أن لساني بات يسبقني كما لو أنه يعبّ الماء من يدين خافيتين.

العمياء : كان في إمكانك أن تقول: كما لو أنه يلحس بلسانه.

متكلم : أنت تستعبدان... أنت تصحّحان ما أقول؟

العمياء : ألا يكون دلالة تواطؤ بيننا؟

متكلم : ربما. ألا تكونين يدًا لليد الأخرى، وشفّة للشفة الأخرى؟

العمياء : لا. قد نكون فوق جسر، على أن الواحد يتوجّه صوب الآخر، كلٌّ من جهته.

متكلم : (مادا يده اليمنى صوب يدها اليسرى): ألي أن أمسك بيدك؟

العمياء : ...

متكلم : (وقد أمسك بها): لكنها مُبلّلة.

(عتمة).

متكلم : مرحبًا.

متكلم : ...

متكلم : كم الساعة الآن؟

متكلم : أنا ساعة في ساحة؟

متكلم : أنسيتَ؟

متكلم : (منتظرًا جوابًا لا يأتيه) سبق أن التقينا.

متكلم : لا.

متكلم : بلى.

متكلم : لا.

متكلم : أنت صاحب الورود.

متكلم : لا.

متكلم : بلى. ما أتيح لي رؤية وجهك، إلا أن هذه قامتك.

متكلم : ربما... (مستدرًا) هذا لا يكفي.

متكلم : وهذا صوتك أيضًا.

متكلم : ربما... (مستدرًا) هذا لا يكفي.

ألم تسمع ما قيل؟ المهم ما يقال؛ لك أن تكتفي به.

متكلم : ما عاد يكفيني (يُخرج من جيبه أوراقًا ويمزّقها).

متكلم : لن يتغيّر شيء.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأنك حفظت الكلام، وها أنت تعيده أمامي.

متكلم : أريد أن أتوقّف. أن أخرج. أن أنتظر ما بعد الصدى.

متكلم : إن خرجت لن تعود... (شارحاً) لأنه لا جسد لك؛ أو -إن شئت- لأن لك جسداً واحداً، لا اثنين.

متكلم : وأنت؟

متكلم : أنا مثلك: ما أن أصل إلى نهاية الجملة أنقضي.

متكلم : انتحاري، إذن.

متكلم : نعم، بمعنى ما: غيري يديرني، ولي حياة ثانية.

متكلم : أين ذلك؟ ألي أن أرجوها بدوري؟

متكلم : قد تنفتح في سماء ورقة.

متكلم : (خارجاً، منكسر القامة): هذا يعزّيني على الأقل.

(عتمة).

(يركعان، واحد إلى جانب الآخر، أمام ثقب في جدار).

متكلم : ابتعد... أمضيت وقتاً طويلاً من دون أن تجلب أي صورة، أي حكاية.

متكلم : وأنت ماذا جلبت غير أخبار عين الغواصة؟!

متكلم : ألا تزال بيجامتي منشورة على حبل الغسيل على شرفة الشقة؟

متكلم : لا، لا... أرى غيرها.

متكلم : بيجاما ثانية؟

متكلم : لا، شقة أخرى.

متكلم : ماذا فيها؟

متكلم : صف انتحاري.

متكلم : (بدهشة): ماذا تقول؟!

(المصوّر يدخل بسرعة، حاملاً كاميرته، باحثاً عما له أن يصوره... من دون جدوى).



متكلم : (يستكمل حديثه السابق، لكنه يتعثر في الكلام، كما لو أنه يجد صعوبة في رؤية ما يراه، فيما يجلس المصور خلفهما مستمعاً): في الشقة شُبَّانٌ جالسون، رزينون، يستمعون إلى شروحات أحدهم، الواقف إلى جانب اللوح، وهو يشرح لهم تقنيات التفجير.

متكلم : وكيف ذلك؟

متكلم : قنابل مَحْشُوءَةٌ بإشاعات مُدَبَّرَة، وأكاذيب مُلَفَّفَة، وزنانير مُفَخَّخَة بالزخرفة، ما يجعل المتفجِّرَ يتطاير مليون شظية...

مصور (واقفاً في ما يشبه الاعتراض): والمتفجِّرُ؟! والمتفجِّرُ؟! والمتفجِّرُ!؟

ماذا عن حقوق المتفجِّرِ؟!

(ثم يجلس).

متكلم : وكيف يكون ذلك؟

متكلم : أما فعلتَ هذا التمرينَ في السابق؟

(لا يأتيه جواب؛ يكمل الشرح) الأداة هي زِرُّ التحكُّم بمواصفات الصورة والصوت في التلفزيون، أليس كذلك؟

(شارحاً) عليك أن تسجِّل نشرة الأخبار على فيديو، ثم تقوم بالاستماع إليها من دون صوت، بالصورة فقط... هذا في المرحلة الأولى.

(مستمراً في الشرح) في المرحلة الثانية تقوم بتمرين آخر، وهو التعرف على النشرة بواسطة الصوت فقط، من دون صورة... هذا في المرحلة الثانية.

في المرحلة الثالثة والختامية، تتحقَّق من حاصل العملية: هل أفادتكَ الصورة أو زادت من معرفتك بما يقوله الصوت؟ أم أن الصوت هو الذي يبني الصورة أكثر من غيره؟

متكلم : وأنت إلى ماذا وصلت؟

متكلم : الصورة صوت بوجه مرئي.

متكلم : كنت أسألك عن عين الغَوَاصَة. ماذا ترى فيها؟

مصور (يقف، يُشهرُ الكاميرا مثل بندقية، يخرج وهو يقول بصوت عال): للكاميرا حجاب... للكاميرا حجاب... للكاميرا حجاب...

متكلم : (متابعًا، كما لو أنه لم يكن هناك غيرهما، هو والمتكلم الآخر): أَمَا رَأَيْتَ الصَّلَاةَ بينَ الْخَبْرَيْنِ؟

متكلم : لا.

متكلم : الجالسون في الصف يتعلّمون، وعلى اللوح عبارة وحيدة: «تمارين تمهيدية من هوليوود».

متكلم : وماذا يتعلّمون؟

متكلم : الآن... تقنيات البكاء.

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : يمدّهم المعلّم بمواد صالحة - كما في الأفلام - لاستثارة البكاء.

متكلم : وبعد؟

متكلم : يَشْرَعُونَ في البكاء... كلهم.

متكلم : وبعد؟

متكلم : سيكون ويبكون... سيكون من دون انقطاع.

متكلم : (مستكملًا) سيكون الآن من دون مواد مُسَيِّلة للدموع.

متكلم : ماذا أصابهم؟

متكلم : تورّطوا. هذا يحدث في الضحك أيضًا.

متكلم : أهنأك سبب إضافي، ظاهر لبكائهم؟

متكلم : ربما هناك سببٌ مُؤَجِّلٌ، يناسب بعد اختفائهم.

متكلم : وكيف ذلك؟

متكلم : مثل استحقاق مُبَكَّر.

متكلم : لعلمهم سيكون على ما لا يعرفون، على ما يحسّون به قبل أن يبلغهم...

متكلم : سيكون مُسَبِّقًا، مَلِيًّا، فلا يتوقّفون، مثل ماء محبوس.

متكلم : ...

متكلم : أُمي بَكَتْ عند سماعها خبرَ وفاة جمال عبد الناصر على التلفزيون، على الرغم من أن والدي كان يُناصبُه العداء.

متكلم : لماذا بَكَتْ؟

متكلم : ما سألتها في حينه؛ انتهتُ إلى بكائها بعد وقت، بعد سنوات.

الآن، ما عاد يحيرني دمعها المنهمر بهدوء وسخاء.

متكلم : هل انتهيت؟

متكلم : لا. أحدهم يسأل للتو جاره على المقعد: «لمَ بكيت؟» فيجيبه من دون تردّد: «كنت أبكي على غيابك، وأنت؟» فيجيبه هذا الأخير: «للسبب عَيْنِه».

متكلم : يكفي. يكفي.

إنه دوري.

ابتعد.

(يبتعد، ويحلُّ الآخر مكانه).

(عتمة).

متكلم : (في الضوء، يقرأ في رسالة): للتعبير مشاهد تنبسط، وأفكار تنتظم، بمجرد وصولها،

إلا أن لها عند المتكلم طعماً مخصوصاً: طعمُ هواءٍ مخزون، أو دمعٍ متراكم، أو

قهقهة راسية في ماء شهوات؛

طعمُ ما يُعاش، لا ما يُؤكَل أو يُشَمُّ؛

طعمُ ما تناولته الأعين أو الأصابع أو اللسان، بأناملها الطويلة والحادقة، وما

جعلته مشموماً وهو حجر منفرد بجلاله، مأكولاً وهو منظر، مسموعاً وهو نور

وجهاها وقد تصاعد من ريشتي المبلولة في مائها الوردي.

متكلم (هازئاً به): يا سلام. يا سلام. ما هذه التحفة؟

أين قرأتها؟

متكلم : وصلت للتو (تظهر الجمل السابقة فوق الشاشة الإلكترونية، التي تُضاء لهذا الغرض).

متكلم : متكلم (بعد أن قرأها بصمت): أَوْصَلْتُ من «محل المنفلوطي للحلويات»؟  
متكلم : ...

متكلم : أنت لا تحسن -على أي حال- غير التلاوة...  
متكلم : ... وأنت المناكفة.

متكلم : لماذا تُرَدِّدُها على مسامعي؟

متكلم : لأنها بَلَغَتْنِي عبر البريد الإلكتروني.  
(مغادرًا) والسلام.  
(عتمة).

الجاحظ : الجاحظ (داخلًا باستعراضية بادية): أنا الجاحظ، تعرفوني.

متكلم (داخلًا، مُعْتَرِضًا): ما لك تتكلم مثل زياد بن أبيه!

الجاحظ : التشبيه خطير. أما تعلم؟

متكلم : أنا الخليفة -إن شئت-، ولا يجوز في مثلي التمثيل.

الجاحظ : إلا أننا في تمرين.

الخليفة : لا، أقصد معنى آخر. أتحدّث عن استحالة تمثيل الله.

الجاحظ : ألا تكون تتحدّث عن استحالة تمثيل الخليفة، بدليل أنهم نهوه في دمشق عن وضع صورته فوق دينار؟

الجاحظ : أنسيت أنني قلتُ عنه إنه «جلّ عن التحديد والتمثيل»؟

الخليفة : عَمَن كنت تتحدّث: عني؟ عنه؟ عنّا معًا؟

الجاحظ : أقول: أول الأمور بأخلاق الملوك، إن أمكنه التفرّد بالماء والهواء، ألا يُشْرِكَ فيهما أحداً؛ فإن البهاء والعزَّ والأُبْهَةَ في التّفَرُّد.

الخليفة : ألا يصحّ الإشراك في... مثله تمامًا؟

الجـاحـظ : من ظنَّ أنه يبلغ أقصى هذا المدى...

الخليفة : أي مدى؟

الجـاحـظ : في مدى معرفة أخلاق الملك... أستعيد كلامي كاملاً: من ظنَّ أنه يبلغ أقصى هذا المدى فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلاً، وبالجسم معارضة.

الخليفة : وما المعارضة هذه؟

الجـاحـظ : أما سمعتَ معارضة شاعر لشاعر؟

الخليفة : لعلك تتحدّث عن التشبيه، سواء للشاعر أو للخليفة، أو لله؟

الجـاحـظ : هذا كثير في جبةٍ واحدة... (مستدرّكاً) أقصد: في جملة واحدة.

(متردّداً، منتهياً إلى القول) قد يفضح التشبيه المعصية...

المخـرج : المخرج (داخلاً، زاعقاً): ... أين أوراقكم؟ عودوا إلى أوراقكم.

الجـاحـظ : عدتُ إليها.

المخـرج : أعرف أن الجمل هي عينها، لكنك قلتها كما لو أنها لك، كما لو أنك تتدبّرها في حراجة المحاوراة.

الجـاحـظ : ألا تريد هذا؟

المخـرج : لا.

الجـاحـظ : لماذا؟

المخـرج : لأنك تقع في التشبيه حكماً.

الجـاحـظ : وماذا تطلب؟

المخـرج : أن تعود إلى المشهد، وأن تقرأ فقط.

متكلم : (الذي كان يتكلم وحده): أيمكنني قول جملة أخيرة؟

المخـرج : بسرعة.

متكلم : أريد أن أقول له: «كفى حروباً! ألا يكون لنا غير الحرب ما نفعله!

ولدتُ غداة الحرب، يوم كنتَ تنظفُ بندقيتكَ بما يليقُ بوعودها، درجتُ في الشارع بعد أن وجدتُ بندقية فوق رأسي مثل هالة، فهل سيكون لي أن أتفرَّجَ على مآثرها، في تلفزيون بيت العَجَزَة؟».

المخـرج : ومَن هو؟

متكلم : أتريده أن يقتلني منذ اليوم؟

المخـرج : وماذا فعلتَ؟ لماذا قلتَ هذا الآن؟

متكلم : لأنني كنت أحوكه في العَتَمَة.

المخـرج : أتظنُّ أنه خرج إلى الضوء؟

متكلم : (مغادرًا): على الأقل، خرج من ليلى.

(عتمة مديدة).

متكلم : (يمشي بما ينير حركته وحدها): أخيرًا، أنا وحدي!

ألا يحقُّ لي أن أقول -ولو بصوت خفيض- ما أقوله وحدي لوحدي؟

هذه تَجَرُّ إلى باحة ضاحجة، نزوغ فيها، وغمضي في غير اتجاه. وأنا فيها، يحملني

المجتمعون، مثل ورقة في نهر، إلى حيث لم أقصد، إلى حيث لن أصل.

أريد أن تكون لي هيئة قبضة -إن شئت-، أو لمسة الهواء تحت شرفها الأرجواني

-إن شئت-، فلا أهزُّ برأسي تأييدًا حين ينصاعون، ولا أغمغم وأُتمتم وأدمدم

وأهمهم إذ يدلفون إلى صمتهم الطويل بطول حبل الدموع الليلية.

أريد أن أمشي، أن أنتزّه، فلا ألقى شرطيًا، ولا قاضيًا، ولا غسيل أخبار وسخ...

أريد -لكي أرى- ألا أرى ما لي أن أرى، فحروفي ترى -إن شاءت-، وتبسط قصرًا

لاستراحتي -إن شاءت.

ما لي أن ألتقي إن خرجتُ إلى الشرفة، أو أمعنتُ النظر في الشارع، غير ما سبق لي

أن رأيتُ من الشرفة وفي الشارع، وقد قال لي جاري المُسنُّ: «لقد أمضيتُ عمري في

الحروب، في الضغينة، فلا بأس إن أغمضتُ ستارةً لقيلولتي».

أريد -بدوري- أن أغسل جراحي، على الرغم من أنني لم أطلق رصاصة واحدة.

أريد أن أغسلها، وإن كانت جراحًا صامتة.

متكلم : ( داخلاً، متدخلاً): «جراح صامته»: قيلت في السابق.

ألا يكفي هذا النواح؟

متكلم : ما تريد؟

متكلم : بقي لنا تمرين آخر...

متكلم : ...

(عتمة).

(متكلم يجلس على مقعدٍ مديراً ظهره. تصل إليه العمياء من الخلف وتغمض عينيهِ بيديها).

متكلم : كيف عرفتِ أنني الجالس هنا؟

العمياء : كيف عرفتِ أنني أنا؟

متكلم : كان عملي أسهل من عملك.

متكلم : كيف ذلك؟

متكلم : أنا أحسست بيديك المبللتين، وأنت كيف عرفتِ؟

متكلم : أما انزويت طلباً للجلوس معي؟ ووحدي؟

بلى.

(مستدركاً، واقفاً أمامها) كيف لي أن أسميك؟ هذا سؤال يحتاج إلى جوابك، إلى

إذنك. ماذا أسميك؟

متكلم : لا أحتاج إلى اسم؛ أنا أردُ دوماً بعد العنوان.

متكلم : لا، بل بعد الجملة الأولى.

متكلم : ...

متكلم : ماذا لو أسميكِ «العطشانة»؟

متكلم : ماذا تقصد؟

متكلم : ألا تعرفين شجرة «العطشانة»؟

متكلم : لا.

متكلم : هي التي - لكي تنمو- لها أن تعطش.

متكلم : (تمدُّ لسانها وتلحس وجنته اليسرى): ...

متكلم : لكن الشاعرة هي التي قالت: «وَأُعْطِي خُدِّي مَنْ يَشْتَهِيهَا؟

العمياء : (وهي تدير ظهرها خارجة): ومن قال إنكَ لست الشاعرة؟  
(عتمة).

متكلم : أتعرف الرباعين؟

متكلم : عَمَّن تتكلم؟

متكلم : عن رافعي الأثقال.

متكلم : ما لهم؟

متكلم : أتعرف تمارينهم في رفع الوزنات الحديدية؟

متكلم : وما لك بها؟

متكلم : هذا ما أشعر به أمام الألفاظ: عصية ووازنة، فلا أقوى على رفعها بيدي اللتين طالما  
حَمَلْتَا الملايين منها.

متكلم : تتحسّر كما لو أنك كاتب... أو شاعر خصوصًا.

متكلم : كيف تتحسّر بدورك على جميلة، المغنية الأموية، وكيف أنها لم تَحْظَ بنصيب  
بربارة سترابند؟

ألستُ متكلمًا مثلك؟

متكلم : بلى. لكنك نسيت أنك تنشط ما أن ترتفع الألفاظ أمام الأعين الشاحصة.

متكلم : أنت مخطئ. أنت لا تعرف...

ذهبت إلى محلٍّ للخُرْدَةِ، وعرضت عليه شراء الوزنات الحديدية التي لجارنا  
الشاب...

متكلم : (لا يجيب): ...



متكلم : بل اشتطت عليه شراءها بسعر الكيلو، فلا يغبني في السعر، أنا الصغير، الذي تدبرت عربة نقل خشبية صغيرة لنقلها إلى محله...

متكلم : (لا يجيب): ...

متكلم : تخلصت منها واقعاً، إذ كان يعود إلى غرفته الصغيرة، بعد الغروب، ويعرض كرياتته الحديدية في الممر، أمام بيتنا وغرفته، ويروح يستعرض مواهبه الجسدية، فلا أحسن اللعب مع رفاقي...

كان يجبرنا، أنا ورفاقي، على أن نصبح متفرجين...

متكلم : (لا يجيب): ...

متكلم : ما لك لا تجيب؟

متكلم : لك أن تروي، أن تتكلم، لا أن تتذكر: لعلك نسيت؟

متكلم : ولكن من ينس يتذكر: أليس كذلك؟

متكلم : لعلك مُحق في ما تقول.

متكلم : كم ربحت من عملية البيع؟

متكلم : درسٌ عنيّف من الوالد.

متكلم : ضربك، إذن؟

متكلم : ...

متكلم : لعلك من يومها تستثقل رفع الأثقال.

متكلم : ربما، فيما يخصني. ولكن كيف يحدث أن الكاتب يجلس ساكناً أمام ضرباته الحديدية، فلا يقوى حراكاً أمامها، مع أنني رأيت أكثر من مرة يُقبل عليها بقدرة تسبقه بسبب قوتها المتmadية؟ ألا تظن أنه يشبه فاتح أبواب مُغلقة: ما أن ينجح في فتحها، ينتشر بعدها؟

متكلم : لعلك تكثر في أوصاف ما لا تعرف.

متكلم : أنت مخطئ. لعلّي أسارع إلى تشبيه ما لا أعرف.

متكلم : وما الحاجة إليه؟

متكلم : طمعاً بمقارنته على الأقل.

متكلم : ولم لا تعتمد على الاستعارة؟

متكلم : وما الفائدة منها؟

متكلم : أيسر في حركتها، ولا سيما لمن يرود بأقدامه الخفيفة مجاهل مُعْتَمَةً، بإصرار الأعمى على الوصول.

متكلم : على الوصول أم على البلوغ؟

متكلم : الاستعارة لا تبلغ، بل ترسم فضاءً فقط.

متكلم : مثلنا.

متكلم : ها أنت تجتاز الحدود.

متكلم : أيها؟

متكلم : التي لك أن تقف أمامها، ألا تجتازها، وإن كانت على مَقَرَّةٍ من أصابعك.

متكلم : لا، هي على مقربة من لساني.

متكلم : إذن، اصمت.

(عتمة).

متكلم (يتحدث مع متكلم أمام المجموع الخشبي): يقول الجوهري: «الزَمْزَمَةُ كَلَامُ المَجُوسِ عند أكلهم».

متكلم : وأنا أقول: المَزْمَزَةُ هي المُحَادَثَةُ بالأكل.

متكلم : وما تقول في الدَّمْدَمَةِ والهِمَّهْمَةِ؟

متكلم : ...

متكلم : ما لك لا تجيب؟

متكلم : انتهى كلامي. هذا كل ما لدي.

متكلم : عفواً، إن طلبتُ المزيد.

متكلم (يُخرج ورقة من جيبه): بلى، لي هذه الورقة:

لا تَتَّخِذْ بَابًا وَلَا حَاجِبًا      عَلَيَّكَ مِنْ وَجْهِكَ بَوَابٌ  
وَبِعَيْنِ الْبَوَابِ كُلِّ الَّذِي بِي      وَيَرَانِي كَأَنَّهُ لَا يَرَانِي

متكلم : أهذا لي أم للخليفة؟

متكلم : (يُخرج ورقة أخرى من جيبه): قال سهل بن هارون: «إن الحاجب أحد وجهي الملك»، وقال أحدهم لحاجبه: «إنك عيني التي تنظر بها».

متكلم : لست الجاحظ. أنا ممثِّلٌ مُوقَّتٌ.

المخرج (داخلًا، متدخلًا): أين البقية؟

متكلم : بِمَ تُغْرِهِمُ لِي يَأْتُوا؟

المخرج : بِحُلُوِّ الكلامِ وجمالِ الموقِفِ.

متكلم : ها أنت تتحدَّث مثل الجاحظ!

المخرج : (مُوزَعًا أوراقًا عليه): تأخَّرنا في إجراء التمارين...

لك أن تؤدِّي دور الخليفة.

متكلم : (معتزًّا): لكنه كان دوري!

المخرج : هو دوره الآن.

متكلم : لكنني اعتدتُ عليه.

المخرج : لك أن تتصرَّف وتتنقَّل بما يحتاجه الموقوف.

تكون في ذلك أقدر على توليد الشعور في الحركة...

(دالًّا على الآخر، ومُوزَعًا عليه أوراقًا) وأنت دور خُرَم باش.

متكلم : مَنْ هذا؟

المخرج : الذي يقول: «يا لسان، احفظ رأسك فإنك تُجالِسُ في هذا اليوم مَلِكَ الملوك».

متكلم : أهو الحاجب؟

المخرج : إن شِئْتَ.

متكلم : لك أن تكون في أعلى نقطة في المجلس.

متكلمون : (يظهرون مردِّدين): وأنا... وأنا... وأنا... وأنا...

المخرج : ( خارجًا): في حينه... في حينه... في حينه...  
(عتمة).

الحاجب : (مائلًا أمام الخليفة الجالس إلى كرسیه الفخم): يا لسان، احفظ رأسك فإنك  
تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.

الخليفة : لِمَ تَعْلُو بصوتك، وليس أحد هنا سوى هؤلاء الصامتين؟

(ما أن يقول جملة، تظهر مجموعة من الجالسين على مَبَعْدَةٍ منهما).

الحاجب (قارئًا في أوراقه): لهم أن يكونوا على مسافة عشرة أذرع، وكلُّ حسب طبقته  
يبتعد عشرة أذرع.

الخليفة : مَنْ يقع في المُقَدِّمَةِ؟

الحاجب : أبناء الملوك والموسيقيين والمُغَنِّين.

الخليفة : ثم؟

الحاجب : بطانة الملك والنُدماء.

الخليفة : ثم؟

الحاجب : أصحاب الفكاهات والمُضْحِكِينَ.

مستمع : أي نحن.

الخليفة : لكن المساحة لا تكفي.

الحاجب : من أين أتيت بهذه!

المخرج : (بصوته): أرجو التقيد بالنص.

الخليفة : لكنك سمحت لنا بالارتجال...

المخرج : (بصوته، مقاطعًا): بما يوافق النص.

مصور : (متدخلًا، من دون كاميرته): لا، بما يوافق الصورة.

(يظهر على الشاشة، والجميع في العتمة، ما كان المصور قد صوّره في السابق).

(عتمة).

الحاجب (ماثلاً أمام الخليفة الجالس إلى كرسيه الفخم): يا لسان، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.

الخليفة : إلا أنني الخليفة.

الحاجب : طبعاً، ولكن بتقاليد الملوك.

الخليفة : قل لي: ما فعلت أمس؟

الحاجب : (يسحب أوراقاً من جيبه ويقرأ فيها): أَبْعَدُ أَنْ غَلَبَكَ السُّكْرُ؟

الخليفة : تماماً.

الحاجب : هذا ما دَوَّنتُهُ حرفاً حرفاً.

(يقترب منه ويقرأ عليه بصوت خفيض).

مستمع (معتزلاً): أما قلتُ لك: تقيّد الجاحظ بالرقابة!

مستمع : ربما تقيّد بأداب الاستماع، فما نقل ما يخدش الأذان.

الحاجب (بصوت عالٍ): يا لسان، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.

الخليفة (واقفاً): أيها المؤمنون...

مستمع (مقاطعاً): هذا على وزن: «أيها المواطنين».

مستمع : لا، لقد أخطأ في الوزن.

الحاجب : من أين أتيت بهذا النداء؟

الخليفة : ألسنتُ أمير المؤمنين؟

الحاجب : بلى، لكننا لسنا في خطبة، ولا في جبال أفغانستان.

المخرج (بصوته): تَقَيّد بالأوراق.

الخليفة (يعود إلى أوراقه، وبلهجة أَمَرة): الستارة، يا حاجب.

(يبسط الحاجب ستارة أمام الخليفة، فلا يراه الجالسون).

مستمع : (ناهِضاً): انتهى العرض.

الحاجب (وهو يُسوِّي الستارة): لا، ابتدأ العرض.

مستمع (آخر، وقد وقف بدوره): لعله عرض خصوصيٌّ.

مستمع : (ثالث، وقد وقف): لعل خليفتنا مُحَجَّب.

(المصوّر يرفع الكاميرا بيده اليمنى عاليًا، مثل رشّاشٍ، ويقلّد صوت إطلاق الرصاص، إلى أن يختفي).

(ضوضاء وجَلْبَة، فيما تَعُمُّ العتمة).

الحاجب : يا لسان، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.

(داخلًا): لا شيء يدعو إلى الفرجة.

(داخلًا): الرؤية ممتنعة.

الحاجب : (شارحًا): لكنه قد صفّق بيديه، وتمرّغ على فراشه، وضرب برجليه وطرب.

(داخلًا): هذا ما تقول، لا ما رأيتُ.

الحاجب : أنا رأيت...

(داخلًا): لعلك رأيت، لكنك كذبت في ما نقلت.

الحاجب : (معتزًا): لا، أنا لم يحدثني فلان عن فلان...

مستمع : (نفسه): لي وثيقة بقلم الجاحظ تفيد أن الخليفة (يقرأ في ورقة) لما كان يطرب ويلتذّ بها يسمع من غناء المغنّين، كان ينقلب ويحرّك كتفَيْه ويرقص ويتجرّد فلا يراه إلا خواصّ جواريه. وكان صاحب الستارة يقول، إذا ارتفع من خلفها صوت أو نعيم أو طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار: «حسبك يا جارية! كُفّي! أنتهي! أقصري!». وهو (شارحًا للمستمعين الآخرين) -أي صاحب الستارة، أي الحاجب المائل أمامكم- يُوهِمُ الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجوّاري.

مستمع : (آخر): بل أكثر من ذلك.

بين يدي وثيقة أخرى (شاهراً أوراقاً، وقارئاً فيها) تفيد أن الخليفة إذا أطربه مُغنٌّ، طلب من إحدى الجوّاري تحريك الستارة، لكي ينتبه إلى ذلك صاحب الستارة، البعيد عنها وعن الخليفة بالتالي، فيقوم الحاجب ويقول لغيره في المجلس الذي يغني فيه المغني: «قُلْ له: أحسنت، بارك الله فيك.»

مستمع : (واقفًا): ما شاء الله! ما شاء الله!

المخرج : (داخلاً، متدخلاً): ما هذا! ما هذا!

لم يَبْقَ غير أن تديروا بأنفسكم التمرين!

مستمع : (خارجاً): هذا تمرينٌ إذاعيٌّ على أي حال.  
(عتمة).

صوت منفرد : (في العتمة): أسوح من دون إذن، في صالات عديدة، من دون أن يستجوبني أحد.

قد أمشي أو أركض؛

قد أعلو الأشجارَ مثل طائرةٍ تَجُسُّسُ، أو أفحص الجذور مثل شرطيٍّ جمارك؛

أشبك يدي بأيدي المتنزهين، مثلما أتأمل من شرفتي من أجعلهم ممثلين، بحكم وقوعهم تحت نظري...

وما أرى يدعوني إلى تأمل، أو بهجة، أو شكوى وغيرها. إلا أنني أبقى يَقِظًا، مهما جرى...

(صمت).

أمحو الصور لكي أرى؛ والوضعيَّات لكي أتقدَّم؛ والمحاورات لكي أسمع...

ذلك إنني مَمْلَةٌ، لو طلبتُ التشبيه...

مَمْلَةٌ تسعى من دون أن يلحظها الكثيرون: تسعى تحت المخدَّة وأنت مُسْتَلْقٍ، أو على وجهك فتطردها على أنها حَبَّةُ غُبَارٍ؛ وهي إن كانت صغيرةً في فضاء فسيح فذلك لكي تنتبه إلى ما يخفى على غيرها، فترفع فوق قامتها الرقيقة ألطف الذَّرات في الممرَّات؛ تَمُرُّ حيث يَمُرُّون، وتشقى في نقل فتاتهم على أنه من جواهر التُّخمة.

هي تفحص -مثلي- الدقيق واللطيف، أقرب إلى الشاعر الذي يستلُّ الدلالة النادرة من رُكام اللفظ أو من شرفاته الظليلة. تسعى جسورةً، صبورةً، بأناة الصَّانِعِ وحَذَاقته، فلا تَأْبَهُ للضجيج الرتيب؛ يكفيها أنها -إذ تَصِلُ- تكون قد تَعَبَتْ؛ وأن ما زرَعَتْه تُقْبَل على قِطافه، وأنها الوديعَة المؤجَّلَة لغيرها.

أنا مثلها، إلا أنني أظير، إن شئت؛ وأنا القبضة على الشيء إذ يحلو للعين... أنا  
وَمُضَّةُ اللَّفْظِ إذْ يَقْدَحُ الْحَجَرُ بِالْحَجَرِ.

لذلك أزهو من دون أن يبدو تعبى، وأغني من دون ألمي... أي الهدية بين عيون  
متذوقها.  
(صمت).

١ الخليفة (الخليفة جالس على كُرسِيهِ الفخم: لا يلبث أن يغفو؛ والحاجبُ مائلٌ بين يديه،  
ومستمعون جالسون أرضاً على مبعدةٍ منهما).

الحاجب : يا لسان، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.  
مستمع : وبعد؟

الحاجب : لك أن تسمع فقط.

(يوجه حديثه إلى أحدهم، وقد وضع على رأسه تاجاً): لماذا تعمَّمت بالتاج؟

مستمع (محدثاً جاره): أَيْقَالُ «تَعَمَّم» للتاج؟ أم أنهم يُعَرَّبُونَ كل شيء؟

الحاجب : (بلهجة قاسية): لا تاج إلا للملك.

مستمع : لكنه الخليفة.

الحاجب : لا يهم.

لا يصحُّ للرعية أن تتشبه بلباس حاكميها (يقول هذه الجملة مقترباً من المستمع،  
فاحصاً هيئته)... وما هذا الفص؟

مستمعون : مستمعون (يضحكون): ...

مستمع : لعله يقصد الخاتم في إصبعك.

فعلاً. أما قرأتُ للجاحظ: «وكان إذا ركب في لبسة، لم يرَ على أحد مثلها؛ وإذا تختمَ  
بخاتم، فحرامٌ على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص، وإن بعد التشابه».

مستمع : حتى، هنا، التشابه ممنوعٌ.

(يخرج المستمعون فيما يثرثرون).

الحاجب : يا لسان، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك.



إن أمير المؤمنين يقعد في هذا اليوم، ويعتّم على قلنسوةٍ، فانزعوا عمايكم.  
(عتمة).

(متكلمان واقفان، مُديرًا الواحدُ ظهره للآخر).

متكلم : لعلنا لا نتقدّم.

متكلم : هذا طبعي. هذا متّوقّع.

كيف لك أن تتقدّم في حَيِّزٍ ضيّقٍ كهذا... في حَيِّزٍ مسدود!

متكلم : ما بإمكاننا فعله؟

متكلم : ما نفعله: أن نتمايلَ.

متكلم : مثل راقص؟

متكلم : مثل التردّد أو التّمهل أو التّفكّر أو معاوذة الخطى أو نقل الخطى في رقصة بعينها- إذا أحببت هذا التشبيه.

متكلم : أهذا يكفيك؟

متكلم : أما انتبهتَ إلى أننا نجتاز الحَيِّزَ وحسب، فلا نعرفه؟

متكلم : ألنا أن نمسحه مِثْرًا مِثْرًا، سنتمترًا سنتمترًا؟ أهذا ما تريد أن تقول؟

متكلم : لا، كان ذلك تشبيهًا.

متكلم : يبقى علينا- إن كنا لا نتقدّم- أن نصعد، أو أن ننزل.

متكلم : أليس هذا ما نفعله؟

متكلم : في التشبيه.

متكلم : طبعًا، فهو ينقلك إلى مكان آخر بالضرورة.

متكلم : ولو هُت؟

متكلم : لا يفيدك؛ لأنه لا أحلام لك، ولا كوايبس.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأن لا حياة سابقة لك؛ لك هواء يتبدّد فوق رؤوس سامعيه ورؤوس متكلميّه.

متكلم : ولكن سبق أن قلت لي إن لا شيء يتبدد.

متكلم : فعلاً. لا يتبدد، بل يمضي، ولكن بعد أن يفقد زخمه القوي...

تراه رخوًا، متفرقًا في أكثر من جهة.

متكلم : لكن الجالس في القطار يقوى على قراءة الجريدة نفسها التي نسيها الراكب في المقصورة. (نسيها)

متكلم : ليس بين أيدينا جريدة، بل فوق ألسنتنا أخبار وكلام. وما نقوله ليس ألفاظًا طباعية، بل إيقاعية.

كلمات ذات رنين، مثل كف أو نسمة أو منظر أو قبلة طائرة.

متكلم : دائمًا تهوى الخروج من الجريدة.

متكلم : الأخبار تصل ميّنة دومًا...

ما أهواه فعلاً هو الخروج من حيث نحن.

متكلم : إن خرجت فعلاً، من هنا، سينتهي كلامك. ألا تعرف؟

متكلم : بلى، يكفيني أن أرى، ولو عبر حائط. وأنت؟

متكلم : سأبقى أدور بحثًا عما يجعلني مُقيماً، ولو في صالة ترانزيت.

متكلم : لعلك تعرف المسافر الذي يقيم في مطار منذ سنوات بعيدة؟

(متابعا) لا يخرج، طالما أنه ليس في حوزته تأشيرة سفر إلى البلد المقصود، ولا يعود

أدراجه بعد أن مزّق جواز سفره.

متكلم : أهو تشبيه آخر؟

متكلم : لا، ألم تسمع العبارة العربية: «أقام على سفر»؟

متكلم : لا، سمعتُ غيرها مما يُفْضي على جَلْبَةٍ أو سرداب، أو على عَتَمَةٍ مُلْتَحِن.

(عتمة).

متكلم : (يوجّه حديثه إلى متكلم آخر، فيما يقف ثالث على مسافة منهما): ألاحظت الفرق

بين: «وقف» و«وقع»؟

متكلم : أهذا يصحُّ في: سَلَخَ، مَسَخَ وَنَسَخَ؟

متكلم : لا.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأنك تنقل عني.

(وقفة).

متكلم : ألاحظتَ الفرق بيني وبينك؟

متكلم : ما هو؟

متكلم : أنا ألاحظ، وأنت تراجع؟

متكلم : ما لاحظتَ؟

متكلم : هذا الذي يقف على مسافة منّا: لمْ لا يقتعد كرسيًّا (وهو يجلس عليه، مادًّا آخر إلى الثاني)؟

متكلم : (وقد جلس): لأنه ملك.

متكلم : (بتعجُّبٍ شديد): ماذا!!؟

متكلم : أنسيت؟

متكلم : لكنهم كانوا يجلسون مع ضيوفهم، في قاعات العرض الخصوصية، في قصورهم، في فلورنسا وفرساي.

متكلم : لا، في بغداد. لا، في عهد الجاحظ.

هناك كانوا يبنون صالات تصلح للغناء أو للتمثيل، وفي بغداد كان هارون الرشيد يأتي بهم إلى مقصوراته الخاصة، وله وحده.

متكلم : لكن الكاتب شربل داغر كتب في «مذاهب الحسن» أن جميلة المغنّية كانت تستقبل زبائنها في بيتها، في المدينة...

متكلم : (مقاطعًا): ... مثل المومس.

متكلم : ما قال هذا.

متكلم : أنا أقول؛ دَعك منه.

انتهى زمن جميلة وهارون والأرشيذوق: الملوك باتوا يخرجون بِدَوْرِهِمْ، مثل غيرهم، إلى حيث لهم أن يكونوا متفرّجين، وإن في كراسٍ ومقصوراتٍ مختلفة.

متكلم : هارون لم يكن حتى متفرّجًا. أما قرأت «كتاب التاج»؟

متكلم : أنت كتاب يتجول؟!

متكلم : سيف الدولة كان له مجلس، وهو صدره. كان يجيز لغيره، في أحوال، أن يستمع لقصيدة؛ وإذ يتكلمون فلأنه أجاز لهم ذلك، وإن ينهرهم يتوقفون أو يغيبون...

متكلم : يمتثلون له، لا للشاعر، ولا للقصيدة.

متكلم : طبعًا. الأمير هو الفرجة؛ وما يؤدى هو عنه، هو له، بما لا يقبل أي شراكة، أي جلسة واحدة.

ولم يكن لهارون الرشيد أن يظهر على المغنية، عدا أنه قد يكون مستلقيًا، أو منشغلًا بعمل آخر فيما تغني. لم يكن قاعدًا صامتًا، لهذا أو ذاك من المتفرّجين أن يزق في وجهه إن تنح.

متكلم : ...

متكلم : ألا تقول شيئًا؟

متكلم : أتلو عليك ما قرأت... (مضيفًا) أن تفكر يعني أن تسمع وأن ترى.

(المصور يدخل رافعًا الكاميرا بيده اليمنى عاليًا، مثل رشاش، ويقلد صوت إطلاق الرصاص، إلى أن يختفي).

(عتمة مديدة).

متكلم : (مناديًا): التشبيه قطار،

والطير استعارة...

متكلم : متكلم (غاضبًا): هذا يكفي. قل غيرها.

متكلم : (واضعًا العصا بين فخذه، كما لو أنه يركب حصانًا، ثم يدور): أنا أبو علي الأعور إذا رأيي إبليس أدبر...

أنا أبو علي الأعور إذا رأيي إبليس أدبر...

متكلم : ... وبعد؟

متكلم (متابعًا، من دون أن يتوقف عن الدوران): لو كَلَمَني رجلُ رأسه من حديد، وبَدَنُه من نحاس، ورجلاه من رصاص، لصفعته صفقة أظير بها أنفه من قفاه.

أنا زُرَيْقُ الجني ما يتهياً الفرعون أن يقطّب في وجهي، أو يقوم بقربي، أو يناظر في كلمة بكلمة...

أنا زُرَيْقُ الجَنِّي رأسي سِنْدَانٌ ولحيتي خَنْجَرٌ ويدي مطرقةٌ حَدَّادٍ...

متكلم : ... وبعد؟

متكلم (متابعًا، من دون أن يتوقف عن الدوران): والله إني أضحك في جيبِي وأنسى حتى تعفن.

أقطع رأسك وأجعله زُرَّ قميصي.

أستنشقك فلا أعطسُكَ إلا في الجحيم.

أشربك فلا أبولُكَ إلا على الصراط المستقيم...

متكلم : ... وبعد؟

متكلم (متوقّفًا قليلًا): متأسّف. لم يبقَ شيء.

(بعد تردد) بلى، لَدَيَّ خبرٌ.

متكلم : ما هو؟

قله، ولا تظهر بعد ذلك.

متكلم (متابعًا، من دون أن يتوقف عن الدوران، ولكن بِسُرْعَةٍ أَقل): ما من عبدٍ إلا وَلَهُ

في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يصعد إليه عمله. وهذه الشجرة التي

عن يساري (دالًّا عليها من دون أن تكون ظاهرة) ما عليها ورقةٌ إلا وَكُتِبَ عليها

اسمُ شخصٍ من بني آدم؛ ذكورًا وإناثًا. فإذا قَرُبَ أَجَلُ الشخصِ اصفرت الورقة التي

كُتِبَ عليها اسمه، وتسقط على الباب الذي ينزل منه رزقه، وَيَسْوَدُ اسمه في اللوح؛

فأعلم أنه مقبوضٌ؛ فأنظر إليه نظرة يرتعد منها جسده، ويتوعك قلبه من هيبتي،

فيقع في الفراش، فأرسل إليه أربعين من الملائكة يعالجون روحه.

(متوقّفًا) انتهى الخبر، هل ألقاك بعد اليوم؟

متكلم : لا.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأن ورقتك تصفر. ألم تنتبه بعد؟

متكلم (مغادراً بسرعة): شكراً، شكراً... أرجوك أن تكون أميناً في نقل الخبر.  
(عتمة).

متكلم (عابراً، بصوت عال):

قَدْ كَ غَضَنْ لَا شَكَّ فِيهِ كَمَا وَجْهَكَ شَمْسُ نَهَارُهَا جَسَدُكَ

متكلم : للمرة الثانية أو الثالثة أستمع إليه، من دون أن أقوى على سؤاله.

متكلم (ثالث): وعمّ تريد سؤاله؟

متكلم : عن معنى البيت. مَنْ يقصد فيه؟

متكلم : لكن البيت ضعيف، والتشبيه أعرج.

متكلم : هل يقصد فيه الحبيبة أم الخليفة؟

متكلم : لا، بل القدير العالي.

متكلم : وكيف ذلك؟

متكلم : كانت تُبهرهم الشمس لدرجة أنها كانت أعلى الصور وأجمل التشايبه، فيخشونها  
ويشخصون إليها مثل سرّ بعيد وصاعقٍ.

متكلم : والخليفة في هذا كله؟

متكلم : ألم تلحظ أنه احتجب بما أخافنا؟

متكلم : ما فهمت.

متكلم : ولا أنا.

(بعد توقف) هل تدرك أسرار الملوكة؟ ألا ترى أن الرئيس يحتاج إلى نشر صورته،

اليوم؟

متكلم : بلى.

متكلم : هذا ما يميّز الملك عن الرئيس.

متكلم : وما يميزني عنك؟

متكلم : أنني أحسن الكلام، وإن في الخطأ، وأنت تخسر دومًا، وإن في الصح.

متكلم : ما أفعل؟

متكلم : لك أن تسكت، في أفضل الأحوال.

(عتمة).

(متكلمان حول طاولة).

متكلم (يقرأ في ورقة):

On dirait que je lis une conversation sur Pygmalion...

متكلم (يقرأ في ورقة):

Pygmalion ou caméléon?

متكلم (يقرأ في ورقة):

Cà rime en tous les cas...

Je te pose la question: l'un ou l'autre?

متكلم (يقرأ في ورقة):

L'un sans l'autre.

متكلم (يقرأ في ورقة):

On dirait que l'un aspire à devenir l'autre... Le poète le peut...

متكلم (يقرأ في ورقة):

Et l'enfant aussi.

متكلم (داخلًا، زاعقًا، ممزقًا الأوراق): ألا توجد ترجمة فورية؟

متكلم (داخلًا، حاملًا أوراقًا): الترجمة تأتي متأخرةً دومًا.

(يقترّب منه ويوشوشه).

صوت : (في العتمة): وأنا؟

كتاب / شربل داغر ج ٢ المجموعات الشعرية / اندازين ٦ / القسم الفني

۱۲۸



متكلم (بعد أن يلفّه على عنقه): ليس دائماً... ليس دائماً... ليس دائماً... ليس دائماً (فيما يخفت الضوء).  
(عتمة)

(الشاشة الإلكترونية مُضاءة، خالية من أي كلام. متكلمون يدخلون تباعاً، على أن كل واحد منهم يتمشى في اتجاه).

متكلم : (حاملاً، قارئاً في «كتاب التاج»، مكرّراً الجملة): إنها اللذة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممّن سَرّني... إنها اللذة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممّن سَرّني... إنها اللذة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممّن سَرّني.  
متكلم : أمّا انتهى هذا الكتاب؟

عيل صبري... أتعرفها هذه العبارة؟ هي من «عيون» العربية، كما يقولون.

عيل صبري، وما من علامة أو خبر!

متكلم : (ماسكاً كتاباً): إنها لذة الدنيا استعارة.

متكلم : أهذه من «كتاب التاج» أيضاً؟

متكلم : لا، من كتاب الإمام السيوطي: «رشف الزلال من السحر الحلال»، أو «مقامة النساء».

متكلم (حاملاً كتاباً بالفرنسية):

Moi, je préfère lire dans le livre de Paul Ricoeur: «La métaphore vivante»

متكلم :

Non, c'est «La métaphore vive»

متكلم :

Qu'est-ce qu'il dit?

متكلم (قارئاً):

Ici, ce qui est en question n'est pas la forme de la métaphore (comme pour la rhétorique), ni son sens (comme pour la sémantique), mais sa référence, c'est à dire la 'réalité' en dehors du langage. La métaphore, en dernier ressort, est pouvoir de redécrire la réalité, mais selon une pluralité de modes de discours qui vont de la poésie à la philosophie. Dans tous les cas, nous sommes fondés à parler de 'vérité métaphorique'.

متكلم : وماذا يقول هذان؟

متكلم : ...

متكلم : أنا تَعِبْتُ من هذا كله.

أين أصبحنا؟

متكلم : لعلنا توقَّفنا قبل فاصلة.

متكلم (دالاً على الشاشة الإلكترونية، المضاءة، التي تظهر فيها تباعاً هذه الجمل):

ما يدور عليه الكلام، هنا، لا يتعلّق بشكل الاستعارة (كما في دروس البلاغة)، ولا بمعناها (كما في دروس المعاني)، بل بمرجعها، أي بـ«الواقع» خارج اللغة. الاستعارة، في مآلها الأخير، هي القدرة على إعادة وصف الواقع، ولكن وفق تعدّد أنماط الخطاب، التي تتراوح من القصيدة إلى الفلسفة. في جميع الأحوال، نحن مُؤَهَّلون للحديث عن «حقيقة استعارية».

متكلم (بين التعجّب والتدبُّر): حقيقة استعارية؟! أهذا ما كان ينقصنا؟!...

(كأنه يجيب نفسه) أن نكون احتمالاً فوق جناح طير!

متكلم : لا يُعْقَلُ أن نكون في لقطة سينمائية توقَّفت بالخطأ!

متكلم : بلى، ألسنا محتجزين؟

متكلم : بلى، لكننا نتجوّل.

متكلم : لكننا لا نتقدّم.

متكلم : بلى، ولكن استعارياً.

متكلم : لكنك أسقطت الحقيقة: أينها؟

متكلم : في أعلى الصفحة. عُد إليها.

متكلم : أين ذلك؟

متكلم : في الكتاب.

متكلم : أي كتاب؟

متكلم : في هذا.

(عتمة)

متكلم (يستوقف أحدهم كما لو أنه تعرّف عليه): أين كنت؟

متكلم : على مقعد، في العتمة.

متكلم : أكنت متخفياً أم متوزّعاً؟

متكلم : لست متخفياً لكي تضبطني، ولا متوزّعاً لكي تجمعني.

هي، وهو، والكرسي، وأنت، وما يتمتمه الهواء، أنكفأ بها.

متكلم : فعلاً؟

متكلم : فعلاً.

متكلم : وما جرى؟

متكلم : هذا ممّا له أن يكون.

متكلم : أيجري إذّاك؟

متكلم : هو الآن بيننا...

(مستدركا) بل بات أبعد منا.

متكلم : (ساحباً ورقة وقلماً من جيبه الداخلي): ألي بتوقيع منك؟

متكلم : (مادّاً إليه يده للمصافحة): ...

متكلم : ما لك؟ أتمضي؟

متكلم : (مغادراً، بعد أن أسقط يده): أعود إلى مقعدي.

متكلم : (ماذا يده للمصافحة): والسلام؟

متكلم : (ماضيًا في مغادرته): تأخرت كثيرًا.

متكلم : كيف ذلك؟!

متكلم : (ماضيًا في مغادرته): سقطت يدي قبل نقطة.

(عتمة).

متكلم : (محدثًا من يمشي إلى جانبه): قيل لي بأن مُشغَل الشاشة الإلكترونية مُعطلٌ هو الآخر.

متكلم : حتى الصوت المنفرد غاب!

متكلم : مضى وقت طويل...

متكلم : حتى الفلسطيني اختفى!

متكلم : فعلاً! أين هو؟

متكلم : لعله اختفى في لحيته.

متكلم : صاحبُ الباقة -بدوره- نَتَفَ الورودَ ورقَّةً ورقَّةً، وشرب ماءها.

متكلم : (من العتمة): لعله هو الذي ذَبَلَ، لا الباقة.

متكلم : أما أراد الوصول؟

متكلم : (في العتمة): لعله أراد التمشي... أن يكون له زَخَمٌ مُسْتَنَفِرٌ...

متكلم : لم لا تظهر؟ لم لا تشاركنا في حديثنا؟

متكلم : (في العتمة، بصوت خافت): أكاد لا أسمع حديثكما.

متكلم : لماذا؟

متكلم : لأنني أبتعد عنكما.

متكلم : أنكون وحيدين؟

(عتمة).

(العمياء جالسة على مقعد؛ يصل متكلم، ويجلس إلى جانبها).

متكلم : لعلك العمياء.

العمياء : لا.

متكلم (يتفرس في وجهها): بلى.

بُتُّ أليف ما تظهرين عليه، وأنت تتخفين!

العمياء : ألا تزال آلة التسجيل الموسيقي في جيبك الداخلي؟

متكلم (بصوت هامس): مَنْ أَخْبَرَكَ بهذا؟

العمياء : أنت.

متكلم : كيف يحدث أننا نلتقي؟

العمياء : كيف يحدث أننا نلتقي وحدنا من دون غيرنا؟

متكلم : كيف يحدث أن الإنارة التي تجمعنا وتظهرنا خفيفةً دوماً؟

العمياء : كيف يحدث أنني أتابعك من دون أن أتبع خطاك؟

متكلم : فعلا، بدليل أننا لا نتوانى عن التقدم...

العمياء : (مقاطعةً، مُكَمِّلةً): ... بخلافهم.

متكلم : أتعرف...

العمياء : (مقاطعةً، مكملة): ... أن مَنْ يتذكر...

متكلم (مقاطعا، مكملا): ... ومن ينسى أيضاً...

العمياء : (مقاطعةً، مكملة): هو وحده الذي يحب.

(يمد يده إلى كتفها، داعياً إيّاها إلى الوقوف، إلى مشاركته في الرقص... يرقصان كما

لو أنهما يلتحمان.

راقصون آخرون، متفرقون، يدخلون ويرقصون، فيما يبقى الراقصان ملتحمين).

(عتمة).

متكلم (وحيداً على طاولة): أحاول تذكّر ما جرى؛ لا أقوى على ذلك.

متكلم (وحيدها على طاولة أخرى): لأن شيئاً لم يجر.

متكلم : وأنت؟

**متكلم م : مُنْصَرَفٌ إِلَى مَا يَعْنِينِي.**

متکلم : وما هو؟

متكلم : لا يعنيك.

### متكلم : أأبقى صامتًا؟

متكلم : لعلك فهمت من دون حاجة لإسكاتك.

متكلم (فيما يخفُّ الضوء والصوت): وأنت لو تسكت...

متكلم (فيما يخفُّ الضوء والصوت): بعدَكَ... وأنت لو تسكت...

متكلم (فيما يخفُّ الضوء والصوت): بعدَكَ... وأنت لو تسكت...

متكلم (فيما يختفي الضوء تمامًا): بعدك... وأنت لو تسكت...

متكلم (فيما يختفي الصوت تماماً): بعدك... وأنت... لو...

(عتمة مددة).

صوت : (عبر المکبر): نداء. نداء. نداء.

نداء إلى الواصلين كما إلى المنتظرين: عُدْرًا لهذا التوقف الاضطراري.

عذرًا لهذا العطل المفاجئ.

نرجو خصوصاً من مسافرينا الكرام نسيان ما حصل...

(أثناء الكلام تُنار المساحة من جديد؛ يظهر باب عريض في وسط الحائط، عليه

العبارة التالية: «خروج»، بأكثر من لغة.

ملاحظة: استعاد كل خارج ثيابه التي ظهر بها لأول مرة).

(وقفه).

(يظهر من وراء الباب أحد المسافرين متلصصاً على الخارج، للحظة، ثم يرتد إلى الخلف. يعاود الكرّة مرّةً ثانية وثالثة، إلى أن يقف في المرة الرابعة في الباب ناظرًا إلى الخارج كمن يتوقّع وجود أحد المنتظرين، فلا يجد أحدًا؛ يعود إلى الخلف، ويختفي).  
(وقفة).

(يخرج ثلاثة متكلمين، حاملين الألواح الخشبية، ويقفون أمام الباب منتظرين... بعد ثوانٍ يصل أحد الصحفيين، حاملًا حقيبة يدوية، ومرتبكًا في مشيته وحركاته).  
متكلم : أَنْتَ الصحفيُّ الذي ينتظرنا؟  
الصحفي : أنا الصحفي الذي طلبتم من مديره أن يلتقي بكم.  
متكلم : أَمَا من كاميرا للتصوير؟  
(يُخرج الصحفي من حقيبته دفترًا وقلمًا).  
متكلم : عفوًا على التأخير.  
الصحفي : لا تخلو، أيها الممثل، من ظرف أكيد. كان لي -أنا- أن أعتذر عن تأخري.  
متكلم : أنا المخرج، وأمثل عند الضرورة.  
أأبلغوكم عن تأخر وصولنا؟  
الصحفي : عن أي تأخر تتحدث؟  
(ينظر الثلاثة إلى بعضهم البعض متعجبين، ويسرعون في نقل أغراضهم، فيما يلحقهم الصحفي).  
(وقفة).

(يتقدّم متكلم ومتكلّمة من باب الخروج، وما أن يصل المتكلم إلى منتصف الباب يتراجع مذعورًا، متضايقًا من قوة الإنارة، على ما يبدو، فيما تستمر المتكلّمة في خروجها).  
متكلّمة : (تناديه، ناظرة إلى الخلف): ما لك؟  
متكلم : (يصل صوته من وراء الباب): ما كنتُ أتخيل الخروج مؤلمًا إلى هذا الحد.

متكلم : أحتاج إلى وقت طويل؟

متكلم : أَمَا عَدْتَ احتملين الانتظار؟!

متكلم : لا.

أنا متلهفة للخروج... (مستدركة) بخلافك، على ما يبدو.

(لا يصل جوابه).

متكلم (ملتفتة إلى الراء): ألا تزال هنا؟

(لا يصل جوابه).

متكلم (مغادرة): اتَّصَلْ بي على بريدي الإلكتروني... (بعد تردّد) إن شئت.

صاحب الورود : (يخرج من الباب صارخًا، حَامِلًا باقة الورد): أرجوكِ أرجوكِ...

متكلّمة : (عائدة إلى الراء): ماذا تريد؟

صاحب الورود : (يمدّها إليها): خذيها.

متكلّمة : (وهي تستلمها): لماذا؟

صاحب الورود : (مغادرًا): لا حاجة لي بها بعد الآن.

متكلم : لكنها لم تذبل.

صاحب الورود : (من دون أن يلتفت إلى الراء): فعلاً... لأن ورودها اصطناعية.

(ترميها المتكلّمة أرضًا؛ يسرع إلى التقاطها عن الأرض أحد المتكلّمين، الذي خرج

باحثًا عن أحدهم، من دون أن يلقاه. يقف منتظرًا، وحاملًا باقة الورد.

يخرج أحد المتكلّمين حاملًا حاسوبه، فيقف إلى جانب المتكلم).

متكلم : من تنتظر؟

متكلم : التي لا أعرف اسمها.

متكلم : وكيف ستعرفها؟

متكلم : فعلاً، إنه سؤال مناسب.

(يكرّر الجملة عينها، وهو يغادر، فيما يبقى الآخر منتظرًا).

(عتمة).



(قائمة بلباس أبيض، وحذاء أسود، تدخل لتجلس في وسط المساحة -المضاء كلياً- على كرسي «المخرج»، ثم ترفع يدها أمرّة جهةً مخفيةً بإطفاء الأضواء... وهو ما يتمُّ تبعاً).

تخرج، تظهر على القسم العلوي من الجدار الشاشة الإلكترونية، ويتمُّ نَقْرُ العبارة التالية بحروف كبيرة):  
عتمة دامسة وصمت مُطْبِقُ.

صوت : (يتنحى في العتمة، ويقول): أَمَا من أحد؟... أَمَا من أحد؟...

القائمة : (تظهر من جديد، بما ينيرها وحدها): أين أنت؟ من أنت؟

صوت : أحد الواصلين.

القائمة : لقد وصلت. لقد انتهى كل شيء.

صوت : فعلاً؟

القائمة : فعلاً.

صوت : لا أريد الوصول.

ماذا أفعل؟

القائمة : يمكنك البقاء في العتمة.

صوت : شكرًا.

(ترفع القائمة يدها، وتشير بإطفاء الأضواء من جديد، ثم تتوقّف وتتوجّه بالسؤال

إلى الصوت المحتجب).

القائمة : أَسْتَبْقَى في العتمة؟

صوت (من العتمة): أَسْتَبْقَى إلي بهذا السؤال؟

القائمة : طبعاً. لم يبقَ سوانا.

صوت (من العتمة): نعم، سَأَبْقَى.

القائمة : أَلَا تخشى الوحشة؟

صوت (من العتمة): بلى، إِلَّا أَنَّكَ ستبقين شجرتي، «العطشانة»، أينما كنتِ.

القـامة : هذا مَحْضُ كلام. هذا محض خيال.

صـوت : (من العتمة): سيبقى الألق...

(صوته متباعدا) ... سيبقى الهواء المتماذي في غيِّه، في تجواله...

القـامة : (مقاطعة): ... أي هواء؟

صـوت : (متباعدا): المتصاعد من الكلام.

(تعلو القامة بيدها، فينطفئ ما كان مُضاءً بعد، فيما تظهر دائماً على الشاشة الإلكترونية العبارة:

عتمة دامسة وصمت مطبق

قبل أن تعمَّ العَتَمَةُ تَمَامًا).

عتمة دامسة وصمت مُطْبِقٌ.

# القَصِيدَةُ لِمَنْ يَشْتَهِيهَا

دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠.



## أَيُّهَا الصَّوْتُ، دَعْنِي أَكُونُ

يحلّو لي أن أعبت بهذا كلّهُ، طالما أنها تسهر مع إبرتها،  
خشية أن تطيل جارتها وقوفها، خلف نافذتها، عند الغروب، أو أن تطيل الكلام صباحًا مع جامع  
القمامة، أو أن تطيل الإصغاء إلى أصوات سمعتها ذات يوم، في غفلةٍ منها، من دون أن تدركها، بعد  
أن استوقفها النازلُ في فتحة قميصها، من دون أن يبلغ رغبها؛

يحلّو لي أن أعبت بهذا كله، طالما أنها تمشي الهوينا

فوق خشبة نصبتّها بنفسها

لردفها:

يتبختران

بثقة إيقاع عامودي

لا يتوانى عن الحراكِ

من دون رقصٍ،

وعن الغناء،

من دون مُنشدّين:

أَيُّهَا الصوت، دعني أكون،

لانتظارها الليلي،

رَفِيقًا، رَفِيقًا،

رَافِعًا أَنْخَابَهَا

فَوْقَ وَلِيْمَتِهَا.

يَحْلُو لِي أَنْ أَعْبَثَ بِهَذَا كُلِّهِ، طَالَمَا أَنْ لِلْقَصِيدَةِ مَطْعَمًا

يَبْسُطُ مَوَائِدَهُ

لِلْعَابِرِينَ الطَارِثِينَ كَمَا لَزَوَّارِهِ الْبَلَدَاءِ،

يَحْلُو لِي أَنْ أَعْبَثَ بِهَذَا كُلِّهِ، طَالَمَا أَنَّهَا

-مَا أَنْ تَنْزِلَ عَنْ غُصْنِهَا-

لَا يَسْتَقْبِلُهَا غَيْرُ الْهَوَاءِ: هَوَاءُ الْمَارِّينَ الْعَجُولِينَ، الْمُسْكِينِ بِجَرَائِدِهِمْ مِثْلَ يَدٍ مُنْقَبِضَةٍ عَلَى مَخَاوِفِهَا؛

هَوَاءٌ فِي هَيْئَةٍ مَفْتَتَشٍ،

يَتَفَقَّدُ مِنْ دُونِ أَنْ يَفْحَصَ،

يَلْتَمِسُ مِثْلَ أَعْمَى،

وَيَمِشِي مِثْلَ بُولِيسٍ فِي حَيٍّ مُعْتَمٍ.

يَحْلُو لِي أَنْ أَعْبَثَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَقَدْ اسْتَطَالَتِ الْحُرُوفُ مِنْ دُونِ أَنْ تَبْلُغَ خَوْفِي، وَلَا رَغْبَتِي، وَلَا وَقُوفِي

خَلْفَ بَابٍ مَسْدُودٍ،

فَهَذَا مِمَّا بَقِيَ وَأَحْرَصَ عَلَيْهِ زَادًا لِلشَّتَاءِ.

دَعْنِي عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الصَّرَاحِ، لَا فِيهِ،

أُتَحَرَّى فِي الْقَاتِلِ عَنْ وَجْهِ الْقَتِيلِ،  
وَفِي الدِّمَى عَنْ جُثِّثٍ كَامِنَةٍ...

دعني أقيم بين اندفاعٍ وأخرى،  
في أرجوحةٍ بين فاصلتين،  
فيستقيم، عندها، الغناء  
المعطوب:

من فَرَطٍ ما تَوَالَى عَلَى الْبُرُوزِ  
من مطربين جَهْمِينَ، وطبَّالين حاسري الرؤوس، وآلات لرفع العَتَبِ...

دعني، مثل صلاةٍ، أُنَادِي  
الغائب، أو القادر، أو الوردية، أو الشهيد،  
فيبلغ صوتي المُشَيِّعِينَ قَبْلَ الْفَقِيدِ،  
والمواكب قبل الدمعة التي جَفَّتْ فَوْقَ خُدُودِ الْفُقْدَانِ...

دعني أبكي، لِمَرَّةٍ، وحدي،  
فلا يشاركني، وَلَا يُرَبِّتْ عَلَى كَتْفِي،  
المُعْزُونَ بِوَفَاتِي قَبْلَ مَوْتِي،

دُعُ الْوَاصِلِينَ إِلَى الْهَيْكَلِ - قَبْلَ أَنْ يَصْلُوا - أَلَّا يَصْلُوا،  
وَالنَّازِلِينَ إِلَى الْكَلَامِ - مَنْ دُونَ أَنْ يَبْلُغُوهُ - أَلَّا يَتَفَوَّهُوا بِأَيِّ عِبَارَةٍ،  
وَالْجَالِسِينَ إِلَى رَاحَاتِ أَيْدِيهِمْ أَنْ يَبْقُوا قَانَعِينَ بِطُمَأْنِينَةِ الْمَلَكِ الرَّاقِدِ فَوْقَ شُمُوعِهِ،

والمُمسِّكين بأنفاسهم وراء شفاههم -خشية إقلاقِ الأشباح الساهرة فوق احتفالاتهم- أن يُمسكوا  
عن المجيء، أو الإنشاد، طالما أن الجوقة تنتظر فقاقيع السماء، وبشارات الحاذقين في مشاغل  
الأعاجيب...

دُعهم، يا صَوْتُ، ساهمين، صاغرين،  
لئلا تستبدَّ في الأعمى شهوةُ التَّسَوُّقِ،  
وفي المقعد رغبةُ الطيران...

دُعهم، فَفِيكَ من الحكمة، ومن الصبر،  
ما يجعل القصيدة تتدبَّر  
خروجًا لهم، كلهم،  
في موكب واحد،  
له نجمة وحيدة:  
النعمة.

دعني أكون،  
وإن ملُحًا،  
أو احتمالًا،

سريان حياة في حصاة مستلقية فوق شاطئ من سطور.



## ش. د.

هناك أَحَدٌ

يقلد مَشِيتِي،

ويمشي في سطري،

وما أن يصل إلى قبري

يفترق عني

ولا يلتفت إلى الرنين.

## جوابٌ عن سؤالٍ

- هذا الشاعر يتبنّى قطيعاً،

لكي يصير كَرَّازاً؛

ويَبْسُطُ العشب بين الدرجات الأولى،

لكي يَقْوَى على الصعود،

وحده،

إلى رأس النبع...

وأنتَ؟

= لعلِّي أنتسب إلى أَلْقِ الماء، إلى وميضِ

الدَّهْشَةِ الغامضة،

التي تُبْقِينِي يَقْظاً

في خدمتها.

## أستمع، من دون عيون

لَقَمْتُ النهرَ حَجْرًا

من أجل أن أعبث حتى باحتمالات الشَّكْلِ،

فكيف لا أبقى في جلستي هادئًا،

من دون عيون،

أستمع إلى زَبَدِ الهواء

ما أن يبلغ شاطئ الصُّور!

## أَبْقَ يَقْظًا

لَا تَسْتَسْلِمَ لُغْبَارِ الْخُطَوَاتِ؛

أَبْقَ يَقْظًا،

وإلا لاصطدمت بِغُصْنٍ مَفَاجِئٍ، مَا يُوجِعُكَ، مَا يُجْبِرُكَ عَلَى اسْتِعَادَةِ الْمَشْيِ، مِنْ دُونَ أَنْ تَعْرِفَ مِنْ  
أَيْنَ لَكَ أَنْ تَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ، عَدَا أَنْكَ تَكُونُ قَدْ بَدَّدْتَ لَذَّةَ التَّقَدُّمِ الْمُتَوَتِّرَةِ:

الشهوة عالية، على الأطراف،

فِي قَوْسٍ مَشْدُودٍ...

هذا الطريق لم يَعُدْ طريقًا طالما أَنَّ الْخُطَى تَنْقَادُ إِلَيْهِ.

## هذه التفاحة

هذه التفاحة قد تصبح وردية،

فوق طاولة بيضاء،

وهي تنتظر ريشة جسدي:

أيها اللون، دعني

أمدد نظري فوق ملمسها

وألحس رحيق التجربة من أطرافها.

نسيْتُ عنقودَ عنب وإجاصة صفراء وثلاث حبات تين فوق طبق المحاولة،

تركْتُ الطبق فوق شرشف مدعوك،

والشرشف على طاولة مربعة،

فنهضتُ الطاولة بكل ما عليها فوق بقعة زرقاء.

هذه البقعة تحط في قصيدة

فوق سطور مضطربة مما يحدث لها

من دون علمها.

هذه القصيدة تركتُ شُبَّاكَ المحترف مفتوحاً،

وطمَعَ الشَّبَّاكُ بأوسع من الدولاب،

الذي يدور ويلهو:

إن صادفه اللون، أو السطر،

بكي

وفتحها هدية مؤجلة الاستلام،

مثل وعد بقاء.

## طَرَائِدُ رَاجِفَةٍ

وهذا الذي يمضي بها إلى الشَّجَرَةِ،

أو الحَمَّامِ، أو القَطَارِ،

أو مَخَدَّتَيْهَا،

كسَوَّلٍ، وتَسْتَبِدُّ به، على الرَّغَمِ من ذلك، هَيئَةُ الوَاصِلِينَ.

انْتَبِهْ،

له جَسَارَةٌ صَفَعِ الدَّفَّةَ بالدَّفَّةِ،

من دون أن يلتفت حتى

إلى مَنْ أَبْقَيْتَهُمْ مِثْلَ

طَرَائِدِ رَاجِفَةٍ

قبل وَلِيْمَةِ الشَّرَاكَةِ.

## أَكْتُبْ إِذْ أَقْرَأُ

أَسْلَمْتَنِي الرَّاقِصَةُ إِلَى حَلْبَتِهَا،  
وَالْمُغْنِيَّةُ أَيْضًا،

بينما تَبَرَّمتِ القصيدةُ من الوقوف وراء منبرٍ في الحلبة عَيْنِهَا.

المتفرِّجُ ناشِطٌ في هيئةٍ مُمَثِّلٍ متقاعدٍ،  
ومُمَثِّلٌ لا يتورَّع عن تدخين سيجارته في ممرَّاتِ الواقفين أمام شباك التذاكر.

أَكْتُبْ إِذْ أَقْرَأُ  
بشهوة السارق في مَشْغَلٍ غيره،  
على أن ما يقطفه يَقَعُ في خيط الرغبة المشتعل قبل احتراق اللقطة.



## الَّذِي أَنَا

أَمْسَكَ الْمُسْنُ -الذي أنا- بعصاي، قال:

استندُ إلى صبري

تَصِلُ؛

قلتُ له:

أنحن اثنان أم تستبدلني بِعُكَاظَيْنِ؟

## سقوط مُحَقَّق

المُلاَكَمُ على كَيْسِهِ

يُسَدُّ الضَّرَبَاتِ من دون حساب،

في فضاءٍ ما يجمعهما

من دون جبالٍ

أو جمهور:

فقط لِمَتَعَةٍ استرداد

سقوطه المُحَقَّق.

## نَسِيتْ صِنْدَالَهَا

ما لا يتوانى عن المجيء

جلس إلى هذا الكرسي،

لِلتَّوُّ،

من دون أن ينبري له ما يُفْسِدُ قَعْدَتَهُ القَانِعة.

هكذا، لا أمشي، بل تتداولني المناكبُ

حتى إنَّ خطواتي نَسِيتْ صِنْدَالَهَا في الزَّحَامِ...

أَيُّ عَابِرٍ في الصباح يسبقني إلى وجهي من دون أن يكون قد حَلَقَ ذَقْنَهُ بَعْدُ.

## ذلك أنّها

تمضي مثل طيرٍ مذعورٍ

في سماء النَّظَرِ

أمام عيونهم المشغولة عنه

بِعُشٍّ

يجلسون فوق قَشَّةٍ،

ويحتارون

في ما لهم أن يفعلوه

إنْ سقط الطير في الوادي

من دون وديعة

أو جوقٍ احتفاليٍّ.

## على البَوَّابَةِ عَيْنِهَا

الطَّرْقُ على البَوَّابَةِ عَيْنِهَا،

والإِصْغَاءُ:

أَهْناكَ أَحَدٌ؟

أَرْوَحُ وَأُجِيءُ، وَأَعَاوِدُ الْمَجِيءَ وَالرَّوَّاحَ، مِنْ دُونِ عَتَبَةٍ:

أَلَا يَتَبَنَّانِي أَحَدٌ؟

أَلَا يَسْتَقْبِلْنِي أَحَدٌ؟

أَتَرَاهُمْ يُحْجَمُونَ عَنْ مُخَاطَبَتِي لَكِنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى الْإِمْسَاكِ بِيَدِي كَمَا فِي دُرُوسِ الْإِمْلَاءِ؟

## ما له أن يكون

مَرَرْتُ بِحَدِيقَةٍ بَسَطْتُ سَجَّادَهَا لِعَيُونِي، فَمَا اسْتَرَعَانِي مَرَّاهَا،

فَأَنَا -مِنْذَ حِينَ- أُحْصِي بُرْعُمًا تَلُو بُرْعُمٍ،

ما له أن يكون

قبل أن يكون،

ما يُوقِدُ فِتْنَةَ الْغُصُونِ

في شَفَافِيَةِ أَوْرَاقِي.

## على مُنَحَدَرِ النَّظَرِ

لعلِّي أعرفه، هذا الذي يمسك بمقبض السياج المطَّلَّ على مُنَحَدَرِ النَّظَرِ،  
لعلِّي أعرف ما يتصاعد من عيونه من دون مَشَقَّةٍ،  
لعلِّي أتوقَّع ما سيقوله لي بصمت...

لعله ينساني قبل أن أمضي  
فأعبر المدى خفيفًا،  
أمنية مُرْجَاة  
أو طفولة مُعَلَّقة.

## مُنَحْنَى السُّؤَال

بَادَرْتُهُ بالكلام

فِي مُنَحْنَى السُّؤَال

فَمَا أَخْطَرَنِي بِبَقِيَّةِ الْخُطَى الْمَاضِيَةِ إِلَى رَنِينِهَا...

لَعَلَّه يَسْبِقْنِي،

لَعَلِّي أَسْتَعِيدُهُ،

فَلَا يَدْرِكُ أَحَدٌ مِنَّا: أَيُّنَا يَسْتَفِيقُ؟ أَيُّنَا يَنَامُ؟

أَيُّهَا التَّفَاحَةُ مِنَ الْغُصْنِ؟

أَيُّهُ الْحَرْفُ مِنْ شَكْلِهِ؟



## يَقْظَةُ بِالْمِرْصَادِ

أَهْيَ فُوهَةً الحروف

إِذْ تصرخ

يستفيق

أُفُقٌ فِي مَهْدِهِ؟

## ما أنْ

ما أنْ أُقْبِلُ على المنحنى الواصل بيني وبين غبار الأحجار

تَسْتَفِقُ

لي وحدي

خيالاتُ المُسَكِّينِ بِعَصِيَّتِهِمْ، الجالسينِ أمامَ عتباتهم فوق كَرَّاسٍ من قلقٍ وقدرٍ؛

تستفيقُ أصابعهم المشدودة، وأقدامهم المسنونة، ونظراتهم الملتاعة، وشفاههم المزمومة، مثل  
كتيبة لحراسة الوقت:

تراهم موصولين، بعضهم ببعض، بِخَيْطٍ دقيق، فما أنْ يصرخ أحدهم حتى يستعجلَ الجالسُ إلى  
جانبه إلى استِدْرارِ نقودِ العطفِ واستِجْرارِ مياهِ دفيئة:  
يَسْعُنِي، هنا، استِدْعاءٌ مَنْ أشاء.

## «الْقَصِيدَةُ سَتَسْرِقُ مَوْتِي»<sup>(١)</sup>

لا تحتفظ القصيدة بِسِرِّ رحلتها،  
بما أنها غابة مُلْتَمَّةٌ  
على خطوات غائبها،  
الواقفين أمام أغصانها،  
رافعين إصبعًا أمام لوحٍ مدرسيٍّ،  
بحجّة أنهم أضاعوا في المنام صنادِلَهُم،  
فطاروا من دون أجنحة،  
وكتبوا من دون طُبْشورٍ،  
عن طفولة سَبَقَتْهُمْ إلى مخابئ الغياب.

---

(١) للشاعر الفرنسي رينيه شار.

## اسمي عنوانها

اسمي لم يَعْذُ اسمي،  
بل العنوان الذي يدلُّ عليها،  
من دون اسمي:  
الكتاب حَفْلٌ  
من دوني.

## الَّتِي تَرُودُ

ذَنْبُ مُنْعَطَفَاتِ الدُّرُوبِ،  
تَمَّتْ أَرْضُ جَوْفِيَّةٍ لَا فَمَ لَهَا،  
الكلاب التي تَرُودُ حول شجرة:  
القصيدة،  
تنتظر شتاءها مثل صَيْفِهَا.

## المَسْبُوقَةُ

القصيدة تُفْسِدُ الأصابعَ التي تكتبها،  
والمطبعةَ التي تَفْرُغُ منها،  
والقُرَّاءَ الذين يُقبلون عليها؛  
لأنها من أخيلةٍ صُنعت،  
بينما يُمْسِكُها الآخرون بأصابعٍ مَسْبُوقَةٍ.

## المُتَرَبِّصُونَ

تَقْرَعُ القَصِيدَةُ عَلَى بَوَابِ الغَفْلَةِ،

من دون استئذان،

مُبَاغِتَةً النَّائِمِينَ بَثْيَابِهِمْ، الْمُتَرَبِّصِينَ بِأَيِّ نَدَاءٍ...

## الْيَتِيمُ وَالسَّهْمُ

اللفظُ فوق رأس القصيدة

تَفَاحَةٌ

في انتظار قارئها؛

لا يُوازِي مُتَعَةَ الإِصَابَةِ

غَيْرُ فَرَحَةِ الْيَتِيمِ

مَنْ تَبَنَّاهُ:

يَقْتُلُهَا أَوْ تُحْيِيهِ.



## مُسْتَقْبَلِي الْمَوْجَل

الْعَتَمَةُ، مُسْتَقْبَلِي الْمَوْجَل:

زارته القصيدة قبل وقت.

ما لم أَعِشْهُ، تُقِيمُهُ أَمَامِي

ما لم أَسْعِدْ بِهِ، تُشْرِكُ الْغَيْرَ بِهِ مَعِي

ما أكتبه، يعرفني أفضلَ مِنِّي.

## أَعَارَتْنِي الْقَصِيدَةُ

أَعَارَتْنِي بَهْجَتِي يَدِي

لَكِي أَكْتُبُ،

أَعَارَتْنِي يَدِي نَبْضُهَا

لَكِي أَتَسَرَّى بَيْنَ الْحَرْفِ وَالْمَسَامِ،

بِهَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْرَابٍ.

أَعَارَتْنِي الْكِتَابَةُ الْقَصِيدَةُ

لَكِي أَنْظُرَ مِنْهَا

إِلَى يَدِي،

مِثْلَ جَارَيْنِ عَلَى شُبَّاكَيْهِمَا الْمُتَقَابِلَيْنِ.

قَدْ تَأَسَفُ الْقَصِيدَةُ لِمَا لَمْ يَحْدُثْ لَهَا،

قَدْ تَسْتَعِيدُ الْحَبِيبَةَ يَدَهَا مِنْ يَدِي

لَا مِنْ شُبَّاكِ الْقَصِيدَةِ

الْمُفْتُوحِ لِي، بَعْدِي،

وله ولها، بعدهما

بما يُنِيرُ الْبَهْجَةَ مِنْ بَعِيدٍ

ويسحب يدي المُنْهَكَةَ مِنَ الْقَصِيدَةِ.

## لِمَرَّةٍ أُخْرَى فَقَطْ

ما أنْ أُنْهَها

سَتَكُنْ لي المرة الأخيرة

التي أنظر إليها وهي تنظر إليّ.

## تُدِيرُ ظَهْرَهَا

ضَوْءٌ شَحِيحٌ فِي عَتَمَةٍ رَاسِيَةٍ،  
ما يكفي لِتَفْقُدِ الأَثَاثَ  
من دون قُدْرَةٍ على التَّجَوُّلِ السَّهْلِ،  
أو دعوةٍ أَحَدٍ...

الزيارة صَامِتَةٌ، خَاشِعَةٌ وَحَذِرَةٌ  
مَخَافَةَ مُبَاغَتَةِ الرَّاقِدِينَ،  
أو مَنْ يُبَدِّلُونَ ثِيَابَهُمْ بِخِفَّةِ المُمَثِّلِينَ في الكواليسِ،  
كما لو أن أصابعهم من شموعٍ،  
وصنادِلُهُمْ خَفِيفَةٌ،  
وأنفاسُهُمْ تَوَقَّفَتْ عن الطيران.

ضَوْءٌ الَّتِي فِي جَعَبَتِهَا  
أُخْفِتْ هدايا ومواعيد،  
وحاكت كنزَةً مُسْتَرْتَةً مثل حكايةٍ في قنديلٍ؛

ضوءُ التي تكفي لِنَقْلَةٍ،  
من دون وجهةٍ أو دليلٍ،  
بِعَزْمِ الصَّابِرِينَ الجَسُورِينَ:

تَمْسُكُ بِيَدِي  
بثقةِ الذَّاهِبِ بي إلى المدرسةِ الأولى،  
وأتردَّد في مشيتي  
بِخَشْيَةِ الذَّاهِبِ إلى المدرسةِ الأولى.

كنتُ أُنَدِّفُ إلى الشارع، إلى بلاطه، بما لا أقوى على تَحْمُلِهِ في صدري، بما يَتَلَجَّلُجُ فوق شفاهي  
وأطمع في سَماعِهِ وحدي، مُرتابًا مِمَّا يصعد مِنِّي وأنْكِرُهُ، بما أسعى خلفه بجناحَيْنِ من ورق.

ما يَتَلَفَّظُنِي وَيُسَمِّيَنِي،  
ما يَبْنِيَنِي من دون عِلْمِي،  
ما يَقُولُنِي من دون بَيِّنَةٍ من أمري،  
ما يجعلني مَعْبَرًا لِلنَّفْسِ،  
ما يُحْيِيَنِي وَأَبْسُطُهُ أمامي  
فوق غَيْمٍ من أهواءٍ،  
ما يَحْمِلُنِي أو أَحْمِلُهُ  
ما يُبْقِيَنِي على حافَّةٍ  
مُتَدَلِّيًا

من دون تَتَمَّة،

ما يسقط مني وأمسك به مثل لُقْيَا،

ما يستقبلني

على مَقْرَبَةٍ مني.

لا تنسى، ولا تُبَاغِتْ أَحَدًا،

تدير ظَهْرَهَا

القَصِيدَةُ.

## لَتَحِيَّتِهَا

تتمهّل في المجيء،

عمدًا،

لكي ينهضوا لتحيّتها

- ما أن تصلَ -

في دارها.



## إلى بيتها

لم يَعدْ في مقدور القصيدة أن تَقْفَلَ عائِدةً إلى بيتها؛

فهي لا تُحسِنُ استعادةَ ما جرى،

ولم تُوزَّعْ حصاها لكي تستدرك عَثَرَاتِها:

تمضي، ولا تلوي على ما يُجْبِرُها على التوقُّف.

## وَصِيَّةٌ بِيضَاءُ

جِئْتُ إِلَيْهَا بِوَصِيَّةٍ بِيضَاءَ

مَخَافَةَ أَنْ تَرْسُمَنِي

مِنْ دُونَ هَيْئَتِي،

فَأَسْقَطْتُ يَدِي مِنْ قَبْضَتِهَا

وَجَعَلْتَنِي أَرَى مِنْ دُونَ أُفُقٍ.

## لو يكون

في مرّاتٍ عديدة، في هذه أو السابقة،  
كان غافلاً عنها إذ قادتّه إلى مَنْصَتِها؛

في مرّةٍ قادمةٍ،  
ستسهر فوق تابوته،  
تقرأ في كتابٍ  
ما كان له أن يكون.

## لِمَنْ يَشْتَهِيهَا

القصيدة لا تسهر مع أحد:

يزورونها فرادى، ويُمَعِنُونَ في تفتيشها

من دون أن تَلُوي على شيء...

عداها لا يعنيتها،

هي التي نَسِيَتْ أن تنظر إلى خلفها

لَمَّا نَادَتْهَا

وجوهٌ مَن عبروا،

وأصوات مَن سيكون صامتين...

القصيدة لا تنسى مُحِبِّهَا

وإن غدروا بها،

أو تَنَكَّرُوا لها:

تفي بوعدِ الخُطَى...

القصيدة لا تنام، ولا تُواعِدُ أحداً؛

تتمشَّى أمام مرآتها

من دون أن تُمسِكَ بضميرتها؛

لَعُوبٍ، وجسورةٌ؛

تُعْطِي قُبْلَتَهَا

مَنْ يشتهيها.

## اسْتَدْرَاكُ شُكْرٍ

أَيِّمِكُنِي الْقَوْلُ: «أنا، هنا»، أثناء استعراض السطور المتراصّة،  
و«شُكْرًا»، عند بلوغها نهاية الجملة؟

## حَرَكَاتٌ وَحَرَكَاتٌ

تَأْكُلُ سَمَكًا سَبَقَ لِلْمُعَلِّمِ أَنْ جَمَدَهُ فِي بَرَادِهِ،  
تُمْسِكُ بِقَمِيصٍ دَخَلَ إِلَى الْعِبَارَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَرْتَدِيهَا،  
تَنْزِلُ فَوْقَ دَرَجَاتِ الْحُزَنِ، فَوْقَ رَسْمِ الْكُسْرَى، بِخِفَّةِ اللَّاعِبِ بِأَصَابِعِ مِنْ رِيحٍ،  
تَرَى إِلَى ذُبَابٍ طَارَ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاقِ قَاضِي الْبَصْرَةِ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ مِنْ فَرَاشَاتِ الْبَهْجَةِ،  
تُبَاشِرُ نَزْعَ الْوُرُودِ مِنْ حَيْطِهَا الْمُتَلَتَّمِ عَلَيْهَا، مِثْلَ مُفْرَدَاتٍ فِي قَامُوسٍ...

مَا يَتَكَوَّمُ، وَيَتَسَلَّلُ إِلَى خِفَائِهِ، لَا تَرْفَعُهُ الضَّمَّةُ،  
مَا تَسْتَدْرِكُهُ فِي أَقَاصِي نَظَرِهَا،  
مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَقُولَهُ مِنْ دُونِ أَنْ تَقُولَهُ،  
سَيَبْقَى أَبْعَدَ مِنْ عَطْرِهَا إِذْ تَتَغَاوَى فِي تَقَدُّمِهَا،  
كَمَا لَوْ أَنَّهَا اهْتَدَتْ إِلَى حَرَكَاتِهَا، وَحَدَهَا،  
مَا أَدْرَكَهُ الْمُتَفَرِّجُ عَلَيْهَا قَبْلَهَا.

## فِعْلٌ مُسْتَتِرٌ

أن تتمدّد على سريها بعد الظُّهر،

بينما النافذة مفتوحة لعودها وألعيب ستارتها،

وجلالة القطّة ساكنة في أحلامها،

أن تتمدّد مثل أرملة،

وتتحرّق مثل سارق

لوقوع الضّمة على الفاعل

بما يُضمّره من فِعْلٍ مُسْتَتِرٍ.



## جذها

- وضعتُ القصيدة على مقبضِ بابها:

«الرجاء، عدم الإزعاج»،

فكيف ألتقيها؟

- في كلمات حياتها المتقاطعة.

## بُودَا الرَّزِين

الرَّمَادُ لَا يَنْسَى،

أَمَا الشُّعْلَةُ فتمضي في غَيْهَا، مثل صَبِيَّةٍ شَكَّتْ فوق دراجتها الهوائية قُبْلَاتٍ طَيَّرَتْهَا من دون أن  
تصل إلى أحد.

الرماد، بودا الرزين،

رمى شبكته

لصَيْدِ الفَرَاشَاتِ، أو القُبْلَاتِ،

من دون أن يفارقَ قَعْدَتَهُ الساكنة:

بُودَا وَعَدَّ مُشْتَعِلٌ

في سِرِّ القصيدة

التي لا تنسى

ما سبق لدِرَاجَةٍ هَوَائِيَّةٍ أَنْ دَسَّتْهُ

في صدر الصبيَّة

التي مضت تبحث عن شُعْلَةٍ

ساكنة في قَعْدَتِهِ.

## رَجَعَ أَذْرَاجَهُ

لم يَبْقَ غير أن أمضي إلى المشرحة لكي أتعرف على وجهي.

لم يبقَ غير أن أَسْتَرِقَ النَّظَرَ إلى جنازي إذ يُعَدُّونَهَا.

لم يَكُنْ قد أتمَّ المحادثة التي شرَعَ بها...

تمنَّى لو أنه يطيل التوقُّفَ قبل سقوطه...

استنفد وقته، ووقتَ غيره، قبل أن يُنْهِيَ سيجارته، ومن دون أن يُشْعَلَ عودَ ثقابٍ...

اكتفى بِسَحْبِ شريط بسيط، قُرْبَ زَنَارِهِ، كمن يسحب شريط عُلْبَةِ الهدية،

من دون أن يَسْتَلِمَهَا أيُّ من الواقفين إلى جانبه.

يتفقد روض القصيدة

من دون دليل

مُمَسِّكًا بصورة

هي عينُ التي اقتيد من أجلها إلى محلِّ التصوير، قبل شهور على تقدُّمه إلى امتحانات الشهادة  
الثانوية، بعد أن نظَّفت أمُّه أَذُنَيْهِ إثرَ عودته من عند الحلاق، وارتدائه لقميص أخيه؛

وهو إذ دخل لم يدخل واقِعًا،

ليس للعتبة باب: لها مزلاجٌ وثقْبٌ مسدودٌ، وأحذيته لا تصلح للمشي، بل للطيران، عَدَا أنَّ المُواكِبِينَ

انصرفوا من جديد إلى شدِّ آذان زوجاتهم يُيسِّر هو الذي لِمَنْ اعتادوا ارتداء ثيابهم في العَتَمَةِ...

على النافذة التي نظرَ منها إلى أي شيء، لآخر مرة، لم يبقَ شيءٌ لكي تحتفظ به القصيدة، حتى أن الهواء الذي مضى أتى غيره،

دعا غيرَ عابرٍ لملاقاته إلى أعلى الدَّرَجِ النازل إلى صبر الهاجعين في أوكارهم، فما انتبه أحدٌ إليه، ولا لطائراته الورقية التي شكَّها خلف أذنيه مثل قلم النَجَّار؛

إذ كانوا يمشون في شوارعَ ورثوها من دون أسمائها، مضوا فوق بلاطاتها كما في حكاية، حتى أنهم دَرَجُوا فيها من دون هَلَعٍ على أن نظراتهم وحدها هي التي كانت تخشى مما يقع ولا يقع بين خطواتهم.

ليس له ماضٍ،  
له صورةٌ ختاميَّةٌ؛

لا يعرفه أهله،  
يَصِلُ كما لو أنه غيره،

ولا يكشف عن هويته، لأول مرة، لآخر مرة، قبل أن يجتاز الحدود...

مُتَسَلِّلٌ، على أن له مَوْكِبًا ضاِحًا  
ودموعًا وأثوابًا سوداء مُسْتَنَفَرَةً مثل أمٍّ خلف انتظاراتها.

دخلَ إلى القاعة عَيْنِها التي خرج منها،  
وجدَهم يعتنون به - بصورته

حتى إنهم ما لحظوا وجوده بينهم؛

بكي، من دون أن يسمعوها نسيجه،

وما أن تكلم لم يسمعه لكي يستدركوا ما فاتهم وما طلب تصحيحه؛ ذلك أنهم كانوا مشغولين عنه به.

كانوا يتعدون عنه بينما يقترب منهم، ولا سيما ممن ما كان يعرفه، بل تعرّف على صوته عبر الهاتف وحسب، فاتّجه إليه من دون أن يصل إليه، على الرغم من أنه ما كان يبعد عنه سوى بضع خطوات: أكانت خطواته بحجم انتقالات مَلة؟ هل اتّسعت عيناه كفاية بحيث يراه ولو عن مسافة آلاف الكيلومترات؟ هل ما يراه فيلمٌ مُسجَّلٌ أو مسبوق عمّا له أن يكون؟

جلس فوق ذكرى أنه جلس إلى هذا الكرسي، لكنه لم يجد في جيبه الداخلي ورقةً لكي يدوّن ما كان يسمعه منهم عنه: لم يبقَ غير أن يمضي إليهم لكي يُدرِكَ أخباره!

قام من على كرسيٍّ ما كان يرى منه، فما استدركه أحد الواقفين، المتجمّعين، المتدافعين فوق سطور سيرته: كانوا يتلقفونه تباعاً في أرغفته الطازجة، من دون أن ينزلوا إلى السطر: خرج في ذُرْوَةِ الخبر.

- عاد، إذن!

- لا.

- هذا لا يكفي؛ ماذا فعل؟

- أتى على أعقابهِ... على أدراجهِ.

ما أن يصل، يكونون قد انتقلوا، إذ إنّه تخلف عن حركتهم، أو جاءت انتقالاته بعد حركتهم... عدا أنهم ما كانوا يعرفونه لكي يستوقفوه.

- تابعتُ ما تقول...

لعلَّه يُحسن قراءة ما تقوله شفاهم عن بُعد.

- لا، إنه يرى أيضًا.

- ومن قال لك إن الكلمات لا ترى بدورها؟!

مشى فوق حبال نومه من دون أن يستيقظ،

ودعا أحلامه إلى الاصطفاف، كما في أول الشهر، أمام شبَّك الأجور المُستَحَقَّة، لكنه لم يصبر ولم  
يَعْبَأُ بصغيرها المتلاحق.

وقف في الصفِّ مثلهم، مدَّ يده مثلما مدُّوا أياديهم، من دون أن يفوز بصورته اللماعة.

بات له جناحان ليطير، فما طار؛

كاد أن ينجح في إيقاف الجدل في المقهى؛

كاد أن يعبر بين المشيِّعين والقابعين خلف ستائرهم؛

كاد أن يبكي معهم،

لولا أنه كان يمشي بالمعكوس؛

كان يراهم بينما يبتعد عنهم،

كانوا يتجهون صوبه بينما كان يبتعد عنهم...

التي وقفتُ أمام شاهد القبر تعرَّف بها، من دون أن يكون قد التقاها في مرَّةٍ سابقة؛

لم تشارك في الجنازة، ولا في تَقْبِلِ التَّعَازِي،

بكتُ إذ أتت، بعد رحيل المُشَيِّعِينَ،

بكتُ بمَجْرَد أن وصلتُ، يُبْسِرُ مَنْ أخرجتُ ورقةً من جيبها وشرعت في تلاوتها، بعد أن كتبتها،  
واستعادتها في فراشها مرّاتٍ ومرّاتٍ قبل أن تُدَوِّنَها؛

فتحَ لها صفحتي يديّ

لكي يُعَبَّ من ينبوعها.

لم يعبأ الإسكافيُّ بما جرى، وقد شاهد في «الجزيرة» ما يكفي؛ سيبقى محنيّ الظهر على سندانه،  
على أن يده تنزل إلى التَّنَكَّةِ المليئة بالماء، وتصعد منها، ما يكفي، ما يجعلها طريّةً، تقوى على تمكين  
الخيوط الدقيقة من ثقبها؛

وإذ يشدّها تمامًا، يُخرج يده من تنكّتها، يُمرّرها على ورقة جبينه مثل توقيع ختامي.

- إن توقّفتُ...

- توقّفتُ.

- ها واحد يتوقّف لندائي... أخيراً!

- أخيراً.

- كنتُ قد أنهيتُ رسالة الاستقالة، إلا أنني نسيتُ إيداعها في البريد.

- في البريد.

- أجل، في البريد.

أَتعرِّفُ: ما نجحتُ في ترتيب أوراقِي كلّها، كما يلزم؟

- كما يلزم.

- أَنْتَ تُرَدِّدُ نَهَايَاتِ الْجَمَلِ، لَيْسَ إِلَّا.

- لَيْسَ إِلَّا.

لا يصل صوتي إلى أحد،

يتلوّى فقط مثل راقص مُتَقَاعِدٍ،

لا يُصَفِّقُ له أحدٌ،

غير أصابع الهواء وغصون المقاعد.

يسعني، الآن، قبول التّعزّيّة معهم، فلا أحد منهم يتعرّف على وجهي.



## الغِبْطَةُ بالكلام

ستقولين لي: تقول الشيء عَيْنَهُ.

سأقول لك: ما يُوجِعُ، لا يَبْرَحُ،  
يسبق دوماً الأصابع إلى تَتِمَاتِهَا،  
والتَّمَتَمَات إلى انحناءاتها.

ستقول لنا: وحدها الغِبْطَةُ بالكلام  
تنفخُ الهواءَ في الحروف الهامدة.

## نصيحة

لا تطلبِ استنطاقها،

لا تدعها ترفع،

لأنه -إن فتحتَ فَمَها بكلام-

سقطتُ الوردة من بين شَفَتَيْها،

وبقيتَ في توقيفٍ احتياطيٍّ.

## بين عُصَيْنَيْنِ

- كيف لي أن أردتُ أن أستعرضها بلمح البصر؟ ماذا أفعل؟
- = انزل إلى النهر، قف على ضفةٍ واصعد.
- وهي، إذ ذاك، أين تكون؟
- = تكون، على الضفة الأخرى، تحدّق فيك مَلِيًّا...
- وأنا، ما أفعل عندها؟
- = تكون قد أدرتَ ظَهْرَكَ لها، قبل أن تتوقّف وتختفي بين عُصَيْنَيْنِ.

## عَطَشٌ

أَرْضِي مَرْوِيَّةً

مَنْ دُونَ شَجَرَتِهَا،

وَعُصْنِي يَسْتَطِيلُ

لِتُفَاحَةٍ فَوْقَ طَبَقِهَا الْأَسْوَدِ.

## سندريلاً وحذاء أميرها

لا تَعْبُ القَصيدةُ بِتَشْرِدها،  
بارتيادها غُرَفَ العَابرين، الطارئين،  
لساعاتٍ، في فنادقٍ رخيصةٍ،  
أو بين الأشجار الخفيّةِ،  
طالما أنها تَنَعَّمُ بما لم تعرفه سندريلاً  
في حذاء أميرها،

طالما أن ارتجافَ وقوفها في العراءِ،  
في مرمى انكشاف المخاطر،  
إيقاعُ انفعالي،  
هو عَيْنُه الذي لِلْمَوْتِ، في غرفته المجاورة،  
وَلِلَّذَةِ في انحباس صوتها.

تُرْتَقُّ سندريلاً حذاءها الوحيد،  
بينما القصيدة لا تَعْبُ  
بِعُشاقها الكُثُرِ  
وَيَمِيلُهُم الشديدِ إلى خيانتها من جديد.

## أَبْقَى

الجريدة التي تتصفحُك،

الرصيف الذي يمتدُّ لقدمك،

الغُبارُ، النهار، والمواليد الذين يتباطؤون في المجيء حتى يوم غَدٍ،

هذه كُلُّها، وغيرها، لا تخشى اللقاء بِكَ صُدْفَةً؛

أَبْقَى على مسافةٍ منها:

غامضة ومُحَيَّية.

# نُقْطَتِي قُبْلَتِي

نُقْطَتِي قُبْلَتِي

فوق الفاء، وفوق الزَّاي،

والياء

شطران متوازيان لاشتھاء قافية.

## خُطُوتُكَ يَا بَسْتِي

خُطُوتُكَ يَا بَسْتِي:

لا أَتَقَدَّمُ، لا أَتَرَجِعُ،

من فَرَطِ الدُّوَارِ؛

كُونِي بَمَا يُسْقِطُ الظِّلُّ فِي الضَّوِّءِ،

وَالشَّرَاعِ فِي مَهَبِّ الْبَهْجَةِ،

وَالْقُبْلَةَ فِي بَحْرِهَا.



## لَسْتُ

- لَسْتُ سَوَى شَجَرَةٍ يَعْبرُونَ إِلَى جَانِبِهَا،  
لَا شَجَرَةَ الْمُصَوِّرِينَ.

- لَسْتُ وَحِيدَةً، إِنَّ كُنْتُ بَعِيدَةً.

## لِفُسْتَانِهَا، لَوْ أَقْبَلْتُ

لِفُسْتَانِهَا - إِذْ أَقْبَلْتُ -

فيروزتان

وكتابٌ أبيضٌ.

لِفُسْتَانِهَا من خلف

زَنَارٍ بِسَاعِدَيْنِ من قُمَاشٍ،

يَضُمَانِهَا

إِذْ أَدَارَتْ ظَهْرَهَا عَنِّي.

لَوْ أَقْبَلْتُ

بِطَيْشِ الْفَتَى،

بِطُبُشُورَتِهِ الْأَخِيرَةِ،

لَرَفَعْتُ سَاعِدَيْهَا بِخَفَّةِ حَرَكَةِ الْإِعْرَابِ

إِلَى كَتْفِي،

لَجَعَلْتُهَا تَدُورُ فِي جَسَدِهَا،

حول جذعي،  
لَعَلَّوْتُ بِهَا وَأَمْسَكْتَنِي،  
لكان لنا طريق ينبسط لنا،  
تحت وقع خطانا،  
ولكانت لنا أرجوحة لبَهْجَةٍ،  
بمجرد أن تَلَامَسَ أَصَابِعُنَا وَجْهَ شَهْوَتِهَا.

لو أَقْبَلْتُ صَوْبِي مِنْ دُونِ فُسْتَانِهَا  
لرسمتُ لها بِرِشَاقَةٍ مُصَمَّمِ الْأَزْيَاءِ  
هَالَةً

تُنِيرُهَا مِنْ بَعِيدٍ  
وَتُقِيمُهَا فِي لَوْحِي.

لحظة  
حفْلٍ رَاقِصٍ  
بَطَلَةٌ أَبَدٍ.

## دَبُّوسُ حِجَابٍ

لا تخافي،

ليست لأصابعي بَصَمَاتُ،

ولا تَحْتَفِظُ يدي بِقَبَابِ العَتَمَةِ، مثل رسوم المعماريِّ فوق مكتبه،

فللدَّبُّوس عَيْنُهُ، الأَبْقَى من عيني،

وللحجاب ستارته، الأَشْمَلُ من كَفِّي...

اغتسلي -إن شئتِ-

غير أن القصيدة لا تكتفي بذلك،

بخلاف كاتبها.

## كَمْ لَهَا

كَمْ لَهَا

أَنْ تُرَاقِصَ صَامِتِينَ، لَا يَرْفَعُونَ وُجُوهَهُمْ إِلَى وَجْهِهَا،

أَنْ تُحِبُّ وَرَاءَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ،

أَنْ تُصْغِيَ شَدِيدًا لِمَا لَا يَتَعَدَّى الِاهْتِمَامَ،

أَنْ تَذُوقَ طَبَقَ الْأَكْلِ قَبْلَ أَمِيرِهَا؛ خَشْيَةَ سُمِّ مَدْسُوسٍ فِيهِ،

أَنْ تَرُودَ أَمَكْنَةَ جُغْرَافِيَّةً وَافْتِرَاضِيَّةً مِنْ دُونِ «دَلِيلِ الْمَسَافِرِ»...

لَكِنِّهَا مَا أَنْ تَصِلَ... تَنْقُضِي،

مِنْ دُونِ أَنْ تَتَسَلَّمَ حَتَّى يَبَيَّنَا بِمَا أَوْدَعَتْهُ.

## مُبَادَلَةٌ

أُسَاعِدُ قَدَمَيْهَا فِي النُّزُولِ مِنْ عَرَبَةِ الْجِيَادِ،

وَأَتَمَّهْلُ فِي التَّقَاطُ أَخْبَارِ خَيْبَتِهَا،

فَفِي مَرَّةٍ سَابِقَةٍ

عَوَّضْتُ غِيَابِي

بَأَنْ اسْتَبَدَلْتَنِي بِنَسْمَةٍ عَابِرَةٍ

عَلَى أَسْرَةِ الْغِيَوْمِ

وَفَوْقَ أَعْنَةِ الْخَيْلِ.

## إيفا غاردنر

لو أنني رفعتُ قدمي قليلاً، واستمهلْتُ رفعَ الثانية،  
بما يمكنني من رؤيتها أثناء استحمامها،  
وأيضاً من نَزَعِ الدهشة من عينيها،  
لَمَا تَعَجَّبْتُ إيفا غاردنر مِمَّا أقوى عليه...

بدليل أنني أمسكتُ بالحبيبة، التي أنزلتها القصيدة من على سطرها،  
وأعدتها إلى خباء وقمر،  
ينتظران منذ قرونٍ وقرونٍ  
عبورَ مَوْكَبِ عمر بن أبي ربيعة.

## سِجَارَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْأَشْبَاحِ

على مَقْرَبَةٍ مِنِّي،

مِنَأَى عَنِّي:

أَدْفَعُهَا عَنِّي، تُجِيزُ وَقُوفِي فِي مَا هُوَ لِي.

هِيَ هَكَذَا: مَآكِرَةٌ، وَإِنْ فِي هَيْئَةٍ مُسْتَعْطِيَّةٍ.

وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ: أَكْتَشِفُ بَيْنَمَا أَمْشِي،

وَأَسْتَرِيحُ بَيْنَمَا تَنْشَطُ فِي مَشْغَلِهَا الْخَافِي.

هَذَا مَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، بَلْ مَا أَبْدَأُ بِهِ، بَعْدَ أَنْ تَنْبَهْتُ، بِلَمَحِ الْبَصَرِ، وَعُنْفِ الضَّرْبَاتِ، إِلَى مَا يَتَفَرَّقُ فِي حَدُوثِهِ وَيَجْتَمِعُ إِذْ تَجْمَعُنِي، أَوْ تُكَلِّفُنِي، أَوْ تَتَدَبَّنِي، أَنَا الْمُنْدَفِعُ حُكْمًا إِلَى اسْتِدْعَاءِ غَيْرِي، فِي تَدَافُعَاتٍ مَا يَجُولُ فَوْقَ خَشْبَةٍ؛

أَنَا الصَّوْتِ الْمَائِلِ إِلَى الْجُلُوسِ، مَا يَجْعَلُنِي أُرْوِي، مَا لَمْ يَحْدُثْ، مَا يَحْدُثُ بِمَجْرَدِ التَّلَفُّظِ بِهِ، فَأَخَالِنِي مُتَفَرِّجًا عَمَّا يَحْدُثُ لِي أَمَامِي.

\*\*\*

دَلَفْتُ إِلَيْهَا مِنْ بَابِهَا الْخَلْفِيِّ، مِنْ دُونَ أَنْ أُبْرِزَ أَيَّ وَرَقَةٍ ثَبُوتِيَّةٍ، بَعْدَ سِنَوَاتٍ مِنَ الْخِدْمَةِ، مِنَ الْأُلْفَةِ، الْمَشْفُوعَتَيْنِ بِصَبْرِي السَّاهِرِ حِينَ أَغْيَبُ، أَوْ أَظْهَرُ.



كانت العَتمَةُ مُطَبَّقَةً، ما منعني من أي تقدُّم، فتركها تتكشف عَمَّا يَنيَرها، من تلقاء نفسها، لاهِيَةً عَنِّي في استِراحَتِها، بعد ارتِخاء الستارة على مُشْمولاتِها، وانصراف المدعوِّين إثر اصطِفاق الباب على دَفْتِيهِ السَّمِيكَتَيْنِ.

كنت أَتهَيَّبُ مُجَرَّدَ المَجيءِ، مُشْتَطِطًا دخولي من دون شهود:

- ما الذي قَادَكَ إلى هنا؟

... =

- اقترَبُ من الضوء قليلاً.

... =

الحركات الأخيرة اقتضت مِنِّي قبولاً ما كنت أخاله يَصْدُرُ عَنِّي، بهذه السرعة، بهذه التلقائية، وقد انقادت إلى هذه الخُطى المتجمِّدة. واقتضت مِنِّي سَماعاً لِقولِ بنبرات مختلفة، متأتية رَجْماً من تسجيل:

- أتريد أن تُعاينَ رطوبةً أم أن تستنطقها؟

- أَتظنُّ أنك تكشف عن خديعةٍ مُلوَّنة؟

- هل تُحسِّنُ الخروجَ إن اضْطُرَّرتَ إلى ذلك؟

- هل أنت مُستَعِدٌّ أم تريد أن تلهو مرة أخرى؟

- هل تظن أنك تعود أم أنك تبتني لخطوتكَ بيتاً هَجَرَدَ وقوعها فوق بلاطٍ بارد؟

...

ليس في حساي أني اقترفت أمراً يستحقُّ المحاسبة، وإن المُوجَلَّةَ.

اتَّخَذْتُ قراري من دون حرج، مثل من يزور مُتَحَفًا لتمضية الوقت، أو يتفَقَّدُ آثاراً نضب ماؤها فيها: ماء مَن عملوا فيها، أو صَبُّوا عرق أوجاعهم، أو براعم سواعدهم، في غائرها ونافرها، على أنها ندوبهم الجافَّة.

إلا أنها استوقفتني، قبل أن أدير ظهري تمامًا، لكنني لم أَدْعِنُ لتنبهاتها، بل أنزلت قدمي في عَمَقِ  
تُرَايٍ دَاكِنٍ، مثل شجرة نبتت غصونها قبل جذورها.

\*\*\*

بَدَتِ الموجوداتُ مُنْصَرَفَةً إلى سكينتها، إلى ما يشغلها، كما لو أنني أخطر فيها، بينها، بخفاء لا  
يلحظه غير الملاك الساهر في لوحته، فوق غيمته، الذي اشرأبَ بوجهه فوقها، مثل صَبِيَّةٍ تَنَكَّبُ على  
شارع دهشتها.

ما أَمْسَكْتُ بأيٍّ من الكراسي المصفوفة، المتتَابِعَةِ كما في صفٍّ مدرسيٍّ، احتفاظًا بالغُبارِ، بِنَدَى  
عَيشِها المديد معي ومن دوني. كانت المقاعدُ مشغولةً، والأحاديثُ مشغولةً، والفضاءُ مشغولًا، بينما  
أبحثُ عما يناديني ويجعلني شريكًا، أو مُقِيمًا، في ما يَخْصُنِي.

رُحْتُ أَتَقَدَّمُ من دون عائقٍ، بِخَفَةِ «المروص»، في اتجاه المَوْقِدِ، صوب الشباك الوحيد، مادًّا يدي  
الْيَمْنَى إلى ما يمتدُّ لملاقاتها، تاركًا يدي الْيُسْرَى لِاتِّقَاءِ وَقُوعِي الْمُحْتَمَلِ...

أَتَيْتُهُمْ من خلف. كانوا أَقْرَبَ إلى لاعبي خِفَّةٍ، رزينين وخبيثين: يكون واحدٌ يسُنُّ سَكِينًا، أو  
يُقْلِمُ غُصْنًا، أو يدفع بالصور المنبوذة دَفْعًا، ضَغْطًا، إلى حيث لها أن تبقى... يكون واحدٌ يبكي  
وهو يتوَعَّدُ جاره، ويسحب من جيبه غِيمَةً أو حَيَّةً، معالِمَ خَوْفٍ أو دروسَ حِيطَةٍ:

= لِمَ تَنَكَّبُ على رُكْبَتَيْكَ؟

- لِأَنِّي أُمْسِكُ بَغِيْمَتِكَ.

= لِمَاذَا تَشُدُّ على المفتاح في قبضتك؟

- لِأَنِّي أُخْفِي في خزانته صندوقَ الوحيد.

= كَيْفَ يحدثُ أنكَ تحملُ كتابًا؟

- لِأَنَّهُ كتابك الوحيد.

...

ما أن نجحتُ في مواجهتهم أداروا عني رؤوسهم، والعالق من ثيابهم في أنسجة ليلهم الصّاحي.  
كانوا يختفون من جديد بعد أن تكون قد لمعت فيهم عيون طفولتهم، مثل ضوءٍ مستبقٍ، أخير...

وحدها الأشباح تتبادلُ بين أصابعها سيجارةً واحدةً لتَمْضِيَةِ الليلة؛  
تتوقّف، ثم تتمشّى، لكي لا تموت.

## لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَوَانَا

أَيُّهَا الصُّوتُ، خُذْنِي بِتَوَدَّةٍ،

كُنْ رَفِيقًا:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَوَانَا.

# عَلَى طَرْفِ لِسَانِي

دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.

## «أَمَا رَأَيْتَ الدَّهْرَ كَيْفَ يَجْرِي؟»

يُظْهِرُ مَا أَكْتُمُهُ مِنْ عُمْرِي  
بِأَحْرِفٍ يَخْطُهَا فِي شِعْرِي  
يَمْحُو بِهَا غَضَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ  
إِذَا مَحَا سَطْرًا بَدَأَ فِي سَطْرٍ

(ابن الرومي، «الديوان»، المجلد 3، ص 392).

«(...) لولا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي» (المتنبي، «الديوان»، ص 7).

«آخر هو من أُحِبُّ، وأَكْرَهُ نَفْسِي؛ لكنَّ هذا الآخرَ يَتَحَوَّلُ إلى صَخْرَةٍ إِنْ فَتَحْتُ أَجْنَحَتِي؛ لو وَقَعْتُ  
أَرْضًا، صعد إلى السماء؛ حينَ لَا أَتَوَانِي عَنْ تَعَقُّبِهِ لَا يَتَوَانِي عَنِ الْهَرَبِ؛ وعلى نداءٍ أتي بيبقى من دون  
جواب؛ وكلَّما بحثتُ عنه، كلَّما اختفى من نداءٍ أتي»

(جيوردانو برونو، «صخب بطولي»، ص ١٥٨).

## في الأمر ما يدعو إلى الرثاء، لا إلى النشيد

في الأمر ما يدعو إلى الرثاء، لا إلى النشيد

طالما أنني انتهيت إلى الإقرار بأن من سبقني إلى الحرب تعجّل في قتلي، ولم يبقَ سواه لكي يخبر عني، بدلاً مني.

غير أنه لم يقتلني واقعاً، بل أنا الذي قتلته، فضلاً عن أنني أحسن -أفضل منه- رواية ما جرى. أنا لم أقتله في حاصل الأمر، ولا هو قتلني في نهاية المطاف: تبادلنا أصابعنا فقط، ما يتوجب في عمل المحترفين.

كان في إمكانه التّأخّر، والمجيء متى شاء، من دون أن يصطحب معه مُقاتلين آخرين، سواء بربطة عنق أو بِقُبْعَةٍ مُرَقَّطَةٍ؛

سيّان إن نسي «الكتاب الأحمر» في سيّارته الصغيرة فلا يقوى على استشارته مثل مُرشدٍ في معابد المراهقة، أو أسرع إلى إخفاء رهبته من ليل المتاريس في الثّثرة والتضاحك؛

لا بأس إن تردّد في فعلته، أو تباطأ في التّقدّم في بُهْمَةِ المحاولة، أو أمسك عن التنفّس قليلاً حين لمع في النصل بريق عينيه مثل عاشق في ليلته الأولى،

فأنا كنت أنتظر منذ وقتٍ فتى أشدَّ عزيمةً مِنِّي، ليقتلني.

هناك من يَقتل والدَهُ لكي يكبر،

هناك من يَقْتُلُ أُمَّه لِي يُحَسِّنَ مُعَاشَرَةَ النِّسَاءِ،  
هناك من يَقْتُلُ مُعَلِّمَهُ لِي يَشْتَدَّ سَاعِدَهُ فِي الرِّمَاطِ،  
هناك من يَقْتُلُ قَبْلَ صِيَاكِ الدِّيكِ، أو بَعْدَهُ، من فَرَطَ نَقْمَتَهُ؛ لِي يَتَفَرَّغَ لِحُشْوِ الرِّصَاصَاتِ مِنْ  
جَدِيدٍ،  
هناك من يَقْتُلُ بَرَاءَتَهُ فَيَتَحَوَّلُ إِلَى بَذِيٍّ فِي مُشَادَّةٍ، وَلِصِّ فِي بَيْتٍ جَارِهِ،  
وَجَنَرَالٍ فِي أَعْيُنِ الْمُسَنِّاتِ الْقَانِطَاتِ مِنْ كَوْنِهِنَّ لَنْ يَعِشْنَ مِنَ الْحُرُوبِ غَيْرَ أَخْبَارِهَا عَلَى أَجْهَازَةِ  
الْتَرَانِزِستورِ،  
هناك من يَقْتُلُ -مِثْلَهُ- لِي يَتَكَفَّلَ غَيْرُهُ بِرِوَايَةِ مَا جَرَى لَهُ.

أَعْتَرَفْتُ مِنْ دُونِ خَجَلٍ بِأَنْنِي عِشْتُ حَيَاةً سَرِيَّةً، أَكْثَرَ مِنْ حَيَاةٍ، بِسِيْقَانٍ كَثِيرَةٍ، لَكِنِّي اقْتَرَفْتُ جَرِيْمَةً  
وَاحِدَةً كُنْتُ شَاهِدَهَا الْوَحِيدَ، بَعْدَ أَنْ دَعَانِي بِنَفْسِهِ، مِنْ دُونِ كَامِيرَا أَوْ آلَةٍ تَسْجِيلٍ، عَلَى أَنْنِي  
أَسْتَطِيعُ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أُرْوِي... ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُدْرِكًا كَوْنِي مُحِبًّا لِلْقِصَصِ الْبُولِيْسِيَّةِ، أَقْرَأُهَا بِالْمَقْلُوبِ فِي  
الْمَرَّةِ الْأُولَى؛ لِي أَتَعَقَّبَ الْقَاتِلَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْذُ خَطَوَاتِهِ الْأُولَى فَوْقَ سَطُورِ الْجَرِيْمَةِ... أَنْ أُرْوِي  
مَا يَحْدُثُ مِنْ دُونِ جَهْدٍ، مَا يَسْقُطُ مِثْلَ ثَمَرَةٍ نَاضِجَةٍ فِي سَلْتِهَا، طَالَمَا أَنَّهُ يَتِمُّ شَحْذُ الْفَوْؤُسِ مِنْ دُونِ  
كَلَلٍ، وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى الْقَتْلِ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنِّي، فِي فَيِّ الْعَائِلَاتِ الطَّلِيلِ.

لَطَالَمَا أَمْضَيْتُ سَاعَاتٍ لَهْوِي فِي سَنِّ السَّكَائِينِ،  
وَتَمَرَّنْتُ، فِي الْمَشَادَّةِ أَوْ عِبْرِ النِّوَاظِدِ الْمُوَصَّدَةِ، عَلَى إِخْفَائِهَا فِي عَتَمَةِ حِذَائِي، أَوْ التَّبَاهِي بِهَا يَوْمَ الْعِيدِ  
مِثْلَ نِيْشَانِ الْمَدْرَسَةِ،

قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ امْتِدَادًا لِيَدِي،

امْتِدَادًا تَلْقَائِيًّا

لِيَدِي الْأَرْجَوَانِيَّةِ...



هكذا احتجتُ لِسَكِّينٍ لَتَدْوِينِ رسالةٍ حُبِّي الأولِ  
على شَجَرَةٍ،

قبل أن أنصرف إلى تسجيل اسمها بِأَحْرِفِهِ الأُوْلَى فوق جدران الشارع الخلفي لشارعها، آملاً بأن  
تكتشفه وحدها مثل رسالةٍ سَرِّيَّةٍ لا يُحَسِّنُ قراءَتَها غير مُسْتَلِمِها.  
واحتجتُ لِسَكِّينٍ أخرى تُناسِبُ قُبْعَةَ الإخفاء، لِسَكِّينٍ تختفي بِدَوْرِها ما أن تنقضي الحاجة إليها،  
أو تتحوَّل إلى ساعةٍ في اليد، أو إلى وَسَخٍ بسيطٍ على راحة اليد لا أَلْبَثُ أن أُمسحه من جبهتي، فلا  
تبقى علامةٌ منه تحت قُبْعَةِ الإخفاء.

سكاكيني

كلُّبُ أَعْمَى

وَوَسَخٌ،

يَشْمُ الجُثَثَ واحدةً واحدةً

قبل أن يَأْنَفَ منها.

في الأمر ما يدعو إلى الرثاء، لا إلى النشيد

طالما أنني أَشْفَقْتُ على حالي بعد موتي: وحيداً في موتي،

ومن دون نشيدٍ.

## الشهداء يعودون فرادى

الشهداء يعودون فرادى:

منهم من عاد إلى القرن من دون أن يجد الشُّباك الذي تسلم فيه أرغفة الصباح مع رسالة تأخر في فتحها لكون «التعليمات» لم تلاحظ وجود عابرين فوق الجادة التي ضاقت بنظرات الواقفات على شرفاتهن، اللواتي أنزلن سلالهن إلى الباعة الثابتين والمتجولين...

الشهداء يجلسون القرفصاء

في القصيدة،

لا أكثر...

فلا يستريحون فيها.

ذلك أن الشاعر طلبَ منهم

أن يبقوا يقظين

في انتظار بلوغ القارئ

عتبة العتمة.

الشهيد شجرة

من دون أغصان،

للشجرة أصابع من دون أن تقوى على التصفيق.

## بلى، كنتُ هنا

بلى، كنتُ هنا:

لم أصفق قبل أن ينهي الساحر جملته الأخيرة،

لم أدفع المتهالك فوق كرسیه صوب السقوط،

لم أتفوه بأي كلمة في الجنازة...

بلى، كنت معهم: في هذا الصحن البارد، نقتات لحم أجسادنا بصمت وإذعان...

بلى، وإن غافلاً عما يفعلون

من وراء زجاج نظارتي.

## موتانا اليَقْظُونُ

موتانا اليقظون

الساھرون

يمرّنون أصابعنا على العزف العاطفي

وحناجرنا على النشيد الوطني...

موتانا الأليفون،

الهانتون في رياضهم البليدة،

القابضون على رؤوسنا مقاعد كرسى لا يتوانى عن الاهتزاز،

لا ينفكّون عن معاشرتنا،

عن نُصحنا

بأن الموت أجدى

من أن نبقى قانعين

في تابوت الثلج.

موتانا يقفون خلفنا

ويُقلّبون أوراق «النوتة» لنا،

لأصابعنا الطرية،  
فوق بيانو الحياة.

## كان لهم إلهٌ يتوجَّهون إليه إذ يكون

كان لهم إلهٌ يتوجَّهون إليه إذ يكون،

ويتمسَّكون بحبَّاتٍ سُبَّحَتِهِ إذ يتساقطون في وهدة الكآبة،

وكلمةٌ منه كانت تكفيهم لكي يرتدعوا عن حماقاتهم،

بخلافه:

يقتل آلافًا في اليوم الواحد

ولا يلبث أن ينام بمجرد أن يضع رأسه على مخدته...

بخلافي أيضًا، إذ أمضي الليلة معذبًا

من دون أن أكون قد قتلْتُ ذبابةً في نهاري،

وليس لي من أتوجَّه إليه

في عُزَلَتِي، وفي خَرَسِي

غير هذه الكلمات.

## حتى حين نكون صغاراً

حتى حين نكون صغاراً

يحلو لنا أن نتصفح صور الأمس:

نتذكر، ونروي ما حصل لنا فيها...

أما الشاعر فلا يقوى على ذلك، إذ يطلبون منه الدخول إلى قصائده:

يزورها ربها،

لكنه يفشل حتماً في أن يكون دليلاً فيها،

عمّا انقضى،

مثل انفعال صاعق،

في كونٍ له من رؤوس حروفه جذور...

حين نكون صغاراً

يحلو لنا أن نكبر،

أن نمثّل أدوارنا،

وهو ما يفعله الشاعر

في طفولات اللغة.

## لأفعال المستقبل عدّة خفيفة

لأفعال المستقبل عدة خفيفة:

سين أو سوف، كما تقول العربية.

غير أنني خبرتُ، بعد انقضاء ما سبق أن كتبت عنه؛ كوننا لسنا بعرّافين، ولا بمطري وعود،

طالما أن ما نفعله لا يتعدّى التقدّم

بعدّة خفيفة:

أن يرمي ما نقوله في مدى مفتوح

مما نتعهد به، أو نتمناه.

لأفعال الماضي عدّة ثقيلة

مما يسبق أصابعنا

إلى الأشكال والصور،

ومما يستقبلها.

\*\*\*

لو أتيتَ ليلاً من الجهة عينها التي لمع فيها لون القمر فوق شفتها السفلى،

لو أقبلتَ بحماسة الطير إلى بريق الغصن النابت في صباح الطفولة،



لو عدتَ في أي وقت،

إلى أي مكان،

إلى القصيدة أو خارجها،

فستجد العمر غائبًا،

ستنجدُه في ما يشغله،

مستغرقًا في أن يكون،

من دون أن تكون له قدرة، ولا رغبة،

في حسابان الوقت،

فيما الموتي -وحدهم- يعرفون

تاريخ ميلادهم من تاريخ وفاتهم،

ويميّزون بين ماضٍ مضى فعلًا، ومستقبلٍ لا يشرعون فيه،

طالما أنهم يتهالكون

في عدّتهم الخفيفة.

## يا لتعاسة الماشي

يا لتعاسة الماشي

إذ يمشي بين النقاط:

لا يتوانى عن النطّ

تحت معطف حكمته،

بينما أنزع صندلي

لكي أحسن ملامسة الوحل النازل صوب ارتعاشات البرد.

## إذ نُقبل على الحياة

إذ نُقبل على الحياة  
تبدو الحياة مسحورة، مدعاةً لاكتشاف،  
حتى إن الأشياء فيها تطير من تلقاء نفسها،  
تبتسم فيما تودع،  
وتتماهل في السقوط عند انقضاء الوقت.

ما أن نتقدّم في الحياة  
تصبح غريبة، غير مدعاة لأي اكتشاف  
كأنك بلغت حائطاً  
طالما أننا لا نُحسن المداورة، ولا النطّ،  
ونعتقد بأنها ستستفيق ذات يوم،  
وتعاود سيرها- كما نظن أن عليها أن تسير عليه...

\*\*\*

ما أن نتقدّم في الحياة  
لا تنتظرنا الحياة إذ نتأخّر، أو نتباطأ في الفراش،

لا تَمْسُدْ شَعْرَنَا إِنْ غَضِبْنَا،

لا تَدْعُ المَراهِقَةَ اللّاهِيَةَ تَتَوَقَّفُ مِنْ جَدِيدٍ

أَمَامَ البابِ عَيْنَهُ،

فَالبابَ عَيْنُهُ يَصْلَحُ

لِلدَّخُولِ كَمَا لِلخُرُوجِ...

الحياة لا تُسْرِعُ الخُطَى،

لكنك تصل متأخراً:

تقول الحياة.

ما كنتَ تَبْدُدُهُ بَنَزَقِ المَقَامِ،

تُمعِنُ في الشَّدِّ عليه، في قبضة يدك،

مثل قرش الناجي من الغرق:

تقول الحياة مجدداً.

إذ نُقْبِلُ على الحياة،

راغبين في «نهاية سعيدة»،

نعيش الفيلم بالمقلوب

وتكون نهايته ما نبدأ به.

## الناجي من موتٍ مُحْتَمٍّ

الناجي من موتٍ مُحْتَمٍّ

شبحٌ متعجِّل، وإن تعَثَّرَ في خطوه.

والماشي في حذائه يتمهِّل في أن يكون شبحاً أبيض، شبحاً راسخاً.

في دعساتنا الأولى نتعجَّل الوصول، ولا نلبث أن نحسب أين لقدمنا أن تقع، فكيف إلى أين تصل،  
إلى أين لا تريد أن تصل!

الشبح هالة العابر:

قلَّما يلتقيان في «نهاية سعيدة».

## يراني، يراني، يراني...

الذي يتقدّم صوبي  
أتقدّم صوبه بدوري،  
لكن خطاه أسرع من خطاي.

أكتب عنه،

وهو يراني:

أخاف،

من فرط ولعي بالحياة.

## قائمة الظل مديدة

قائمة الظل مديدة

بخلاف الهارب منها،

إذ يتمنى أن تعلو أقدامه فوق البنايات،

أن يتسلَّق الغيمة بلمح البصر

وأن يندسَّ في عتمة البياض...

قائمة الظل مديدة:

إذ يعدو الهارب، تعدو

إذ يتوقَّف، تتثاءب...

لا ينفكَّان عن المخاصمة،

عن شدِّ لحاف العمر

فوق جسدٍ أضيَّق من سرير.

## مثل

مثل نقاط الماء

المتقطعة

المتتابعة

من حنفية لم يُحسنوا إغلاقها،

من حنفية لن يلبث ماؤها

أن ينقطع

فجأة.



## مسمار

مسمار في لَوْحِي

يُؤْمَلَنِي

وَيُثَبِّتُنِي فِي كِيَانِي.

## حطبٌ في سلّة المدفأة

حطبٌ في سلّة المدفأة

ينظر إلى جمر يخبو،

مفتوناً،

منجذباً

باندفاع الفتى الذي درَج فوق رصيف بأجنحةٍ طائِرةٍ ورقيةٍ ما تَوَانَى عن رفعها من دون أن ترتفع،

ما تَوَانَى عن مخاطَبَتِها في سرّه،

في عتمته المُشعّة.

## ما كنتُ أرى إليه مثل حدود

ما كنتُ أرى إليه مثل حدود

أمحى،

بل صرتُ أدور وأدور،

أستعيد خطاي

وأمشي بالعرض أحياناً...

ما كنتُ أرى إليه مثل حدود

يتقلب،

وأقلبه،

على أنني جزلٌ فيه،

في احتماله،

أكيدٌ وملتبس،

ساعٍ ومنقضٍ

في الوقت عينه.

## على رأسه قُبَّعة

على رأسه قُبَّعة،

في يده شمعة،

في خطواته

قلقٌ وشهوةٌ عابرٍ سبيل

يرى إلى رمل الطريق مثل حظٍّ أخير.

## أمضي

أمضي اليوم بعد اليوم،

من دون أن أشعر بحمايته لي،

إن أعزى،

بحمايتي له

إن يعزى؛

أمضيها،

من دون أن أتلهّف لمسح العرق عن جبهته إذ يشقى في عمله...

كأننا اثنان يتباعدان،

فلا يلتقيان

إلا في توتر النظر وتراخي المسافة.

## «تُعَوِّضُ السَّعَادَةُ بِالْعُلُوِّ عَمَّا يَنْقُصُهَا فِي الطُّوْلِ»<sup>(١)</sup>

روبرت فروست

هذا الفرح الذي يداهمني

مباغتٌ،

لم تُنْذِرْ به غمامةٌ صيفٍ،

ولا استدارت ابتسامتي مثل تفاحة نضجت مديداً قبل أن تسقط من على غصنها...

أهو الضوء - إذ ينبثق - يحو ما عداه؟

أهو اللفظ - إذ ينبني - يعوِّضُ عما فاته،

عمداً يتفقَّده ولا يلقاه؟

---

(1) (happiness makes up in height for what it lacks in length (Robert frost.)

## هكذا أنا

هكذا أنا، وقد قرأت في «بخلاء» الجاحظ، أن أخوين لا يملكان سوى ثوب واحد: إذ يخرج أحدهما،  
يبقى الآخر في البيت.

\*\*\*

أنا الراحل،

أنت القادمة:

نلتقي،

ولكن في اتجاهين مختلفين.

\*\*\*

دعني

الآن

أبكي

في وداعي.

\*\*\*

لا تكترث بالأمر،

ستكون -إذ ذاك- قد رحلت.

## يَتَبَرَّمُ الطَّلَلُ

يَتَبَرَّمُ الطَّلَلُ

مَنْ كَوَّنَ الشَّعْرَاءَ وَقَفُوا وَاسْتَوْقَفُوا،

بَكَوْا وَأَعَادُوا الْبُكَاءَ،

مَنْ دُونَ أَنْ يُبَادِرَ أَحَدُهُمْ إِلَى رَفْعِ الْغُبَارِ عَنِ الْمَشَاعِرِ،

وإِلَى إِقَامَةِ جِدَارِيَّةٍ لَمْ يَعْبرُوا وَسَيَعْبُرُونَ فِي مَمَرَاتِ الْقَصِيدَةِ الضَّيِّقَةِ.

النَّجُومُ نَفْسَهَا،

حَتَّى النَّجُومِ،

تَبَرَّمَتْ بِدَوْرَهَا لِفَرْطِ مَا اسْتَدْرَجُوهَا إِلَى مُبَاهَاكَاتٍ بِلَاغِيَّةٍ،

مَنْ دُونَ أَنْ يُبَادِرَ أَحَدُهُمْ

إِلَى مَا يَخْفُفُ مِنْ انْخِطَافِ الْفَرَاشَاتِ أَمَامَ الضَّوءِ.



## المُستَلقون في برودة الأودية

المستلقون في برودة الأودية

لا يستريحون،

بل يُصيخون السمعَ لوقعِ أقدام النازلين من تعاساتهم...

اليقظون وراء البوابات المُقفلة

لا يَغفلون عما يصيب غيرهم،

وإنما يكتفون بطنين ما يصلهم

من أفعال وحركات...

المنكبُّون على حروفهم لا يكتبون،

يكون شركاء خاسرين

وإن لم يقامروا.

## اللغة أمّ

اللغة أمّ،

الشاعر رضيعها ويتيمّها.

أعمى،

مثل أوديب تمامًا،

يعاشرها المرّة تلوَ المرّة،

قبل أن تنعقد المأساة

في كتاب.

## لفظٌ على طرف لساني

لفظٌ على طرف لساني

يَطْرُقُ على شُبَّاي،

فيما أتشأغل بالبحث عنه بين أوراقِي.

قد ألقاه فجأةً في زحمة قطار،

فيكتفي بعبوره الرقيق

مثل عطر

أو التفاتةٍ عَيْنٍ...

قد يدفعني بكتفه فوق رصيف المغادرة

فيما أُسرع الخطى صوب رصيف الوصول...

قد يضع وردةً في مزلاجٍ بايٍ...

أَسْأَلُ عِنْدَ عَوْدَتِي:

مَنْ نَسِيتُ؟ مَنْ لَا يَنْسَانِي؟

مَنْ يَكْتُبُنِي بِأَصَابِعِ خَفِيَّةٍ؟

مَنْ يَلْقَانِي فِي غَفْلَةٍ مَنِيَّ؟

مَنْ يَسْبِقُنِي إِلَى شَفَئِي؟

لَفْظٌ عَلَى طَرَفٍ لِسَانِي

يَتَقَدَّمُنِي

مِثْلَ عَصَا الْأَعْمَى،

وَيَسْتَقْبِلُنِي

حِينَ أَفْتَحُ لَهُ بَابِي.

## فيما

يَنْظُمُونَ قِصَائِدَ عَنِ الْبَحْرِ  
فِيهَا أَسْتَعْذِبُ الْإِسْتِلْقَاءَ عَلَى الضُّفَافِ؛

يَبْنُونَ الْبَيْتَ سَطْرًا سَطْرًا لِي يَرْتَفِعُوا مَعَهُ فَوْقَ مَنْصَةِ،  
عِنْدَمَا أَتَحَرَّى عَمَّا يَلْمَعُ، فِي اللَّيْلِ،  
فِي عَيْنِ الْعِبَارَةِ؛

يَرْتَسِمُونَ فِي طَوَائِرَ صَالِحَةٍ لِقَافِيَةٍ  
بَيْنَمَا أُبْحَثُ عَنْ نَثْرِ ذَهَبِي فِي كُومَةِ قَشِ.

هكذا: لا يدخلون إليها قبل أن تدخل قبلهم البحار والسطور والمنصّات والطواوير والقوافي وخلافها،

فيما أتخفّف من ثيابي

وترقُّ ورقتي

مثل جسد شفافٍ.

## كُتِبَتْ قَصِيدَةٌ عَلَى حَاسَوِي

كُتِبَتْ قَصِيدَةٌ عَلَى حَاسَوِي مَا لَبِثْتُ أَنْ بَدَّدْتُهَا بِحَرَكَةٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ.  
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، الَّتِي كَتَبْتُهَا لِلتَّوْ، تَذَكَّرْتُهَا، مِنْ دُونَ أَنْ أَحْسَنَ اسْتِعَادَتِهَا.  
وَلَمَّا سَعَيْتُ جَاهِدًا إِلَى قِيَامِهَا مِنْ جَدِيدٍ، كَتَبْتُ قَصِيدَةً غَيْرَهَا.

هَذَا الْعِزَاءُ لَا يَكْفِي،

يُبْقِيَنِي حَزِينًا؛

لَأَنْ مَا تَبْنِيهِ لَمْ يَقُمْ قَبْلَ لِحْظَتِهَا، لَكِي نَتَمَشَّى فِي خَرِيطَتِهِ، وَفِي أَيَادِينَا الزُّهْرُ وَالْكَتَبُ وَالْمَنَادِيلُ  
لِتُوزِيعِهَا فِي أَمَكْنَتِهَا الْبَارِدَةِ...

لَا يَكْفِي حَتَّى عِنْدَ الْأَمْهَاتِ،

وَلَا عِنْدِي؛

لَأَنْ مَا أَفْتَقَدُهُ يَبْقَى فِي أَنْيِّ كُتِبْتُ مَا لَنْ يَسْعِيَنِي التَّعَرُّفُ إِلَيْهِ خَارِجَهَا.

الْكَلِمَاتُ سَتَعُودُ إِلَيْهَا،

وَرَبَّمَا بَعْضُ الْجُمَلِ،

أَمَّا الْقُشْعَرِيرَةُ الَّتِي نَشَبَتْ بَيْنَ الْحُرُوفِ، بَيْنَ الصُّورِ وَالْأَشْيَاءِ، بَيْنَ نَفْسِي وَأَصَابِعِي، فَقَدْ انْقَضَتْ

تَمَامًا،

بِنَزَقِ البرق،

وعجلة الحلم،

من دون أن تكون وديعةً

أو كنزاً مفقوداً.

## للقصيدة جَرَسُ

للقصيدة جَرَسُ

وفانوسُ أمام بابها،

ما يكفي للوقوف على عتبتها...

لأن الداخل إليها يحتاج إلى معاينة الظلال،

وإلى تَبَيُّنِ الدَّاكِنِ من الحالكِ،

وقد يحتاج إلى رفع أصابعه

مثل شموع.

للقصيدة عنوان:

ضَعُ الحذاء خارجًا،

لا توقِّظْ من غفا للتَّوَّ بعد مُشَاغَلَةِ نفسه في الحروف؛

افتحْ ذراعيكَ

فأنت مدعوٌّ لا للتمشِّي،



وإِذَا إِلَى الطَّيْرَانِ.

\*\*\*

للقصيدة شُرْفَةٌ من دون صالة اجتماع:

لَكَ أَنْ تَمْعَنَ النَّظَرَ فِي خَلَائِهَا

إِلَى أَنْ تَتَحَقَّقَ مِنْ أَنَّ لَكَ أَصْدِقَاءَ سَرِيَّينَ يَخْبُونُ فَوْقَ جِيَادِهِمْ  
مُقْبِلِينَ...

مَا سَقَطَ لِلتَّوَّ هَجَرْدٌ وَقُوفُهُ،

مَا يَغْفُو فِي بِلَادَتِهِ مِثْلَ مُسْنَةٍ فِي كُرْسِيِّهَا المِيكَانِيكِيِّ،

مَا لَا يَكُونُ، وَلَنْ يَكُونُ،

مَا يَنْتَظِرُ فِي صَمْتِهِ بَاكِئًا

تَقْوَى عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ

وَحْدَهَا

إِذْ تَنْشِطُ الرِّغْبَةَ فِيهَا:

تَضِيقُ وَلَا تَلْبَثُ أَنْ تَسْتَفِيقَ.

للقصيدة شُرْفَةٌ،

جَسْرٌ

لِمَنْ يُقْبَلُ فِي اتِّجَاهِهَا

وَلِمَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا لِمُلَاقَاتِهِ،

مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ،

في الانتظار،

من دون موعدٍ أكيد.

\*\*\*

بيتُ القصيدة شاغرٌ

في عيون شاغليه الجُدد:

يقطعون بفؤوسهم اللامعة

الأشجار المستقيمة الرأي،

والأوتاد المسنونة مثل نهايات القافية...

قيد البناء،

بنوافذه العديدة التي تُفْضي على خارجها.

## مُسْتَوْدَعُ قَصِيدَةٍ

أَبْقَى رَيْلِكَه مَلَائِكَةً بَيْنَ سَطْرِ وَسَطْرِ لِكِي تُحَسِّنَ النُّزُولَ،  
وَانصَرَفَ وَاضِعُ أَنْطُولُوجِيَا «الهايكو» إِلَى تَوْزِيْعِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانَاتِ فِي فُقَرَاتٍ مَنَاسِبَةٍ،  
فِيْمَا أَدَارَ رَامِبُو ظَهْرَهُ، وَلَمْ يَعُدْ...  
إِلَّا أَنْ السُّؤَالُ الَّذِي يُوْرِّقُ صَبَاحَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:  
أَيَجُوزُ لِلْبَعْضِ أَنْ يَسْأَلَ الْإِجَاصَةَ عَنْ اسْتِدَارَتِهَا  
وَعَنْ عَصِيرِهَا أَيْضًا؟

## يَنْصُبُ الشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ أَفْخَاخًا

يَنْصُبُ الشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ أَفْخَاخًا، وَيَمْضِي

مَنْ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ خَرَجَ مِنْهَا، وَمَنْ بَقِيَ فِيهَا.

كَمَا تَنْصُبُ الْقَصِيدَةُ مَكَائِدَ مَا أَنْ يَنْقَلِبَ بِأُهَا...

قَدْ يَظُنُّ الْبَصَّاصُ أَنَّ الشَّاعِرَ تَوَارَى خَلْفَ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ، أَوْ تَحْتَ سَرِيرِ التَّشْبِيهِ،

قَدْ يَظُنُّ الشَّاعِرُ أَنَّهَا أَنْكَرَتْهُ بِمَجْرَدِ أَنْ أَفْرَدَتْ ضَفِيرَتَهَا فِي عَيُونِ الْبَصَّاصِينَ...

غَيْرَ أَنَّ مَا خَفِيَ عَنْهُ، وَمَا خَفِيَ عَنْهَا، هُوَ أَنَّ هُنَاكَ صَبِيَّةً تَخْتَفِي بِحُكْمِ لَعْبَةٍ طُفُولِيَّةٍ عَنْ مَتَعَقِبِهَا؛  
مَا يَقْضِي بِالتَّفْتِيشِ عَنْهَا، وَبِالتَّفْتِيشِ مِنْ جَدِيدٍ إِنْ فَشَلَ:

يَا لِسَعَادَتِهَا إِذْ يَخْطِئُ فِي مُبَاغَتَتِهَا، فِي تَحَسُّسِ جَسَدِهَا الطَّرِيقَ تَحْتَ الْفَرَّاشِ،

إِذْ يَسْتَعِيدُ الْبَحْثَ عَنْهَا

فِي مَا بَاتَ مَسْكَنَهُمَا

مَعًا

مَنْ دُونَ الشَّاعِرِ!

## وجه القصيدة وشيك

وجه القصيدة وشيك

من دون أن ألمسه،

ولها حيرة الحبلى إذ تختار ثياب الوليد...

ساق القصيدة منفرد،

لكن الدروب متأهبة في عتمة خطواتها...

أينما تمضي، أينما تحل،

سواء تقدّمت أم تراجعَت،

تُلقي القصيدة مرساتها

من دون يابسة.

## القصيدة تنظر

القصيدة تنظر من وراء رؤوس حروفها إلى ما يقع عليه نظرها

فيما يقع نظره عليها

غريباً

أمام بوابتها الموصدة.

## الدلو تحت المزراب

الدلو تحت المزراب

رزين،

صاغر

لما يصله...

من أين له أن يفتح أبواب القصيدة

على رياح التَّسْكُع

وبَرْقِ المفاجآت؟

له، باقتصاد البخيل وتدييره،

أن يكتفي من المطر بنقاط قليلة،

أن تكون القصيدة

نبتة مشرَّبة في الثلج.

## حَبَّةُ جَوْزٍ

حَبَّةُ جَوْزٍ

وحيدةٌ على غصنها،

في عَيْنِي النَّاطِرِ إِلَيْهَا:

موعودةٌ، مُشْتَهَاةٌ...

مَنْ يَدْرِي؟

لَعَلَّهَا تُكَافِي الصَّابِرَ فِي شَتَائِهِ...

مَنْ يَدْرِي؟

لَعَلَّهَا سَمَتْ أَنْتَظَارًا،

لَعَلَّهَا اسْتَنْفَدَتْ شَوْقَهَا...

مَنْ يَدْرِي؟

لَعَلَّهَا تَسْقُطُ فِي قَرْطَلِ الْقَصِيدَةِ.



## من كُوَّةِ الزَّنْزَانَةِ

من كُوَّةِ الزَّنْزَانَةِ

تبدو السماء أَرْحَبَ،

والبراعمُ لَامِعَةً بِبريقِ شمسٍ أبدية...

من كُوَّةِ الزَّنْزَانَةِ

تبدو الأصابع كما هي: أقصر من أن تبلغ القُضبان،

فيما القدمان تشيخان في حذاء...

من كُوَّةِ الزَّنْزَانَةِ

تتهياً الاستعارة لتدبير أجنحةٍ للطيران.

## اللفظُ حَجَرٌ كريمٌ

اللفظُ حَجَرٌ كريمٌ

فوقِ عَتَمَةٍ طاولتي،

مثلُ عودِ ثقبابٍ

يُنِيرُ ما حوله.

بِساقٍ وحيدة،

بخَفَّةٍ طائرٍ،

يقوى على تَسْلُقِ المنحدراتِ

في غُصَّةِ الكلامِ.

أَعَزْلُ،

إِلَّا أَنْ لَهُ تَصْمِيمَ شاعرٍ روسيٍّ في مَعْتَقِلٍ بَسِيْبِيْرِيَا.

ذلكَ أَنْ القصيدَةَ

لا تحتاجُ إِلَّا لَشَفْتَيْنِ.

## أَنْتَ أَيْضًا؟!

لو كانت الكلمات قادرةً على الزَّعيق

مِمَّا يحدث لها،

مِمَّا يتهدَّدها،

لكانت، من عميق حنجرتها، قالت:

أَنْتَ أَيْضًا؟!

## مثل رامبو

منذ أيام وأيام  
لا أقوى على النظر،  
مثل طفل، إلى صفحة القمر،  
ولا أقوى، مثل رامبو،  
على وضع الجمال على ركبتي.

## ارتخت العبارة

ارتختُ العبارة

في محلول الحزن،

في مائه البارد:

منها ما يصفو فيعلو في صدر القارئ،

منها ما يَرَسُبُ في صدر الشاعر،

في بئر القصيدة.

## الغَيْمَةُ حَانِيَةٌ

الغَيْمَةُ حَانِيَةٌ

على أكتاف الجبال الصَّاعِرَةِ،  
على الجالِسةِ في حديقةِ الكَآبةِ...

الغَيْمَةُ قَصِيْدَةٌ،

ما يبقى في الجبال تحت ذوبان الثلج،  
وفي العينين بعد جفاف المناديل...

ندى القصيدة ماء الوجود

فوق ورقة طافية في المجرى،

محمولة مثل سفينة نوح

فوق أنفاس العابرين.

## أَيُّ مَادُّةٍ

أَيُّ مَادُّةٍ

تكون لشخصين

وإن كانوا كثيرين،

مثل المطالعة

تكون لكثيرين

وإن في الكتاب عَيْنُهُ.

## بين قمرٍ وشجرة كرزٍ في قصيدة يابانيةٍ

القارئ يلتقط، في لحظة،

ما جرى بين قمر وشجرة كرز في قصيدة يابانية

فيما يجهد الشاعر، ساهراً، في تعقب

المداعبات في الهواء

لكي يلتقط فيها خيطاً، وتراً...

هذا يكفي -بدل جوقه بكاملها-؛

لكي يتنفس النور

في عين القارئ.



## لولا القصيدة

لبقيتُ تائِهًا

لولا القصيدة،

لحفرتُ مديدًا في المرآة من دون أن أخرج منها

لولا القصيدة،

لاستكنتُ إلى مَنْ يُرَبِّتُون على كتفي، وينزعون حنجرتي

لولا القصيدة،

لاكتفيتُ بما يردّدون إذ ييكون، بما يفعلون إذ يودّعون، بما يقولون إذ يتلفّظون

لولا القصيدة،

لَسِرْتُ -مثلما دعوني- إلى جانب الطريق،

ولنظرتُ مثل عابر سبيل

لولا القصيدة،

لَكُنْتُ أُمْتَمْتُهَا - قَصِيدَتِي -، وَأَرْتَعِبُ فِي ظِلِّي،

لِخَشْيَتِي مِنْ أَنْ أَكُونَ

فِيهَا

وَبِهَا.

## القصيدۃ خاييۃ

القصيدۃ خاييۃ

فلا تحتاج إلى حصاةٍ لكي تستند إليها.

## سحب من الغسالة كلماته

سحب من الغسالة كلماته

فوجد أن ألوانها قد باخت،

وأنها تحتاج إلى أكثر من مكواة

لكي تُزيل عتمة أشباحها

وأنفاس المُستلقين فيها.

## هَدَفٌ مُسْتَلْحَقٌ

الْكُرَّةُ الَّتِي لَهَوْتُ بِهَا  
سَدَدْتُ هَدَفًا  
فِي مَرْمَى قَصِيدَتِي؛

مِثْلَ التَّفَاحَةِ  
لَا يَسْعُهَا أَنْ تَكُونَ نَافِذَةً  
إِلَّا فِي قَصِيدَتِي.

## ينابيعُ جوفيةٍ

مثل السارق، لا المالك أو المستأجر، أتجوّل  
في ما كان لي أن أبنيه،  
لي كما لغيري...

اصطفقَ الباب ورأيتُ  
إلى غير رجعةٍ  
حتى إن لمسةَ أصابعي  
فوق المرأة  
انجَلَّتْ على وجوه غيري  
ممن يقفون أمامها  
بعد انتظارٍ مديد...

لهذا أمشي من دون ندَمٍ  
وأتقدّم من دون خشية  
طالما أن من يتبع خطواتي

يَرُودُ

مثل الهادي

عن يَنَابِيعَ جَوْفِيَّةٍ

تطفح

بانفعال الامتنان.

## لِلتَّرْجَمَةِ زِيَارَةٌ مَفْتُوحَةٌ

لِلتَّرْجَمَةِ زِيَارَةٌ مَفْتُوحَةٌ،

وَمَائِدَةٌ،

لَضَيْفٍ قَدْ يَأْتِي جَائِعًا أَوْ بَعْدَ لَيْلِ أَمْسٍ...

الترجمة تتبخترُ عند الحدود،

كائناتٌ ليلية، من دون جواز سفر،

في حقيبتها معاجمٌ وتَوَقُّ الغريب إلى الغريب،

وتعود من حيث أتت إذ تهتمُّ بالوصول...

الترجمة زَفَّةٌ فِي عَتَمَةٍ،

تندسُّ في ثياب غيرها بخفّة الحبيب،

لكنها تَخْرُج من باب الخدم.

الترجمة تنأى بنفسها عن المرأة،

فيها ما يُرى وما لا يُرى،

وفيها موجُّ الكلام وسُفْنُ الموالييد.



## تَرُودُ التَّرْجَمَةُ لَيْلًا

ترود الترجمة ليلًا،

حُرَّةً من أي شرطٍ أو قاضٍ...

إلا أن اللغات تستيقظ من أجلها

متأهبةً أمام بواباتها

بفوانيسها الكريمة...

ترود وتعود،

تمشي وتعدو؛

مخافة أن يغفو الكتاب في كرسية الهزاز،

وتصطفق الألفاظ على الألفاظ

في ضجيجٍ له كاتِمٌ للصوتِ.

## في غُرْفَةِ المترجمين

في غرفة المترجمين

لم تُحَسِّنْ التعرُّفَ على محفظتها،

وجدتُ طربوشاً تونسياً مكان منديلها الليلي،

ووجبةً أسنان في كوب ماء.

عادت على أعقابها،

وجدتُ الآلات باردة،

والكراسي باردة،

والجدران باردة

في غرفة المترجمين.

لم يكن بين يديها ما يُثبت هويتها،

ولا في كلامها

ما يُبقيها في غرفة المترجمين.

## Lost in translation

ما لم تحتفظ به الترجمةُ  
أبقاني  
يَقْطُ  
في عينيها.

## سطور هواء

تَذُبُّلُ فَوْقِ غَصْنِهَا

الْثَمَرَةُ،

وَيَجْفُ عَصِيرُهَا

مِثْلَ حَبَّةِ تِينٍ فَوْقِ سَطْحِ بَلِيدٍ،

فِيْمَا تَذُلُّ شَفَتِي لِعَابِهَا

مِنْ دُونَ انْقِطَاعٍ،

مِثْلَ حَبَّةِ عَنَبٍ فِي قَصِيدَةِ لَابِنِ الرُّومِيِّ:

أَيْنَا يُمْسِكُ بِالرِّيشَةِ فَوْقَ سَطُورِ هَوَاءٍ؟

أَيْنَا يَرْتَوِي؟

## نداوةٌ في راحة يدي

نداوةٌ في راحة يدي،

كما لو أن خطوط يدها

أطبقتُ على خطوط يدي

مثل قفلٍ ينجذب إلى مفتاحه،

وفتحة ماءٍ تنتشي بمياهها الجوفية.

أشربُ من راحة يدكِ

ماءَ جسدك

المُحتَبَسِ،

وأتساءل: هل القُبلةُ جُماع؟

## مُعلّقة

يَدِي بِيَدِكَ  
قُبْلَةَ مُعلّقة.

## رَحَابَةُ اسْتِضَافَةٍ

لَيْلَةٌ بِسَعَةٍ أَبَدٍ،

فِي فَنَدَقٍ،

بِسَعَةٍ أُفُقٍ.

## كنتُ قد اعتذرتُ منها

كنتُ قد اعتذرتُ منها

لَمَّا اقترفتُ من جديد ما سبق لي أن اقترفتُهُ واعتذرتُ عنه...

هكذا أتكرّر،

إلا أن رغبتني جديدة في كل مرة

كما في أول قبلة.

قلتُ لنفسِي: لن أفعلها ثانية

قبل أن أقبلَ على فِعْلَتِي من جديدٍ

قبل أن أنسى أنني فعلتها...

ما أفعلُ إن كان ماء شهوتي

يغمر ما عداه،

يستنفري بما لا تَسَعُهُ أيُّ طاقةٍ،

مثل مشيئتي الأخيرة والنهائية؟



## يدي على أنها وجهي

لطالما نظرتُ إلى يدي بوصفها وجهي،

فلا أبالي إن تلعثمتُ

أو استدركتُ، بعد الحوار،

ما فات

ما سقط

ما وقع بين الأيدي

في تمتمات الارتعاشة....

لطالما تسبقني يدي،

تتقدّمني،

أبعدَ من وجهي

مثل وصيّةٍ مُرَجَّاةٍ

وَمُسْتَحَقَّةٍ.

## هذه الجالسة

هذه الجالسة تحت مرمى نظري  
تدسُّ قدمها اليمنى في ماء قصيدي  
قبل أن ترفع الأخرى  
وتعالج باليدين  
السَّطْرَ تَلَوَّ السَّطْرَ؛  
مخافة أن تمحي الصُّورَ  
في البُخار،  
في نَفَسِ الكلام.

## لِلْحَبَقَةِ أَنَامِلُ كَثِيرَةٌ

لِلْحَبَقَةِ أَنَامِلُ كَثِيرَةٌ  
وسيقان مديدة،

حتى إنها - لكثرتها - أخفت وجهها،  
فلا نعرف ابتسامتها من تكشيتها...

حتى إنها أخفت عطرها في شعرها  
مثل بدويّةٍ في خبائها.

## بِقَدْرِ مَا تَلْتَهُمْ حَبَّاتِ الْكَرْزِ

بِقَدْرِ مَا تَلْتَهُمْ حَبَّاتِ الْكَرْزِ

يَتَبَدَّلُ لَوْنٌ وَجَنَّتِيهَا؛

وعندما يلمع السيفُ في لحاظها

تخرج، تتحرَّى في ليل الشهوة:

هذا ما لم تَقْلُهُ قصيدةٌ قديمةٌ

طالما أنها ما تَوَانَتْ عن النظر إلى مرآة

من دون مرآة.

أما الحكيم الصيني فأفادني، في رسالة إلكترونية، أن الزوجين يتشابهان من فرط المعاشرة.

## مثل امرئ القيس

طالما أن القمر يغفو على شُبَّاکها  
فإنني أقوى على مشاغلته  
وأندسُ في فراشها  
مثل امرئ القيس.

## من بعيد

- لعلَّه يغمرها بيديه...
- لا، إنه ينحني عليها.
- لعله تركها بتصرُّفِ القصيدة...
- لا، إنه يقطع الهواء عنها.
- ألا يسع القصيدة الانتظار؟
- لا، قد تختفي قبل جمود الصورة وخفوت الكلام.

## حكمةٌ مُوجَّلةٌ

شجرةُ الأمنيات

لا تَعْرِ،

بل تَذُبُّ.

## من دون أن تعود

طلبتُ فنجانَ قهوةٍ وزجاجةَ ماءٍ باردة، على ما سمعتُ، وسألتُ الخادمَ عن حمامِ السيدات.

وضع الخادم الفنجان والزجاجة على الطاولة المجاورة، و... انتظرتُ من دون أن تأتي.

شربتُ قهوتي، وكتبت هذه الكلمات في انتظار أن تعود:

لعلّها تُشبهُ زبونةً أخبرني عنها صاحب مقهى آخر قبل سنوات: تحلُّ في المقهى، تطلب طبقَ أكلٍ وكأسَ نبيذٍ، ومُضي من دون أن تعود.

أو لعلّها تتخلّف عن مواعدها، أو تنسى ما طلبت، أو ما كانت عليه، أو أين كانت.

لعلّها خرجت من الورقة من دون أن تجد وسيلة للعودة إليها.



## اكتفاء

درجاتُ سُلَمٍ حجريٍّ

لِلصُّعودِ أوِ لِلهبوطِ،

من دون أن يصعد أو يهبط

أحدٌ

غير هواء الراحلين الذين لا يحتاجونه.

## الزَّهْرَةُ أَحْنَتْ رَأْسَهَا

الزهرة أَحْنَتْ رَأْسَهَا

مثل عانسٍ

في مُقْتَبَلِ الْعُمُرِ.

## الدَّمْعَةُ تَطْفُو

الدَّمْعَةُ تَطْفُو

بعد أن تَخَلَّصَتْ من أحمالها؛

الدَّمْعَةُ نَجَتْ

من أشباحها المُتَلَابِسَةِ؛

الدَّمْعَةُ فِي عَرَاءِ النَّظَرِ  
شَجَرَةً،

نَشِي

ما تقولُه العين

عن مَشاوِدِهَا الخَافِيَةِ:

الدَّمْعَةُ قَصِيدَةٌ مُحَقَّقَةٌ،

مُسْتَلْحَقَةٌ.

## تَنْدَسُّ، تَنْدَسُّ...

يتَحَسَّسُ الأعمى برودةَ الألفاظِ،

عفونةَ الجدران

والفراغَ الذي يُفْضِي إلى فراغٍ...

لا يَكِيلُ الأعمى بمكيالين،

يَتَرَدَّدُ، لكنه لا يعودُ القهقري،

طالما أن خطوته تَنْدَسُّ في عَتَمَةِ ظِلِّهِ.

## هذه

هذه نقاط ضوء لا ترسم مشهداً،  
وما تخفيه أكثر مما تُظهره.  
حتى إن لفظاً مثل: «يُلْعَلُ» يكفي في حدِّ ذاته مثل صدقة سيِّدة.

هذا

هذا يصبُ دموعًا في قَنِينَةٍ صغيرة،  
وآخر يشرب من رذاذ ضحكاتها،  
فكيف، لمن توقَّفَ، أن يوارى وجهه  
من دهشة العابرين!؟

## لحمٌ مُقَدَّدٌ

زادي في شتائي

أُفْتَاتُهُ

بِمتعة المقتصد،

وبصبرٍ مَنْ يذوق

تَفَاحَةً

بعينه

في صيفٍ هنديٍّ.

## بونظاي<sup>(١)</sup>

بونظاي بحجم قصيدة

لمن بحث عن جذورها في طبق صغير،

لمن امتدَّ ساعده أَقْلَ من سطر،

لمن وجدها تتنفس في ضوء الصامتين؛

قصيدة بحجم بونظاي

تمتدُّ في علوها بَدَل أن تتسع،

ما يكفي لإنارة من يحيط بها؛

عتيقة، لا مُسنَّة

مُقْتَصِدَة، لا بخيلة

فَتِيَّةٌ مُجَرَّبَة،

قصيدة لا تتوانى عن حَمَل غيرها فيما تتخفف منه،

مثل طَلَلٍ جاهليٍّ

---

(١) شجرة في طبق، معروفة في الصين واليابان خصوصًا، تتميز بِقَصَرِ حجمها وطول عمرها (ما يحسب بمئات السنوات).



لا يحيا إلا في قصيدة:

بونظاي، كتاب،

بين يدي قارئ واحد.

## إِذْ أَرَى فِي صُورَةٍ

إِذْ أَرَى، فِي صُورَةٍ، إِلَى طَرَفِ شَفْطِي الْأَيْمَنِ الَّذِي تَنْفَرِجُ فِيهِ ابْتِسَامَتِي، مِثْلَ كُوَّةٍ فِي جِدَارٍ، أَوْ نَسْمَةٍ ضَوْءٍ فِي يَوْمٍ غَائِمٍ وَمَاطِرٍ، أَتَذَكَّرُ طَرَفَ شَفْطِهِ الْأَيْمَنِ لَمَّا كَانَ -وَهُوَ أَخِي الْبِكْرُ- يَكْتَفِي بِطِيفِ ابْتِسَامَةٍ خَشِيَّةٍ أَنْ تُهْدَدَ هَيْبَةُ رِزَانَتِهِ الْقَاعِدَةِ عَلَى مَدِيدِ عَمْرِهِ، الْمُتَّصِلِ عِنْدَهُ، مِثْلَ شَجَرَةٍ يَزِيدُ عَمْرَهَا بِالْعَرَضِ، لَا بِالْعُلُو...

إِذْ تَرَى ابْنَتِي إِلَى نَوْمَتِي، فِي الْقِيلُولَةِ، تَوْقِظُنِي لِكَيْ تَقُولَ لِي: هَكَذَا رَأَيْتُ جَدِّي يَنَامُ، مُجْتَمِعًا أَوْ مُتَكَوِّمًا كَمَنْ يَعْتَذِرُ أَوْ يَخَافُ...

## أوهامي، شهواتي

أوهامي شهواتي المؤجَّجة قبل أن تنطفئ،

قبل أن تحرق أصابعي،

بعد أن أوقدتُ فوانيسَ خطاي.

## مِن دُون أَن يَكُون

ما يحيط بي من دُون أَن يَكُون مَعْطَفًا،  
ما يدور حولي ويتقدَّمُني من دُون أَن يَكُون دَلِيلًا،  
ما يصونني إذا كان لي أَن أرتطم،  
لو كانت لي: هالة.

## إِطارُ صَوْرَةٍ

(الفسحة بيضاء، مُضاءة بكاملها، يحُدُّها من الجهة الخلفية جدارٌ أبيض بدوره، ما خلا بُقْعَةً في وسطه مستطيلة طوليًّا، ما يشبه الحَيِّزَ الذي كانت تشغله صورة أو لوحة، مُعلَّقة منذ زمن بعيد. متكلمون مختلفون، بين رجال ونساء، من دون تمييز بينهم: ينهمكون - ما أن تُضاء الفسحة - بالعودة من جديد إلى أمام الإطار الشاغر، بعد أن قاموا - على ما يمكن ترجيحه - بنزع الصورة أو اللوحة من مكانها):

متكلم ١ : أووف! أووف!

متكلم ٢ : هذه ليست من الفُصْحَى!

متكلم م : قُلْ: تَنَفَّسُوا الصُّعَدَاءَ، أخيراً!

متكلم م ١ (متوجِّهة إلى المتكلمة ٢): قُلْ. لا تَقُلْ... يلتهون بالمُنَاكفة كالعادة، ألا ترين؟

متكلم ٢ : (وهي تنسحب): على حالهم! على حالهم!

متكلم ٣ : ماذا نفعل بالإطار الفارغ؟

متكلم م : صوت (في العتمة): متكلمون بالتساوي... هذه إشارة أولى.

متكلم ٢ : (مرتدًّا إلى الخلف): من يكون؟

متكلم م ١ : لعلَّه يعمل في المستودع.

متكلم م ٢ : لعلَّه عامل تنظيفات.

متكلم م ٣ : كلُّنا عمال تنظيفات...

متكلم م ١ : (مقاطعة): ... لإعداد منظر...

متكلم م ٣ : (مقاطعة): ... لإعداد جملة.

متكلم ١ : (متكلم ١ يشدُّ ساعد المتكلم ٣، ويتها مسان فيما يخرجان من الحلقة).  
(عتمة).

صوت (في العتمة): إطار الصورة شاغرٌ.  
صوت آخر (في العتمة): لا، إطار الصورة فاغرٌ.  
صوت ثالث (في العتمة): لا، إطار الصورة شاغرٌ.  
(تُضاء الفسحة إذ يدخل إليها متكلمون ومتكلمات، كما لو أنهم يبحثون عن مصدر الأصوات... ثم يخرجون خائبين).  
(عتمة).

(عتمة ما خلا البقعة التي تظهر فيها شاشة إلكترونية، تتوالى فوق صفحتها المضئية  
الجملة التالية):  
أيجوز أن تستقل القصيدة القطارَ بعد صُفَّارته الثالثة؟  
أيجوز أن تُمسك الجملة عن الطيران لكي تتمهَّلَ في مشيها وراء طابور نحل... لكي  
تُعاينَ ما يقع بين الغبار وحافَّته، بين الصوت والمتكلم؟  
أيجوز أن تستعير الحروفُ عَكَازاتٍ ومساميرَ وفسحاتٍ لكي تستقيم خطواتها  
صوب الشرفة، صوب اللقاء؟  
أيجوز أن تستعير الكلمات حركاتٍ وأفعالاً وتعبيرات وجه لكي تزدهي في حُلَّتِها  
قبل احتفالات؟

أيجوز أن تظهر كلماتي من دون هيئتي؟ وصفحتي المرئية من دون أصابعي؟  
أيجوز تدبير المواعيد في العَلَنِ لمن كان يرود في العتمة؟  
أيجوز، أيجوز، أيجوز... فيما تستوي الجمل مثل منصَّةٍ كلام، مثل تدافعٍ أَرْجُلٍ  
ورؤوس بين ضيق وخيبة؟  
بلى، يجوز لي ما لا يجوز لغيري. بضربة من إصبعي، أنهي جوقاً عن الإنشاد، أو  
أطلقه فوق منحدرات الوحشة...

(متكلمون ومتكلمات يظهرون تباعاً في عتمة خفيفة، فتختفي الشاشة الإلكترونية، وينسحبون خائبين).  
(عتمة).

(مقعد جلدي يصلح لثلاثة جالسين، من دون مساند جانبية ولا خلفية: متكلم ومتكلمة جالسان وينظران إلى البقعة الخالية):  
متكلم ١ : هذا يُذكرني بما يفعله البعض في المتاحف...  
متكلم ١ : عمّ تتحدثين؟  
متكلم ١ : في المتاحف مقاعد جلدية مثل هذه، يجلس عليها الزوار المستئون طلباً للاستراحة، أو غيرهم للتأمل المزيد في لوحة.  
متكلم ١ : (بعد تردّد) قولي لي: لماذا يختار مخرجون وروائيون عديدون هذه المتاحف، وهذه المقاعد، لكي يجمعوا بين شخصيات تخطّط لعملية قتل؟  
متكلم ١ : ألا يكون مثيراً الجَمْع بين الموت والفن؟  
متكلم ١ : أهذا ما يجمعنا؟  
(عتمة).

متكلمة ٣ : (واقفة أمام البقعة الشاغرة، ممسكة بممسحة تنظيف): لحسن الحظ لم يُؤنّبني أحد... لم يُؤنّبني بعد! ما كنت أنظّفه كل يوم من الغبار طار من مكانه، وما بقي على الحائط كشف الوسخ الراسخ.  
(وهي تخفض رأسها) هذا ما لم أكن أحسن الانتباه إليه.  
(وهي تنسحب إلى العتمة) يبدو أن ما كانت تجلوه الصورة لم يبدّد ما كان يتراكم حولها.

متكلم ١ : (داخلاً رافعاً عصا التهديد): إطار الصورة لم يذهب معها: بقي في الجدار.  
متكلم ٢ : (داخلاً رافعاً مِعْوَلًا ورفشاً): لو نحطم الجدار... لو نبني جداراً جديداً.  
متكلم ١ : ألن نحتاج حينها إلى صورة أخرى؟

(تعود من جديد، ممسكة بممسحة تنظيف، وترفعها مثل علم تُلَوَّح به، ثم تقفل عائدة إلى العتمة).  
(عتمة).

(أحدهم يركض عابراً الفسحة المضاء، والتي تخلو له وحده).

صوت (في العتمة): له الصدى والمدى.

صوت (في العتمة): له الهواء والهَبَاء.

صوت (في العتمة): عَلَّقْتُ لوحَةً، عَلَّقْتُ معطفاً...

علقتُ، أي: تركتُ لغيري، وخلفي...

علقتُ، أي تخلَّيتُ عما كان لي...

علقتُ، أي: خسرتُ بِرِضَايَ.

(عتمة).

متكلم ١ : (متحدثاً أمام البقعة مع إحدى المتكلمات): ألاحظين أن البقعة خالية، بيضاء، نظيفة، فيما يحيط بها الوسخ؟

متكلم ١ : (تقترب بأنفها من البقعة، وتبتعد): ... فضلاً عن العفونة.

متكلم ١ : مثلنا تماماً. أما كُنَّا نحيط بها فيما سبق؟

(يمسك بذراعها ويخرجان سوياً صوب العتمة).

متكلم ١ : (يتقدّم من أحدهم، المطأطئ الرأس): ما لك؟

متكلم ٢ : (يرفع رأسه، فإذا به يبكي).

متكلم ١ : ما لك؟

متكلم ٢ : أبكي.

متكلم ١ : لماذا؟



متكلم م ٢ : كنت أبكي سابقاً في صمتي، أما الآن فأبكي علناً.

متكلم م ١ : أهو الفارق؟

متكلم م ٢ : يمكنك أن تقيس على هذه الحالة، إن شئت أن تفهم.... أنا يعني أن أبكي ليس إلا.

(عتمة).

(متكلمان متقابلان على كرسيين).

متكلم م ٣ : لا يكفي نزع الصورة... لا يكفي تبديل العَلَم... لا يكفي استعمال الكلام نفسه في وجهات جديدة...

متكلم م ٢ : (ينظر إليه بشيء من الدهشة من دون أن يشارك في الحوار).

جمعتُ صُورَهُم واحداً واحداً في غرفتي. علَّقْتَهُم على الحائط بدبابيس، كما يفعل مُحَقِّقُو الشرطة في الأفلام، في مكاتبهم؛ لَتَعَقُبِ المجرمين... وكلُّما قتلوا أو اعتقلوا أحدهم شطبوه بالقلم.

متكلم م ٢ : هل قتلت أحدهم؟

متكلم م ٣ : هذا ما باشرتُ به؛ شطبت أكثر من واحد منهم، اسماً اسماً، كلمة بعد كلمة.  
(عتمة)

(متكلمان يمشيان في اتجاهين مختلفين).

متكلم م ٢ : أتعرف؟ الحفيد يصنع الجَدَّ.

متكلم م ١ : (يستمر في المشي).

متكلم م ٢ : أتعرف؟ المتفرِّج يصنع الصورة.

متكلم م ١ : (يستمر في المشي).

متكلم م ٢ : أتعرف؟ الخطوة تصنع الحذاء.

متكلم م ١ : أتعرف؟ إذ أمشي، أخطُّ سَطْراً. إذ أنسرى في الهواء، أفتح غيمة ذات دَفَتَيْن، وأقلِّبُ وردةً من صفحات مطوية...

أُتعرِف؟ إذْ أَمْشِي، لَا أَفَكِّرُ إِلَّا فِي الطَّيْرَانِ.  
(عُتْمَة).

مُتَكَلِّم ١ : (يَخَاطِبُ أَحَدَهُمْ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا): أُنْتِ تَجْعَلُنِي فِي مَوْضِعِ  
الْحِمَالِ، الَّذِي حَمَلَهُ أَحَدُهُمُ الْكَثِيرَ، مِنْ دُونِ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ طَاقَتِهِ عَلَى الْحِمْلَانِ،  
وَلَمَّا وَقَعَ أَرْضًا، سَأَلَهُ: مَا جَرَى؟ فَأَجَابَهُ: لَا يَهْمُ الْآنَ، حَمْلُنِي... لَا تَكْتَرِثِ لِلْأَمْرِ... مِنْ  
قَالَ لَكَ بِأَنْنِي سَأَنْهَضُ؟

مُتَكَلِّمَة (تَنْزِعُ حِجَابَهَا مَا أَنْ تَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهَا، وَتَخَاطِبُ أَحَدَهُمْ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ  
ظَاهِرًا): هَذَا كُلُّ مَا نَجَحْتَ فِيهِ: أَنْ تَسْتَقْوِيَ عَلَيَّ!  
(عُتْمَة).

مُتَكَلِّم ١ : أُنْتِ عَرِيفٌ؟ وَعَدْتُ نَفْسِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمَالِ... (مُتَوَقِّفًا).

مُتَكَلِّم ٢ : وَالْآنَ؟

مُتَكَلِّم ١ : أَتَمَنَّى النِّجَاةَ بِنَفْسِي.

مُتَكَلِّم ٢ : وَالْأَمَالِ؟

مُتَكَلِّم ١ : تَرَكْتُهَا لِغَيْرِي.

(عُتْمَة).

(أَحَدَهُمْ يَرْكُضُ عَابِرًا الْفَسْحَةَ الْمُضَاءَةَ، وَالَّتِي تَخْلُو لَهُ وَحْدَهُ).

مُتَكَلِّم ١ : وَأَخِيرًا: لَقَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى فَهْمٍ مَا يَجْرِي!

مُتَكَلِّم ٢ : لَا، لَقَدْ اسْتَيْقِظْتَ مِنْ كَابُوسٍ... وَهَا أَنْتِ تَتَحَسَّسُ مَا أَصَابَكَ.

مُتَكَلِّم ١ : وَهَذِهِ الْفَرَحَةُ الَّتِي تَغْمِرُنِي؟

مُتَكَلِّم ٢ : حَبَّةُ زَيْتُونٍ فَوْقَ مَائِدَةٍ فَارِغَةٍ.

(عُتْمَة).

(الفسحة معتمة تمامًا، في البقعة الخالية صور تلفزيونية متتابعة عن مشاهد

احتفالات وتظاهرات تظهر مشاركات الحشود فيها).

صوت (في العتمة): أهْم أنفسهم؟... لعلهم أنفسهم.

صوت آخر (في العتمة): لعلهم غيرهم، ولكن بالطريقة نفسها.

صوت ثالث (في العتمة): ما يُزَعِّجُكَ في الأمر؟

صوت رابع (في العتمة): الشهيد يقود التّظاهرات.

صوت خامس (في العتمة): الشهيد بدل عن ضائع...

صوت سادس (في العتمة، مقاطعًا): ... لا، عن موجود.

(عتمة).

(متكلمون ومتكلمات أمام البقعة المضاءة وحدها).

متكلم ١ : لا يجوز أن تبقى شاغرة.

متكلم ٢ : هي صفحة بيضاء...

متكلم ١ : (مقاطعة): لا، شاشة عرض...

متكلم ٢ : (مقاطعة): لا، جدار شعارات...

متكلم ٣ : (مقاطعة): لا، فسحة انتظار...

متكلم ٣ : (مقاطعة): لا، هي ما نفعله بها، ولنا.

(عتمة).

(متكلمان على كرسيَّين متقابلين):

متكلم ١ : لم نجد حلًّا بعد؛ وأصابني الملل.

متكلم ٢ : هو أكثر من ملل: ألمٌ وخيبة.

(متكلم ثالث يأتي بكرسيه ويتوسّطهما): نزعنا الصورة، ووجدنا الفراغ المحيط

بها.

متكلم ١ : (مقاطعًا): لا، لقد وجدنا الفراغ الذي انبنت عليه.

ألن تَضَجَرَا إن أخبرتكم بما حصل لي عند زيارة أهرامات الجيزة؟  
(يأتي متكلم ومتكلمة بكرسيين، ويتابعان ما يجري. ينتظر المتكلم ١ إجابةً من دون أن تأقي. يتابع):

أخبرنا الدليل، بعد الدخول إلى جوف الهرم الكبير، عن وجود تابوت الفرعون في العالي...

(يأتي متكلم ومتكلمة بكرسيين، ويتابعان ما يجري).

لم نتردد في التوجه صوب التابوت، لا أنا ولا مجموعة من السيّاح، فيما اتّجه غيرنا صوب رسوم حائطية. وجدتني أرتقي فوق درجات سلّم معدني، سلّم موضوع لهذه الغاية. كانت الدّعسات ضيّقة، ولا تَسْعُ الواحدة منها غير صاعد واحد، فيما كُنّا ننشوّف إلى رؤية الفرعون الذي كان يقع تابوته في منتهى السلّم، على ما كُنّا نَحْمَنُ. طال صعودنا، كما زادت الدعسات، على ما قال جاري الذي أمامي لصديقه الذي يصعد خلفي. وإذا بركبتيّ تؤلماني، ولا أقوى -لو شئت- العودة إلى الخلف... كفاني أنني نظرت إلى خلف، وإذا بنظرات تزجرني كما لو كنت أعيق تقدّمها، أو أوخّر وصولها.

عند وصولي، تنفّست الصعداء، وقد بلغت مع الواصلين فسحة تَسْعُ لأكثر من عشرين شخصًا، وأسرعتُ بعد جاري إلى التابوت. ألقيت نظري على داخل التابوت المفتوح مثل مَنْ يرجو رؤية وجه نفرتيتي نفسها، أو أنجيلينا جولي، وجهًا لوجه، وإذا بي أجد التابوت فارغًا إلا من عتمة فراغه.

متكلم ١ : فراغ مثل هذا (وهي تدلُّ إلى البقعة الفارغة أمامهم)؟

متكلم ٣ : لعله رمى إلى أكثر من ذلك، وهو أن السياسة هي الفراغ...

متكلم ٢ : (مقاطعًا): ... البكاء صامتين في الزنانات... حتى الموتى ما كان يحقُّ لنا البكاء عليهم إلا في الصمت! ما كُنّا نأمل حتى بزيارة مقابرهم، عدا أنهم قبروا في مقابر جماعية أو خفية.

الفراغ ربما، أي من دوننا!

متكلم ١ : أتحدّث عن فراغ آخر... عن التوهّم بوجود قُوّة.

متكلم ٣ : أهي الهيبة؟

متكلم ٢ : هي خوفنا منه... الهيبة هي سحره البادي في عيوننا.

متكلم ٣ : سبق أن قرأت عن الخنجر الذي يرهّب الناس، من دون أن نرى لا مقبضه، ولا نصله.

متكلم ٢ : أهو لمعان الخفي؟

متكلم ٣ : أهو لمعان بَسْمَةِ عَبْلَةٍ فوق سيفِ عَنَتَرَةٍ في العِراكِ؟

متكلم ١ : (رافعاً اليدين إلى أعلى في نوع من التذمّر): أوه! أوه! كنت أودّ التخفيف عنكم، ليس إلّا.

(ينسحب المتكلمون مع كراسيهم، فيما يقف المتكلم ١ متسائلاً بحركاته عما حصل له معهم).

(عتمة).

(أحدهم يركض عابراً الفسحة المضاءة، فيما يراقبه متكلمان واقفان على مبعدة منه).

متكلم ١ : أراه للمرة الثالثة في أقل من لحظة. أتعرف من هو؟ أتعرف ماذا يريد؟

متكلم ٢ : لعله يتمرّن...

متكلم ١ : (لا يجيب).

متكلم ٢ : لعله يهرب من... لعله يتعقّب أحدهم...

متكلم ١ : (لا يجيب).

متكلم ٢ : لعله يبحث عن ملجأ... عن طائرة... عن مصوّر «بث مباشر»...

(ينتظر إجابة لا تأتي): قل لي. ماذا جرى؟ أنت سألتني عنه! ماذا جرى؟

متكلم ١ : يكفيني السؤال.

متكلم ٢ : كيف ذلك؟

متكلم ١ : ألا ترى أن الفسحة مُتَاحَةً لأكثر من عابر سبيل؟

متكلم ٢ : فعلاً. لكن ألم تقرأ مثلي على الشاشة الإلكترونية أن الجمل تحتاج إلى التجوّل بدورها؟

متكلم ١ : لا، لم أقرأ. ماذا قرأت أيضاً؟

متكلم ٢ : قرأت أن الداخل لا يعرف طُرُقاً مُتَعَرِّجَةً ولا مُعَبَّدةً للوصول إلى القصيدة... لها

نوافذ وحسب، قد يحتاج الداخل إليها إلى فتحها.

متكلم ١ : هل تعرف؟ أنت لا تكتفي بالأسئلة، كما قلتَ.

متكلم ٢ : أحياناً.

متكلم ١ : كيف ذلك؟

متكلم ٢ : أنا مثله أعدو... فالكلام لا يصل بل يسير؛ لا يتقدّم، بل يميل...

متكلم ١ : سبق أن قرأت هذا.

متكلم ٢ : ها أنت تعترف بأنك قارئ، ولك ذاكرة.

متكلم ١ : يحلو لي أن أعيش في كتاب: أكثر حرية ومتعة وطمأنينة.

متكلم ٢ : لكنها عابرة... ما تفعل إذ تنقضي اللحظة هذه؟

متكلم ١ : أعود إلى كتاب آخر... في انتظار أن أمشي من دون عيون مذعورة من جاري قبل

البعيد عني.

(عتمة).

(متكلمون أمام البقعة المضاءة وحدها).

متكلم ١ : وجدتُ حلاً.

(المتكلمون الآخرون ينظرون إليها واجمين).

متكلم ١ : (متذمرة): لم أقل بعد شيئاً.

(المتكلمون الآخرون واجمون).

متكلم ١ : لندعها بيضاء... خالية... مثل أملٍ مفتوح... مثل شرفة.

(عتمة).

(الفسحة مضاءة بالكامل. أحدهم يجرُّ ولدًا حاملًا شنطة مدرسية على ظهره، وأخرى تُسوِّي حجابها وتتعجّل في وضع أحمر شفاهها، وثالث يُراقص حاسوبه على أنغام «تانغو»، ورابع ينتقل مع نارجيلته وينفث دخانها بمتعة بادية...).

صوت (في العتمة): ما أطلقوا عليه: «الربيع» بدأ في الشتاء واقعًا.

(يخطفون على عَجَلٍ، في اتجاهات مختلفة).

صوت (في العتمة): مرة ثانية، أنكفّل وحدي بما يُقال، وما لا يُقال، بما يظهر في الشارع، وما لا يظهر خصوصًا...

متكلم ٣ (يتعقّب ما لا يجده في الفسحة المضاءة): لعله تسجيل قديم.

صوت (في العتمة): مرة ثانية، ينفرد صوتي مثل نبتة تشرّب وحدها من صقيعها، مع أنني لست مواطنًا، ولا متفرّجًا. أنا صوت وحسب... صوت مُنفرد. صوت ضاّج وصامت في الوقت عينه.  
(عتمة).

(متكلّمان يمشيان في اتجاهين مختلفين).

متكلم ١: أتعرف؟ ما نقول، هو واقعًا ما نستعيد قوله.

متكلم ٢: (يستمر في المشي).

متكلم ١: أتعرف؟ حين نتحاور: نتحابُّ أو نتنابذُ.

متكلم ٢: (يستمر في المشي).

متكلم ١: أتعرف، القارئ هو الذي يصنع الكتاب؟

أتعرف، إذ يتهاك الكاتب ينام في الكتاب؟

(عتمة).

(أحدهم يركض عابِرًا الفسحة المضاءة، فيما يراقبه متكلم ومتكلمة واقفان على

مبعدة منه).

متكلم ٢: رأيته للتو...

متكلم ٢ : رأيتَ غيره.

متكلم ٢ : لا، لا، هو، هو.

متكلم ٢ : حتى حين نرى قد لا نعرف ماذا يجري.

متكلم ٢ : لكنه قال لنا بأنه يحتاج إلى الصورة لكي يعوّض عما لا تقوله الكلمات.

متكلم ٢ : أتصدّقين فعلاً ما يقوله لنا؟

متكلم ٢ : (تنسحب إلى العتمة).

متكلم ٢ : (وهو يلحق بها): إنه يلعب. إنه يلعب...

يتظاهر بأن له عكازين، فيما يعدو، ويعدو، ويعدو...  
(عتمة).

(عتمة ما خلا البقعة، التي تظهر فيها شاشة إلكترونية، تتوالى فوق صفحتها  
المضيئة الجُمْلُ التالية):

لا يَسْعُ القصيدةُ السكوتَ.

لا يَسْعُ القصيدةُ الصراخَ، طالما أن بكاء الصابرة يبقى أشدَّ بلاغةً من الخنساء.

صوت (في العتمة): ألهذا استعانت القصيدة بوجوههم وحركاتهم؟

(فوق الشاشة) الدمعة تنقضي، لكن ندى الألفاظ لا يَجِفُّ.

القصيدة -كما المدفأة المشتعلة- تنتظر من يرمي فيها الحطب لكي تبقى منيرة،  
مثل دمعة سقطت للتو فوق خدّ قارئة.

(عتمة).

(متكلمون ومتكلمات أمام البقعة الخالية، المنارة وحدها):

متكلم ١ : ما العمل؟

متكلّمة ١ : لماذا لا نقف أمام المصوّر لالتقاط صورة لنا؟

متكلم ٢ : وماذا نفعل بالإطار؟



متكلم م ٢ : (منصرفاً): تَغَيَّرَ كل شيء: تَغَيَّرَ الإطار؛ تَغَيَّرَت الصورة.

متكلم م ٣ : (منصرفاً): المهم أن نرى بشكل مختلف.

أياً كان الأمر، لن أعود إلى ما كنت عليه.

متكلم م ١ : (منصرفاً): لماذا أنت متفائلة إلى هذا الحد؟

متكلم م ٣ : (منصرفاً): لا، أنا مصممة فقط.

متكلم م ٢ : (منصرفاً): يجب أن نخرج من الجدار.

متكلمة م ١ : (منصرفاً): أنا تركتها فارغة لغيري...

متكلم م ٢ : (مقاطعة، وهي تنصرف): ... في عهدة الغائب.

(عتمة).

(المتكلمون والمتكلمات يظهرون تباعاً: يحمل كل واحد منهم إطاراً خشبياً، ولا

يلبث، حين يصل إلى وسط الفسحة، أن يضعه حول وجهه مثل إطار له، ثم يُخلي

المكان لغيره، في حركة استعراضية وختامية).

(عتمة تامة).



# دُمِّي فَاجِرَةٌ

دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.



## حُبِّي الكريه

الضعينة جارية

لا تنفكُ عن سَحَبِ خيطِ تلو خيط من جهة خافية من دون أن تدرك يوماً مكانها.  
تستسيغ ذلك، إذ إن أصابعها ترتاح تباعاً في حركاتها، فتظنُّ أنها تسحب الخيط من جهة في جسمها، وتستعيد ابتسامتها، وتختال من جديد في مشيتها،  
إذ إن بين جسدها وفستانها حواراً أرقَّ من النسيم الذي بين لسانها وشفتيها.

هذه الجارية وجدتُها

تخرج فجأة من طرف جملة بيضاء، وتسحب من أصابعي ما كانت تتوجَّس منه، وتطمع في  
مُواقَعَتِهِ،  
دفعتنِي فوق دروب لا مرئيةٍ مُحاطةٍ بزنبقٍ مشتعلٍ.

## لطالما ظننتُ أن الضغينة

جارية،

لا تتواني عن الخدمة؛ محتاجة في كل مرةٍ إلى سنٍّ سكاكينها، وإعدادِ سلَّةِ المُهَمَّلَاتِ في كلِّ مرةٍ.

للضغينة سيرة متقطَّعةٌ، أجوبة كتومة، وتعابير نافرة، ما لا نحسن دوماً التحاورَ معه:

لا تتأخَّر عن مغادرتنا، لكي تُحسن استقبالنا أمام بيوتنا المحمولة.

الضغينة

لا تلوي على شيء

غير الانتظار

في صمتها

في حشدها المتماذي

ممن يتكدَّسون من فرط اجتماعهم السريع،

ممن يتدافعون

من دون أن يبصروا أخيلتهم، ولا ظلالهم،

طالما أنهم يتراكمون

مكتفين بأنفاسهم المحمومة، المتصاعدة

مثل شتيمة صاعقة،

أو طعنة سكينٍ محروورٍ.

كيف لها أن ترى مَوَاطِنَ أَقْدَامِهَا

وهي تندفع في رُواقٍ،

فوق أجنحة من رماد وعُفُونَةٍ،

فوق أنفاس الصامتين

مَمَّنْ خبروا الموت قبل أن يموتوا،

مَمَّنْ حصدوا سنابلِ الوقِيعَةِ قبل موسم الأحقاد،

مَمَّنْ بكوا من دون أن ينفكُّوا عن مُوَاعِدَةِ خصومهم،

في ليلٍ يتبيَّنون فيه وحدهم -من دون غيرهم- دروب القتل على أنها درب الخلاص، لهم قبل غيرهم.



لا تستيقظ من نومها

بمجرد أن تنهض من سريرها؛

لا تنام أساساً،

لكي تحسن مُواقعةَ الملائكة...

تستريح فيما تستعدُّ،

تبكي فيما تتوَعَّد،

وتُطلق قُبلاَتها على عَجَلٍ.

تجلس أمام مصطبة الغادين إلى أعمالهم من دونها

قبل أن تتفقد المتروكات في أسرّتهم،

التي طفت فوق موج كوابيسهم من دون أن يلحظوها،  
بعد أن أحصت الشعيرات النابتة فوق ذقونهم المسنونة...

تستجمع خيوطهم في بكرةٍ تدور بين أصابعها

بعد أن علقت فوق حبال السطح صوراً لم يجف لونها:

لهم، في نومهم، في تدافعهم، في صمتهم الحاني على كآبتهم، في بكائهم الغائر

لهم في النقمة التي ما أن تظهر تغيب في مناديلهم،

في وجوههم التي تغور في سراديبها،

في أنفاق الغفلة.

تجلس من دون أن تستكين،

إذ تصرف الوقت في حزم ما تفرّق في ممرات الشدة

وترسم مصائر لقاماتٍ

لدُمى فاجرة.

أَهِيَ حَيَّةٌ، لَكِي تُقَشِّرَ جِلْدَهَا تَبَاعًا؟

أَمْ بِيضَةٌ ثَعْبَانٍ، تَرَاهَا فِي جَوْفِ تَكْوِينِهَا، خَلْفَ قَشْرِهَا الشَّفَافَةِ؟

أَهِيَ نَوْلٌ يَحُوكُ كَنْزَةً لِمَلَايِينِ رَاجِفِينَ نَاقِمِينَ

مَمَّنْ تَرْتَعِدُ فَرَانِصَهُمْ لِمَجَرَّدِ سَمَاعٍ وَقَعَ دَعْسَاتُهُمْ،

مَمَّنْ يَرْتَعِبُونَ مِنْ أُخِيلَتِهِمْ إِذْ يَخَالُونَهَا جِيوشًا دَاهِمَةً؟

أَهِيَ سِتَارَةٌ لَصُورٍ مَتَمَايِلَةٍ فَوْقَ حَيْطَانِ

قَبْلَ أَنْ تَنْغَرِزَ فِي أَعْيُنِ الشَّاحِصِينَ إِلَيْهَا؟

تَمَسِّكُ عَنْ الْكَلَامِ

مَنْ دُونَ أَنْ تَتَوَانَى عَنِ التَّمَلُّمِ وَالتَّذَمُّرِ وَالتَّشَكِّيِّ

قَبْلَ أَنْ تُرْخِيَ عَضَلَاتِ السَّبَابِ

فِي مُشَادَّةٍ

يَصْعَبُ فِيهَا تَمْيِيزُ وُجُوهِ النَّاqَمِينَ مِنْ وُجُوهِ الظَّالِمِينَ.

فوق مائدتها، تقتات ممّا تلفظ

من دون أن تنزع مريلتها عنها

طالما أنها، في العمل، في القيلولة، في المُرَاوَحَة، في استعادة الخطى أو في استباقها:

تسلّم المواليدَ لأسلافهم

ذبائح لمعبوداتٍ خافيةٍ

طالما أن الحياة تُعاشُ بالمقلوب

على الرغم من زعيق الأطفال... زعيق الرغبة قبل شخير الخلود.

إن كانت تعمل في مقاهٍ ومطاعم

وتُسرع في تلبية الطلبات

وتبقى على مقربة من طاولاتهم

فذلك لكي تحتفظ بفتاتهم

بكسور غيظهم

في مريلتها الممدودة بين حنقٍ وانتظار...

مُهملاتهم، طبَّقها اليومي

وجباتٌ سريعة

يتلقَّفونها كيفما اتَّفَق

إذ إنهم ماضون في غيَّهم

في اندفاعاتهم

فوق شُرْشَفٍ أبيض.

مَنْ تُكِلُونَ لَهُمُ الْمَدَائِحَ

وَتُغْدِقُونَ عَلَيْهِمُ أَشْرَفَ الصِّفَاتِ  
وَتُعَلِّقُونَ ذَهَبَ سِیُوفِهِمْ فَوْقَ أَحْجَارِ الْمَجْدِ  
يَسْتَحِقُّونَ مِيتَاتِهِمْ: لَحْمًا مِثْلَ طَيْرٍ لِلنُّسُورِ  
مَنْ دُونَ اسْمِ  
هَبَاءٍ مِثْلَ نَوْارٍ فِي خَلَاءٍ.

أَيُّهَا الْمُنَادَى، هل تسمعني؟

هل تعرف أن الكلمات لا تعوّض حياةً مبدّدةً، مؤجّلةً، لم يَفُزْ بها من انتهى إلى أن يكون حشوة في شتيمة، أو قذيفة في نكاية، أو حزامًا حول خصر هاوية.

أَيُّهَا الْمُنَادَى، الذي لا يأبه بما أقول

فيما يجلس قبالي:

عانقني، في قُبْلَةٍ مسمومةٍ

في لقطة أخيرة: أخرجُ فيها من المشهد

فيما تُوزّع أوراق موتي.



ها ندائي أسبقُ من وجهي

ها ندائي يُخفي صوتي:

وصيّتي، بعد أن أكون قد سبقتُ النسيم إلى انتظاراته  
وانفعالاتِ اللسان إلى استكانة الألفاظ.

ها ندائي أبعدُ مني

أبقى مني

مشيئتي الأخيرة

ما يحفظني

من دون رسمي، من دون علمي

مَيْلاً

احتمالاً

ينقضي إثر انقطاع الهواء.

لا تَأْنَفْ مِنِّي

مَنْ مُجَالَسْتِي!

يَا حُبِّي الْكَرِيهُ:

لَمْ لَا تَحُبَّنِي!؟

الضَّغِينَةُ: حُبِّي الْكَرِيهُ

مَا يَجْمَعُنِي بِكُمْ.

## القصيدَةُ وَدَوْدَةُ

القصيدَةُ تُحِبُّ، وإنْ غَضِبْتُ مَمَّنْ يَتَرَصَّدُونَ لَهَا بِمَجَرَّدِ ظُهورِها.

تُضِي أَوْقاتُها تحت شَجَرَةٍ جَرْداءٍ  
أمام كَأْسٍ فارِغَةٍ  
في انتظار ما يبعثُ الهِواءُ في رِقادِ الغافِلين.

تنتظر، لكنها تهوى المناوشات  
حتى إنها تتدبَّرُ خصماً لها قد يصرعها  
ويعيدها إلى حيث أتت.

القصيدَةُ من حيث لا تدري، تلهجُ بما يخيفها  
من حيث لا تقصد، تُمَسِّكُ بِأَطرافِ سَباب.

هناك من يرود حولها مثل شرطيٍّ ليليٍّ  
يُغريها برقصه البليد  
وقافيته المتدلِّيَّة من سرواله  
مثل طَبَلٍ مثقوبٍ.

## وَحْشَةُ آسِرَةٍ

بدليل أنني أصرف لكل حرف ما لا تصرفه شاكيًا لِطَلَّتْهَا

فكيف لا أُنَحِّصَنَّ بين حيطانها كما في مملكة سَيِّدَةٍ

وكيف لا أُنَزِّه في ضيق خطوطها مثل رائد فضاء

وكيف لا أكتفي بفعلتي وإن في وَحْشَةٍ آسِرَةٍ!؟

## استباق

هناك مَنْ يتوجَّه إلى القصيدة مثل مَنْ يتوجَّضه إلى مكتبه  
مَنْ ينصرفون إليها بِثِقَةٍ المُوَظَّف إذ يستعيد ملفَّ الأُمس  
ومن يسوقونها سَوِّق القطيع إلى مُرَبَّعَاتِهِ الصابِرة...

هناك من يفكِّرون بعبد الحليم حافظ، عندما يغمضون العينين، ويصغون لدبيب النغمات في  
الأذنين، من دون أن ينظروا إلى الورق الذي بين أيديهم:  
مشهد تكوين، وطبق شراكةٍ مؤجَّلة.

هناك مَنْ لا يفكِّرون بأبي نواس، وبأنه يتمتَّع في حانة، لنفسه ومع رفاقه والحروف، بل يُقبلون  
على القصيدة مثل من يعتلي منبراً: أمام حفل أو قبيلة، للعزاء أو للنشيد...

هناك مَنْ ينحني، فيظنُّ أن القصيدة أمانةٌ، وخادِمةٌ، فيما تلتهي بنفسها قبل أي شيء آخر، حتى  
عند الذين يستلقون فوق شراشفها القائمة، فوق سطورها الوَسْخَة...

هناك مَنْ يَزَعِّقون على مَقَرَّبَةٍ منها من دون أن تلحظهم  
من يمدُّون ألسنتهم للتلوي، فتسرع إلى تنظيف ما علق بين أسنانها

فيما لا تطلب، واقعًا، غير أن تتحرّك

غير استباق الخطوات

فوق أوراق الغبار.

## خَادِمَةُ ابْنِ الرُّومِيِّ

الخادمة من أمام مريلتها البيضاء تُوزَعُ الأطباقُ بِخَفَّةِ الجُمَلِ في وليمةٍ يتذوّقها ابنُ الرومي...!

للقصيدة طابعٌ واحد

خادمٌ وحيد

وساهرون لا يطيقون الأكل في الصحن مرّتين.

الحركات فوق الحروف توأبلُ

لها مذاقٌ مديد

لمن يُحسن التلذُّذَ بصحن بسيط فوق مائدة انفعال:

حتى هذا كله سيكون في خدمتها!

## تَبَاعًا

تصدر تباعًا بمجرد أن يتقدّموا فيها، مثل ورق مطويّ بإتقان يجد القارئ فيه خَبْرًا بمجرد أن ينزل على السطر.



## حصاة صامتة

حصاة صامتة

لا تَسْعُها يدي،

تثقب جسدي قبل أن تنطلق من مقلعها:

مَن يرمي مَن؟

أَنَا الحشوةُ إذ تَكْرُجُ فارغةً على سطح بارد

أم الثقب المسدود، مثل بيت أخير،

لها يخرج مني ويستقر فيَّ

مثل صوت يسبقني، يعدو أفضل مني

قبل أن يتلاشى من دون أن تصطفق يداه بأحد؟

صامتة، القصيدة،

تكتفي بالنظر إلى ما يحيط بها

قبل أن تَدُلِّفَ إلى حصاةٍ

إثر موجٍ من صقيع.

## تنظر إليهم

تنظرُ إليهم

من دون أن تراهم؛

تتسقط أخبارهم من دون أن يبلغها شيء منهم؛

تُواعِدُهم، فلا يتورّضون عن الهُزءِ بها؛ لأنها أضلّت طريقها، وتُواعِدُ حيث لا يأتي أحد.

ألهذا تبدو ساكنةً في غيظها؟!

## بَيْتٌ مِنْ قَشٍّ

نُثَارٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي كَوْمَةٍ مِنْ قَشٍّ:

هَذَا مَا يَبْحَثُ عَنْهُ نَاطِرًا إِلَى الصَّفْحَةِ، إِلَى عَيْنَيْهَا، بِمَحَبَّةِ الْعَارِفِ إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يُذَكِّرُهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَفْقِدَ ذَاكَرَتَهُ مَعَهَا...

سَيَكُونُ مُمْتَنِّيًا لَهَا، إِذْ تَعِيدُهُ إِلَى يَدَيْهِ

يَصْنَعَانِ مِنْ عِيدَانِ لُغَةٍ

-مُتَنَاوَلُهُ-

مَا يَشْبَهُ بَيْتًا مِنْ قَشٍّ أَوْ مِنْ هَوَاءٍ.

## تتساقط...

هكذا تتساقط الألفاظ

واحدةً، واحدةً

مثل عداء يتنفس بين خطوة وأخرى

بهدوءٍ من بلغ النهايات قبل أن يصل إليها.

تتساقط بحرص من لم يعد يقوى على النُّنْطَةِ...

مثل ثمارٍ عامرةٍ

أخيرة

قبل أن تُسلمَ الشَّجَرَةُ أغصانها

لَوْحْشَةِ الْيَبَاسِ.

## أَنْتَ أُمُّ هِيَ؟

أَنْتَ تَخَاطَبُ أَحَدًا

لِكي تنصرف إلى الشَّدة في الكلام؟

أَنْتَ حَرِيصٌ عَلَى سَلَامَةِ يَقْظَتِهَا

لِكي تصرف لها أعلى ما يشرق في صباحك؟

أَنْتَ لَهَا، أُمُّ هِيَ لَكَ؟

لماذا أَنْتَ في خدمتها بدوام كامل، فيما تزورك على حين غفلة؟

هي، تراكِ وَجَاهًا، فيما تستبين تقاطيعُها في الغبش.

هي لاهيةٌ، وَأَنْتِ تفحص ما يقع أَبْعَدَ مِنَ الْمَجَرَّاتِ

فِي طَرَفِ الْعَيْنِ، وَتَدْفُفَاتِ النَّفْسِ.

هي، إِنْ بَكَتْ، تَمْسَحُ دُمُوعَهَا بِوَرَقَةٍ فِي سَلَّةِ مُهْمَلَاتٍ

أنتَ، إن بكيتَ، تبكي لبكائها...

أنتَ تتساقط في جسدك، وتتخفَّف من ثِقَلِ العمر، وعُقْمِ الانتظارات

فيما تتغاوى -هي، إياها- دوماً في أبهى ورقة

وإذ تتجعد بين يدي قارئ

تنطُّ إلى شرفة قارئ آخر.

## ما بَقِيَ لي منها

ألفاظٌ متبقيّةٌ في طبقٍ سابقٍ  
تكاد أن تُحدث طنيناً إذ ترتطم  
ببرودة الهواء الرّاكِد في الغفلة،  
بِخلاءِ الكرسيِّ المُقابل...

ما جفَّ أقلُّ  
مما تبدّد أو تهاوى،  
وما طار لم يأمل بفاصلة تُمسك به عن التبدّد...

حروفاً ذابلة،  
من دون حركاتها،  
من دون بُهاراتها في انتعاشة الحلق.

ما يبقى قد يَصْلُحُ لشاعرٍ جاهليٍّ

لا لي،

إذ إنني لا أستعيد دَرْبًا بالمقلوب...

في الكلمات لها

ما يكفي

إذ أدلف إليها

بخشية الحريص

على ما سَقَطَ منه

ويبقى له

فيها،

وإن على مسافة منه،

في ما يشيع منها

في تباعدها المنير...



في قصائدي لها

بقيت بعض نوافذ مفتوحة،  
وتركت السرير من دون غطاء...

طلُّ،  
أجسه بأصابعي  
بهدهء من يهزُّ غربالاً فوق نهر  
طامعاً في أن يعثر فيه على نثار ذهب.

## حبرٌ بأتُّ

يحدِّقُ بي بنظرة الغريب إذْ

يتكوَّم في كُرسِيه

وحيداً وكسيراً.

هذا الحبرُ

كان ممَّا اندلق بين الأصابع، في رطوبة العينين،

في نشوة اللسان إذ يستفيق على لسانها،

وفي زغب الثديين

تحت مرمى اليدين.

مَدَّتْ لي قصيدي يدًا

لكي أخطو في اتجاهها،  
فلا أزورها.

مَدَدْتُ راحة يدي  
إلى ما كانت قد مَسَدَّتْه في خشونة الحجر،  
إلى ما أَبَقَتْه عَالِقًا على طرف نافذة من دون أن يخفت بعد...

أَقْصِدْهَا عَنْ بُعْدٍ

فلا تراني،

أُعِيدُهَا إِلَى مَائِدَتِهَا الْخَالِيَةِ

فلا تعصاني...

ما بقي لي منها

يبقى على الرغم منها،

وَأَقْصِدْ فِيهِ

بحرص النملة وتَزَهُدُ الحبيس.

جلستُ ألفاظي إلى وجهها

تمددتُ إلى جانبها في منحنى البياض،

فيما تركتُ الزهرة اليابسة على سياج النقاط

تُورقُ في دفثري.

لا تستريح ألفاظي إذ تغيب

فلها ما يشغلها

مثل وسواسٍ نشيط،

مثل وعْدٍ تحمله أجنحة مُعلّقة في غيوم الانتظار.

الطاولة التي كانت قد انفردتُ بها

من دوني

تحرص على المجيء بي

إليها،

على الرغم منها؛

لأنها تكافئ مَنْ كانت له في أصابعه

ألف شمعة

في عتمة فقدان،

مَنْ يحرص على إبقاء الدفء في مقعدها

بعد أن دارت بقامتها من دون أن

تلتفتَ إلى ما خلفته خلفها.

لهذا السرير ستارةٌ

بل شاشة،

لما خَفِيَ فيه...

فيه ما يجعل الأجنحة تتشوق

-ما أن يلامسَ شجرتها الوردية-

لمُلاقاةِ العصافير

إذ تطير...

لهذه الشاشة صور،

مَشَاهِدٌ مُكَرَّرَةٌ في الديكور عينه،

ما يجعل الممثلَ ينتقل من تحت الأضواء

إلى عَتَمَةِ كرسيِّ المتفرِّج،

فيما تتعالى فوقهم جميعًا

هالَةٌ

ما لا يتكرَّر،

ولا يَمُحِي.

لهذه القصيدة ألفاظٌ معدودةٌ

ما لها أن تعلو به

أحجاراً

لمعمار غيابها.



## كتابي، منذ أن كنت طفلاً

سكنتُ كتاباً من دون اتِّفاقٍ مع مالِكه،

سِرْتُ فيه أبعد من بيتي،

صافحتُ وجوهاً غير معارفي،

وعاودتُ المجيء إلى الجملة عينها

أكثر من عوداتي إلى الشارع، إلى النظر إلى شرفتها، وإلى دولاب الهواء على سياجها الحديد...

هذا الكتاب عرفني،

فيما أروده مثل باحثٍ عن ذهب

في وَحْلِ الحجارة والمياه.

أروده

من دون أن أفارقَ قَعْدَتِي،

ساكناً في تيهي،

ساهماً في حيرتي،

ما يجعلني بشراً ناشطين في احتمال الورق،

عريسًا أو فقيدًا،

من دون أن تفارقني ابتسامة الامتنان،

لكوني عشتُ أكثر مما أعيش،

وأموت من دون أن أموت،

لكوني أعجبُ ممَّن يعدُّ قروشه المثقوبة،

وأبتسم من جديد

لمن يعبر أمامي

ولا أبالي به.

سكنتُ هذا الكتابَ مُتعةَ الطفل

إذ يَهْوَى صُنْعَ الكائنات، وبناء البيوت، وعقد الزيجات،

من دون التزام بأحدٍ

غير اللّعبِ نفسه.

## مكتبتي راقصة

تجلس إلى غيرها  
في حفل راقص،  
فما اجتمعتُ فيما بينها قبل دعوتي...

تتسلَّل بينها رسائل من دون علمي  
بين أبي نواس وبودلير،  
بين أبي حيان التوحيدي وفلوير،  
ما يقيم عائلة في الخفاء عني،  
بين رفوف مكتبتي:

تحيطني بحنانها  
مثل هالةٍ، أو نعمة،  
ما ينير درب السالكين في عتمة اللغة،  
ما يجعلني في موكب من دون أناشيد،  
يشارك فيه الموقى بهجة الأحياء،  
في ما لهم أن يبنوا في فضاء الضوء

من دُورٍ ودُورٍ  
تبعًا لإيقاع الحُبور.

## الشجرة التي أجلس في فَيِّها

ما كنتُ أعلمُ أن الشجرة التي أجلس في فَيِّها  
هي عينها التي رفعتُ لكتابي سقفاً  
تندلى منه مشاتل وأخيلةٌ  
تُرافقني إلى وسادتي  
وترفع لي بؤابةً أخرى  
مفتوحة على فضاء...

هكذا سرتُ في شوارع لا أعرفها  
وانتظرتُ مواعي مع ذات اللباس الأرجواني  
التي التحقتُ بي بعد وقت  
إثر انقضاء دورها في نهاية الفصل الروائي...

هكذا بكيت لموتها من دون أن يشاركني به أحدٌ من أهلي،  
وبقيت لساعات وساعات غير معنيٍّ بسماع عبارات المواساة  
طالما أن فقدانها أشدُّ من أي صبر وعزاء...

بعد انصراف كتابٍ إثرَ كتابٍ  
أدركتُ أن لي عُصبةً ممتدَّةً،  
وأن لي ظلًّا واحدًا يتسلَّلَ بينها  
ويعقد معها صداقات وتساويات  
من دوني،  
من دون وجهي.

هكذا بتُّ أعلم أن ظليَّ يخاصمني ويشاركني:  
ما هو لي، هو له ولي،  
وما له، يتصرَّف به وحده  
ويتركني في شوارع الكلمات، بين معاطف الهيئات،  
أعبرُ في صورة رغبة  
لا تستكين إلى فيءٍ،  
وتتبادل تقاطيعي مع قامات الحروف  
أدوارًا وأفعلاً،

شريكين في منتهى الخطوط،  
في أفق لا ندركه بعيوننا  
بل بأجنحتنا.

## دخلتُ، قبل أن

دخلتُ إلى كتّابي قبل دخولي إلى مدينة،  
أمسكتُ فيه بلجام حصاني، وقبضة المِهْمَازِ،  
وتَعَاوَيْتُ بموكبي تحت الشرفات المَزْهَرَة،  
قبل أن أَسْتَقِلَّ بنفسي في شارع،

هذا جعلني أسابق من دون سباق،  
وأَسْتَرخي بعد تعبني من دون مَخْذَةٍ...

لعلِّي بلغْتُ  
قبل أن ينمو شاري،  
واحتسيتُ أول كأس من حُرْقَةٍ  
قبل أن أقوى على السهر بعد السابعة مساء...

من المؤكّد أنني اختلفتُ عن غيري:  
أمشي فيما ينتظر الباص البلدي.

أقطف من كتابي وردةً،

من دون أن تفتن الصبية، في حوش المدرسة،

معنى تَفْتُحُهَا في عينيّ قبل يَدَيِّهَا...

لعل كتابي أمسكَ بيدي،

وهذبَ خطواتي،

لكنه أبقاني طفلاً في قارعة الطريق.



## باردة من دون شفتيها

تبينتُ، اليوم، في كُتبي

حراكاً غريباً،

بين نفور وانشداد:

بعضها انتقل من تلقاء نفسه،

وشرعَ في عقد حلقات مع غيره،

من دوني...

كتبُ باردة من دون دفتيها،

أخرى جافة أشبه بحطب مُوقدة...

غيرها ينتظرنني في هَوسِ اللحظة،

قبل أن يرتفع إلى العيون،

ويَنَدَلِقَ بين الأصابع

طارحاً مثل رغيِف انفعال.

## من دون قارئ

هذا يكتب مثلما يغني المطرب، إذ يلوي رقبتَه شمالاً ويميناً  
ذاك يَرثُشي، في طقس كربلائي، من كان له أن يتعرَّفَ فيه على الإنسان قبل الشهيد.  
القارئ، هنا وهناك، يصفق أو يبكي من دون أن تغطس يده في دَفَقِ المحابر.

## كَرَّمَ إِلَى حُدُودِ النُّكْرَانِ

هذا الكتاب لا يشبهني،

لكنه يسكن في جوارِي...

على مَقَرَّبَةٍ مِّنِّي

لكنه لا يجالسني،

إِذْ نَلْتَقِي صُدْفَةً فِي مَمَرٍّ،

أَوْ فِي جِهَتَيْنِ مِنَ الْمَقْهَى عَيْنِهِ،

فِيمَا يَتَبَادَلُ عِبَارَاتُ الْوَدِّ مَعَ غَيْرِي

مِنْ دُونِي.

لَعَلَّهُ يَتَلَصَّصُ عَلَى مَشِيَّتِي

إِذْ تَتَأَنَّى فِي تَنَقُّلِهَا الْبَطِيءُ،

وَيُسْرِفُ فِي كَرِّعِ الْكَاسَاتِ

إِذْ أَنْصَرَفَ إِلَى تَنَاوُلِ أَدْوِيَّتِي.

أَهُوَ ابْنُ عَاقٍ أَمْ ابْنُ ضَالٍّ

من دون أن ينتظر وصيّتي؟

أيجوز أن يمضي الكرم إلى حدود النكرانِ

أم يجوز أن يمضي إلى نهاياته:

أن يصيح الكتاب لغيره، ولغيري؟

## لَمَّا أَتَانِي

الكتاب الذي قرأتُ، في أول مرة، أتاني

ليقول: أَتَظُنُّ أَنَّكَ سَلَّمْتَ؟

أُتَعْتَقِدُ بَأَنِّ مَا اجْتَرَزْتَ يُخَفِّفُ عَنْكَ صَعُوبَةَ التَّقَدُّمِ فِي وَحْلِ مَا يَتَهَدَّدُكَ؟

ماذا لو أنك بكيَتْ دلالةً على فركك؟

كتابي يشغلني

ما يكفي

ما يجعلني لا أسمع ولا أرى ولا أشتبك مع أحد.

كتابي، وهو واهٍ أكثر من ورقة.

وشفاف، حتى إنني أنتقل بين وجهيه من دون تمييز.

أهكذا تكون لي أكثر من حياة في جسدي الضئيل؟

## بما يُتِيحُ جُلوسَ اثْنَيْنِ

مَقْعَدُ بما يَتِيحُ جُلوسَ اثْنَيْنِ.

فوق المقعد كتابٌ مفتوح، تركه قارئٌ لِلْحَظَّةِ، على أن يعود إليه.

قائمةٌ مَحْجَبَةٌ تمشي كما لو أنها تتسلَّل، ترود بنظراتها ما تحلُّ فيه، ثم تسرع إلى المقعد.

تُمَسِّكُ بالكتاب، وترفعه: «شربل داغر... على طرف لساني... دار العين»؛ تطويه ثم تجلس عليه.

## مَكْتُومُ الْقَيْدِ

الكتاب مَطْوِيٌّ على ألفاظه، فوق مقعدٍ

لا يعبأ بالعجولين في ممرّات المطر،

لا يأملُ بالجلوس على مقعدٍ شاغرٍ في مقهى لا يَسَعُ إلا لاثنين، ولا ينتظر تحيّة تعارُفٍ من أحد...

الكتاب انغلقَ على قُرْآنِه،

من دون قُرْآنِه؛

امّحتْ حروفُه من تلقاء نفسها، وغارت في حنجرتها، لتعود من حيث أتت:

رسوّمًا من دون لغة،

سطورًا من دون أصابع

ووعودًا مدعوسةً تحت جزمة البلاهة.

## الزَّمنُ لا يَكُوي

الزَّمنُ يغسل، لكنه لا يكوي ما جفَّ تحت شمس الخِيَّباتِ والانتظارات.



## هضبة

بين جبل وشاطئ  
مما لا تستقرُّ عليه  
طالما أنها تنزلق إذ تنام  
وتَعْمَى إذا عَلَتْ بأنفاسها إلى الطيور.

## لَيْسَ

لَيْسَ لِلنَّهْرِ مَوْجٌ، فَيَبْسُطُهُ وَيَطْوِيهِ  
لَيْسَ لَهُ زَبَدٌ، فَيَتَفَوَّهَ بِهِ وَيَنْسَاهُ...  
لهذا لا يعاود الخطوة، ويتراجع عنها.

فيما البحر إشاعةً  
من دون سرير  
تظنُّه قد عاد فيما يراجع خطاه.

## امض

هذه العملة بَارَتْ،

هذه الابتسامة لا تصلح حتى لمُسَايَرَةِ عَجُوزٍ فِي مَمَرَاتِ البَيْعِ فِي مَتَجَرِّ بَائِسٍ،

لَكَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ أَقْرَبِ سَلَّةِ مُهْمَلَاتٍ

ارمِهَا أَيْنَمَا كَانَ

امضِ مِنْ دُونَ وَجَلٍ

عَلِّقْ مَا تَبَقَّى تَبَاعًا:

فَوْقَ شَجَرَةٍ كَيْنَا مِنْ دُونَ عَصَافِيرِهَا، عَلَى مَقْعَدِ أَصْفَرٍ مِنْ دُونَ حُفَاةٍ رَاكُضِينَ، تَحْتَ سَرِيرٍ مَا يُخْشَى  
قُدُومُهُ، فَوْقَ حُرُوفٍ سَاكِنَةٍ مِنْ فَرْطٍ مَا عُلِقَ فِيهَا مِنْ ذُبَابٍ...

امضِ،

لَأَنَّكَ سَتُمْضِي الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَّةَ، وَأَنْتِ تَشْدُّ عَلَى أَصَابِعِكَ الَّتِي تَشْدُّ عَلَى قُرُوشٍ قَلِيلَةٍ، وَصُورٍ مُتَعَصِّنَةٍ...

امضِ،

لَكِي لَا تَشْقَى هَاذِيًا بَيْنَ وَجْهِهِ صَفِيقَةٍ.

وَحَشَّةٌ تُضِيءُ مُفْرَدَاتٍ  
خُيُوطُ عَنَكَبُوتٍ تَسْهَرُ بِرُقُفَّةِ أَحْلَامٍ  
وَرُثَيْلَاءٌ عَلَى عَتَبَةِ بَابٍ مَفْتُوحٍ.

امْضِ،  
لا تعدو -هي- أن تكون فيلماً بالمقلوب.

## ظلي، ضيفي

قرأتُ في كتابٍ أن الظلَّ ضيفٌ

أغلقتُ الكتاب، وسألتُ: هل الكتاب ظلُّ كاتبه؟

أشعلتُ الحاسوب، وجدتُ أن غيري سبقني إلى طاولة، كنتُ طمعتُ بأن أجري فوقها حواراً علنياً  
مع ظلي

أغلقتُ الحاسوب، وجدتُ أن ظلي لم يمسخ الغبار عني، وبعدي.

ظلي، ضيفي

من دون أي لياقات

من دون دعوة.

## إِلَّا لَيْلًا

أصواتٌ ترقّي على عتبةٍ:

هنا، تلهو

هنا، تتذكّر

هنا، تَنْفُثُ في الهواء قُبْلَةً أو استعارة.

الأحياء لا يسمعون، لا يتحاورون...

الحياة رَوْضٌ شاسِعٌ، فيما لا يتوانون عن إحياء ذكرى الموتى.

للأصوات شموع لا تحترق إِلَّا لَيْلًا.

## ما يُضِيرُهَا

ما يُضِيرُهَا مَحَطَّةُ الْوَصُولِ إِنْ اسْتَقْبَلَتْ رَكَّابَ مَحَطَّةِ الرَّحِيلِ!

## فَقَطْ

يستقبل زبائنه

من دون تمييز،

ينتقل هذا وذاك

من دون تمييز،

طالما أن شهوة الليل تترقق

في كأسٍ تدور على شاربِها الكُثُر.

حتى الخصوم يتصالحون...

ضميرٌ مُستترٌ في لعبةٍ مكشوفةٍ

وقبّعات تستقرُّ دوماً فوق رؤوس طالبيها.

بين الكراسي شبابيك وداليةٍ عنبٍ

سيرةٌ وأقداحٌ على مدار الساعة:

«نستقبل الزبائن ليلاً نهاراً فقط».



## تدریجاً

في قلعة

تتبادل الأشباح في خلائها  
وتصطفق رسومها بروجها.

أعضاؤه تلتئم على أعضائه  
في هيئة محاربٍ أخير:  
أعزل في حشد  
بهيكَلٍ من فولاذ.

مثل الجاحظ تحت كُتُبِهِ...

يستجمع في سحنته

علامات الدروب

دروسها

وأعلامها الممزقة.

## كَفَاكَ

كَفَاكَ شَكْوَى وَحَسْرَةً...

تستدرجها، تأمرها بالاصطفاف، أو بالانصراف، أو بأداء مَهْمَةٍ انتحاريَّةٍ

تستعرضها كما في شراء الجواري

تفحصها بحرصٍ مَنْ يتأنَّى قبل زواج حفيده.

## ليس عليك

ليس عليك لكي تعرف ماذا جرى إلا أن تتوقّف عن متابعة الجريدة، أو الشارع، أو البريد الإلكتروني، وأن تذهب بخيالك مذهب شتى... إذّاك ترى ما لك أن تراه، وأنت مُغمّض العينين.

ليس عليك أن تأنف ممّا يعرض لك في المنام، ولا في أمواج الورق، تكون إذّاك تكتب على الأقل ما يحلو لك أن تكون، ما تستطيع الهرب منه بعد الجلوس خلف باب زجاجي مُحكَم يرى ما لك أن تراه من دون أن يبلغك هواء أو عويل أو تناؤب في الفكين...

ليس عليك أن تتبرّم من كونك تستولد ما لا أصل له، وتستخرج حقيقة من فضيحة، أو العكس.

ليس عليك أن تتيه، أو أن تستدرك ما فاتك... يكفيك أن تقرأ الخريطة في ما بقي من أطلال في قصيدة أبي نواس.

## انسَ أو دَوِّنْ

انسَ أو دَوِّنْ.

دَوِّنْ لكي تنسى.

ضَعْ نقطة قبل نهاية السطر، قبل أن تُعَاجِلَكَ الفاصلة، وتدفعك إلى قول ما لا تريد.

دَعْ ما يبكيك جانبًا

بحكمة لم تبلغك أطياها

ولا طنينها الرتيب،

قبل أن تسترسل في استباق مجيء المُشِيعِينَ...

لا تَنَسَ أن عليك أن تبكي أقلَّ من بكاء أهل الفقيد

إلا إن كنتَ الفقيدَ

الذي يمضي تاركًا لغيره

برودة المناديل.

## لم تَرِنِي

ها هو يقترب، فيما تتأني في تنقيـل الخطى:

له عينان من زجاج، وقلـبٌ من قشٍّ، وقـدماـن من عاصفة  
فلا تأملُ فـكاكاً منه.

لكَ أن تقول له مع المتنبّي:

«لولا مخاطبتي إياك لم تَرِنِي».

## أَحَبُّ التَّشْبِيهِ

أَحَبُّ التَّشْبِيهِ

لأنه أَمَكْرُ من الاستعارة:

يُخْفِي وَيُضَلِّلُ؛

يَقُودُكَ إِلَى حَيْثَ لَا تَعْرِفُ

فِيهَا تَظُنُّ أَنَّكَ قَاعِدٌ فِي سَكِينَةِ الْأُلْفَةِ.

بهذا المعنى، وبغيره،

فِي الْجُمْلَةِ ذَاتِهَا،

أَسْتَعِذُّ بِالتَّشْبِيهِ

مِثْلَ مِرَاةٍ تُفْضِي عَلَى نَافِذَةٍ

كَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ بِخِفَّةٍ الْمُمَثِّلِ

بَيْنَ خَشَبِ الْمَشْهَدِ وَمَشْهَدِ الْخَشَبِ،

بَيْنَ احْتِمَالَيْنِ وَأَكْثَرِ

فِي مَكْرِ اللَّغَةِ.

## جُرْحُ شَجَرَةٍ

هذه الشجرة ترى من دون أن تُبْلَغَ بما جرى؛  
الشجرة تنتفخ نقمة وتَصَبِّرُ.

هذه الشجرة تستقبل وتتحمّل  
فلا تحتفظ بقاذوراتهم.  
تفشّل أمام سكينه، إذ يغرزه في عصيرها:  
لهذا تُبْقِي جُرْحَهَا علامةً على قباحته.

## مَنْ يُمْسِكُ بِيَدٍ

- أَتَكُونُ لَكَ فَرَحَةً مُحَرِّكَ الدُّمَى؟

= ربما... إلا أنها فاجرة...

في أحسن الأحوال، أكون مَنْ يُمْسِكُ بِيَدِ العُروسِ لِكِي تُمْسِكَ بِيَدِ العُريسِ.



## عابرون في ممر استعارة

«الهُدَى هو أن يهتدي الإنسان إلى الحيرة، فيعلم أن الأمر حيرة، والحيرة قلقٌ وحركة، والحركة حياة»  
(ابن عربي، «فصوص الحكم»).

«يَخْلُدُ إلى الفكر، من دون أن ينطوي على نفسه، وإذا كانت هناك من صِلَةٍ سَرِيَّةٍ بين العمل والفكر (...)، فإنها تتعَيَّن في كَوْنِ العمل والفكر يتحوَّلان ويتَّخذان شكل الحركة، وفي كون الحرية، إذا، التي تبنيهما، هي حرية الحركة (...). إن فِكْرَهُ (...) ليس كلامًا مع النفس، بل استباق قَوْلٍ مع غيره».  
(حنّة أرندت، «عن الإنسانية في الأزمنة المعتمدة.. أفكار حول ليسنغ»).

(دُمَى أو هياكل من أسلاك حديد، ذات أحجام متفاوتة، مربوطة بأكتافها  
وأقدامها بخيطان بيضاء، دقيقة؛ تنزلها أيدٍ خفيفة، تعلو بها، ثم تسحبها؛ بعضها  
نسائي، وبعضها رجالي).  
(عتمة).

(مجموعة متكلمين باللبسة بيضاء، يأتون من جهات مختلفة؛ لا يمكن التمييز بين  
هياتهم):

متكلم ١ : ما كان لنا أن نتركه يعمل في العتمة (بعد توقُّفٍ) ... وحده.  
متكلم ٢ : أتظن أنه كان في إمكاننا فعلُ شيء، أو تفادي هذه المحنة؟

متكلم ٣ : أبَات يحتاج إلى غيرنا، ممن يمتلكون هيئة أفضل من هيناننا؟

متكلم ٤ : ألم يبقَ لنا غير أن نجلس متفرجين بدورنا؟

متكلم ٥ : ألا نكون نَسْتَبِقُ؟ ألا نكون نَسْرَعُ؟

صوت (من جهة خافية): فعلاً... عودوا إلى حيث كنتم.

مَنْ أجاز لكم هذا الظهور!؟

متكلم ١ (خارجاً): ها عدنا إلى اللعبة (بعد توقّف)... لعبة التخفي والتلطي...

متكلم ٢ (مقاطعاً، خارجاً): إيّاها، إيّاها... اللعبة إيّاها!

العامل : (موسيقى هادئة... الثلاثة المُتَبَقُّون يخرجون بدورهم، فيما يتهامسون).

متكلم : (عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): صوتي في مدى أبيض... يُبْعِدُ عني الذبابة التي ترود حول وجهي...  
يُغْرِينِي بفراشة تتمايل فوق جلستي المستكينة.

صوتي لا يحطُّ على غصن، لا يستعجل ولا يستدرك؛ فقط يَسْرِي...

(بعد توقف) كان عليّ أن أتحقق من قابليته على الخروج من حلقي، من عتمة  
رازحةٍ، ما يجعل الحيرة مُهْلِكَةً ومحِبَّةً، ما يجعل التردّد في المشي سابقاً أي خطوة.  
صوتي غارق في تموجات جوفيّةٍ، بين ما يُقال وما يُقال، بين ما يُقال ولا يُقال، بين  
قولٍ لا يلبث أن ينقطع، وبين قولٍ يتقدّم ولا يلبث أن يتوقّف من فرط اندفاعته  
المُبْهَمَةِ...

صوتي، أظنّه محروساً مثل كنز، مثل وصية، مثل مقعدٍ دافئ. يسبقني مثل صراخٍ  
لمولود، إشارة دامغة عن كوني أتنفّس، عن كوني أهجس بما سبقتني إليه أشباح  
وظلال ودُمى.

(عتمة).

متكلم ١ : (وحيداً): تركته يتكلّم من دون اعتراض... تركتني أتعرف على نبرته... تركتني  
أساءل عما يطلب فعله... تركتني أنتظر...

تركنتني أتشوق لمزيد...

(يدير ظهره، يتنبّه إلى وجود دمية، فوقها لباس نسائي، مُدلاة من السقف): من تكون هذه؟

صوت (في العتمة): من أجاز لك الظهور؟! (عتمة).

(دمية على خلفية شاشة بيضاء: تنزل تدريجاً إلى أن تبلغ الأرض. تحاول المشي، فتتعثّر. يتم سحبها بسرعة). (عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): صوتي يُنكر صوتي. من دون أن ألوي على شيء، من دون أن أتحقّق من الأمر، أو أن أدقّق فيه، أو أن أسارع إلى حفظه، إلى فحصه... يتقدّمني مثل ساعي بريد يحمل رسالة أجهل حمولتها، ويَعِدُّ بإبلاغات في لغة خاصة، في لغة تعصاني، حتى حين أفضّ ختم الرسالة... ما عدتُ أسميها بالرسالة، طالما أن أحداً يستلمها من دون أن أكون قد أرسلتها فعلاً، لا له، ولا لغيره...

(بعد توقّف) قول في تدافعات قول، ليس إلّا.

حروف تسعى فوق أقدامها. أقدام تسعى فوق حروفها. موجّ ناري في هدوء كلام.

متكلم ١ : (في العتمة): لا يُخطئ في ما يقول...

متكلم ٢ : (في العتمة): كيف يكون ذلك؟

متكلم ١ : (في العتمة): أتعرف أنني لم أحسن التعرّف على صوتي، ذات مرة، لو لم أنتبه للكلمات التي كنت قد أدليتُ بها أمام آلة تسجيل؟

متكلم ٢ : (في العتمة): لكنه يقول غير ذلك.

متكلم ١ : (في العتمة): بلى، يقول هذا وغيره.

صوت (في العتمة): مَنْ أجاز لكما بالتكلم؟  
(صمت).

صوت منفرد (في العتمة): مثل التماعة في ليل مُهين، لا تلبث أن تنطفئ...  
من أين لي أن أتكفل بهذا كله! أن أخرج بحنجرتي إلى فضاء، أن أرفعها بعلو أجساد  
تعلو أجساداً!  
مثل مئمة باردة في حنق الانتظار، تقضم حروفها الأخيرة بمجرد خروجها إلى عتمة  
الثلج.  
من أين لي أن أرفع نشيداً، أو مرثيةً، لمن عبروا الصور من دون أن يتمهلوا... من  
دون أن يطلبوا سداد ما فاتهم قبل انصرام الحياة...  
(بعد توقف) للقصيد وحدها أن تنفرد بهم، من دون أن تقوى بالضرورة على  
إعادتهم إلى حيث كانوا، مثل بكرة فيلم مُستعاد... لا تقوى حتى على تفقد  
أسمائهم، ولا سماع كلماتهم المتقطعة، أو تدوين رغباتهم الأخيرة.  
للقصيد أن تعتذر منهم، أن تُشهر صمتها شهادةً دامغة على أنها أضعف من أن  
تحتمل شهقة واحدة من حنجرة مجزوة من رقبتها.  
لها أن تنصرف إلى مواقيتها، بكل أسف. لا يسعها الاعتذار ممن واعدوها من دون  
أن تأتي، ممن ترقبوها من دون أن تصل.  
القصيد متهالكة... القصيد متهالكة...  
(صمت).

أبكي في جلستي، في وحشتي. أبكي وحدي، وإلا فإن البكاء سيصبح مشهداً،  
ويستدعي متفرجين...  
(بعد توقف) لا يراني أحد غير هذه، من دون أن تمدني بهنديل.  
أخاف مما يتهددني، مما لا أقوى على مواجهته، ولا على رفع صوتي إذ أمر أمامهم  
وأنحني...

كيف أواجههم، ولا يَسْعُنِي اتِّقاء ما قد يصيب نظارتي الطبية بمجرد القيام بأي حركة!  
الشاعر متخاذِلٌ... الشاعر متخاذِلٌ.  
(صمت).

(مجموعة متكلمين باللبسة بيضاء: ما أن يتوافدوا تتساقط من على الشاشة خلفهم  
جبال غليظة).

متكلم ٢: ما هذا الهراء! ما يعني أن القصيدة تتحرَّق في صمتها؟!... (بسخرية) ونحن؟  
ألنا أن نتحرَّق في صمتنا؟

متكلم ٣: ما هذا الهراء! ما يعني أن القصيدة متهاكَّة؟!... (بسخرية) ونحن؟  
ألنا أن نجد أفضل من العكازات لكي نسعى في المسير!  
متكلم ١: الشاعر متخاذِلٌ... هذا أكيد. الكلام أخرس... هذا أكيد.  
هراء بهراء...

متكلم ٤: المهم أن نقول... أن نفعل.

متكلم ١: كيف؟

متكلم ٢: بقدره قادر؟

متكلم ٣: ومن يكون؟

متكلم ٤: (مقاطعاً): لو تسمعون كلاماً آخر... لو تنظرون إلى جهة أخرى...

متكلم ١: ... كيف؟

صوت (في العتمة): مَنْ أجاز لكم بالتذمُّر؟

متكلم ٤: (مغادراً): لعلكم أكثر تخاذلاً منه.

صوت (في العتمة): السكوت، رجاءً.

متكلم ٣: (مغادراً): بات الوقت متأخراً.

صوت (في العتمة، بلهجة امرأة): سكوت. سكوت.

(عتمة).

(شاشة بيضاء، جبل ينزل من أعلاها إلى أسفلها؛ جبل آخر، ثم جبال كثيرة، إلى أن تصبح الشاشة مغطاة تمامًا).

الشاشة بيضاء من جديد. جبل يعلو بِسَطْلٍ من أسفل الشاشة إلى أعلاها.  
جبل يعلو من أسفل الشاشة صوب أعلاها، إلى أن يظهر أن أسفل الجبل معكوف كما لمشقة.  
صراخ ونحيب بأصوات متعدّدة).  
(عتمة).

متكلم ١ : (يخاطب أحدًا لا يقف أمامه): ها أنت تأتي بِدُمِّي، هذه المرة!

متكلم ٢ : (يردُّ على المتكلم الأول): دُمِّي متحرّكة.

متكلم ٣ : لا، إنه خيال الظلّ.

متكلم ٤ : لا، إنه ظلُّ الخيال.

متكلم ٥ : لا، إنه يراوغ ويخاتل... يدور حول نفسه في حلقة.

متكلم ٦ : حلقة فُرْجَة؟

متكلم ١ : لا، حلقة بكاء... طالما أنه أنْهَكَ من فرط البكاء... وحده... في جلسته.  
(عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): ها أنت تأتي بهم إلى حيث تريد، من دون مشورة أحدٍ، من دون استئذان أحد... حتى من الحروف نفسها.

تَسْوُقُهَا سَوْقًا، بسرعة لا يعرفها حتى محرّكُ الدُمِّي.

أتريد أن نَقْنَعَ بأشباحك على أنها نحن؟

أتريد أن تقيم أمام عيوننا ما تظن أنه مرآة مقلوبة؟

(فوق شاشة الحاسوب، يَرِدُ تَبَاعًا):

دعني أكتفي بجلوسي المديد هذا. كلهم يتوافدون إليها من دون دعوة، فلماذا  
 الحاجة إلى الخروج؟  
 نسيْتُ وجهي.  
 نسيْتُ صوتي.  
 حتى كلماتي، التي تخرج للتو من أطراف أصابعي، أتعرفُ عليها بعد وقوعها تحت  
 نظري.  
 (صمت).

لو أنني أدرك، لما أتيتُ بدمي.  
 لو أنني مخطئ لفعلتي، لما أتيتُ بدمي.  
 لو أنني أستبقُ خطأتي، لما أتيتُ بدمي.  
 لو أنني أنتظر القارئ قبل خروج الكتاب، وبعد خروج الكتاب، لما أتيتُ بدمي.  
 (صمت).

يا ليتني ألتقي بمن يتجنَّبني، ويحاذيني...  
 يا ليتني أسهو، أتغافل عنه، فأجده ممسكاً بيدي...  
 أهو دميتي التي تتلفظني أم أنني دميتُه التي تتحرَّق في خلائها؟  
 (صمت).

(يدير كل واحد من الثلاثة الواقفين ظهره للآخر).  
 متكلم ١ : لا، العتبة تضيق بمن يتجهون صوبها... بمجرد الوصول إليها.  
 متكلم ٢ : هذا طبيعي ممن يحبون الاصطفاف.  
 متكلم ٣ : هذا أسلم. أليس كذلك؟  
 متكلم ١ : لا، هذا مدعاةً لانتظار مقيت.

هذا يجعل الأوبئة تنتقل بخفّةٍ في الهواء.  
(عتمة).

(يقف الثلاثة وجهاً في شكل دائري).

متكلم ١ : سُنطبق عليه إن اقترب منّا.

متكلم ٢ : لن ننجح في ذلك؛ لأننا مُنْغَلِقُونَ على أنفسنا، ولن نراه إن أتى.

متكلم ٣ : لا، نحن نثرثر فيما بيننا، ليس إلّا.

متكلم ١ : مع ذلك، ما نقول يصل إلى غيرنا.

متكلم ٢ : قد يصل... قد لا يبلغ أحداً.

متكلم ٣ : المهم أننا نتكلّم.

متكلم ١ : أهذا يعني أننا نحيا؟

متكلم ٢ : كانت هذه الجملة لي.

متكلم ١ : المهم أنها قيلت.

متكلم ٢ : (خارجاً): هذا ما تفعله بي مرة أخرى... في أكثر من مرة.

متكلم ٣ : للأسف، في العربية مثني، والجمع يتعدّى الاثنين دوّمًا.

(عتمة ووقفة).

صوت منفرد (في العتمة): أراهم يتساقطون من نوافذ، من عمارات، لم أزرّها.

من عبارات اعتدتُ عليها في كتب، في مقابِرَ شَفَافَةٍ...

أراهم يتساقطون جماعاتٍ جماعاتٍ وإن فرَادَى.

(يعبرون المساحة فرَادَى، مذعورين...).

عابر ١ : (يُوقِف أحدهم): ما لك مستعجل؟!!

عابر ٢ : (مستمرّاً في مشيه العجول): أنا متأسّف... (بعد تردّد) لا وقت لديّ لكي أنصرف

إلى غير ما ألهو به.



عابر ١ : ما هو؟

عابر ٢ : (متوقِّفًا عن المشي): القتل. القتل. القتل.

(منتظرًا إجابة لم تصل؛ يستكمل): اعذري، إني مشغول للغاية. سأتأخَّر عن نَوْبتي.

عابر ١ : أهي نوبة حراسة؟

عابر ٢ : (مقتربًا منه): من قال هذا؟

عابر ٢ : يستعملون عادةً لَفْظَ: النوبة للحراسة... ألا تعرف؟

عابر ٢ : لا. تعلَّمْتُ اللفظ سماعًا... فرحتُ به... رحتُ أتابهي به أمام زوجتي وجيراني، لَمَّا راحوا يسألوني عن عملي الجديد...

ما كانوا يعرفون معنى اللفظ لما كنتُ أردِّده أمام أسماعهم... لم أكن أستعيده أمامهم... راحوا يردِّدونه بعدي بشيء من التَّهَيُّبِ... لَمَّا تَلَفَّظْتُه أمام جاري في الطابق الثاني لأول مرة، جعلته يشعر كما لو أنه انتزعه مِنِّي انتزاعًا... شعرَ بنوع من الظَّفَر، حتى إنه راح يسرِّبه إلى غيره من الجيران، مَمَّن باتوا يدعونني إلى زيارة بيوتهم من دون أن أتنازل وألبِّيها.

عابر ١ : ولكن، ماذا تحرس؟ كيف تقتل؟

عابر ٢ : لا أعرف (مغادرًا).

عابر ١ : لماذا العَجَلَةُ، إذا؟

عابر ٢ : دائما القتل يتطلب العجلة... هل رأيت قاتلاً يقرأ في كتاب للجاحظ قبل أن يُقَدِّم على القتل؟

عابر ١ : لا، لكنه قد يقرأ في كتابٍ غيره قبل أن يقتل.

عابر ٢ : (مستعيدًا المشي): أنتَ لم ترني. هذا أفضل لك...

(متوقفا) لا أضمن لك أنني سأكون هناك، أنك ستكون هنا، إذ نتوقَّف عن القتل.

(عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): ما أن تتعرّف على صوتي أكون قد انتقلت.  
 ما أن تظنّ أنك قد أمسكت بي، بيدي، ستكتشف أنك أمسكت برملٍ يتساقط من  
 بين أصابعك.  
 ألا ترى كيف أنني أتقلّ بخفّة فراشة؟  
 ألا ترى كيف أتقدّم بصبر سلحفاة، وبتصميمها أيضاً؟  
 كيف لا، وقد حملت بيتها فوق ظهرها!  
 كيف لا، وأنت لا تميّز بين جسدها وبين بيتها!  
 (عتمة).

(أربعة على كراسٍ متباعدة يشخصون إلى الشاشة البيضاء أمامهم):  
 جالس ١ : أستاذي الصور من أمام أم من خلف؟  
 جالس ٢ : لماذا؟  
 جالس ١ : لكي أحسن الجلوس.  
 جالس ٣ : المهم كيف تنعكس...  
 جالس ٤ : المهم أن تأتي.  
 (صور تظاهرات متقطعة من دون أصواتها).  
 (عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): أبوسعي فتح باب الكلام، ورفع الستارة عن الصور؟ أبوسعي استعادة  
 ما جرى مثل فيلم في بكرته؟  
 أبوسعي التقدم ولو خطوة واحدة في هذا المدى البارد؟ ألا أكون أستعيد وأرتّب  
 وأحذف وأضيف من دون رقيب؟  
 بمجرد أن أتلّف بكلمات أولى، تسبقني الغصة إلى الشفتين...  
 (عتمة).

دمية (بهية ذكورية، تتخفف من هيكلها الخارجي، وتستعيد لباسها الاعتيادي):

يده خفيفة؟ من دون شك.

يده مرنة؟ من دون شك.

يده متمرسّة بما تُديره؟ من دون شك.

لكنني، عملياً، بت أنسى يده فوق كتفي... يده وراء يدي اليسرى... بت أستبق

حركاته، في توافق تام، يكاد يُذهلني، أنا نفسي، فكيف بالساهرين!

تخيّل، أنني بكيّت من فرط تأثري بهذا اللقاء الرائع بيني وبينه... دمعتي طافت

من دون أن يراها أحد.

(عتمة).

(خمسة على كراسٍ متباعدة ينتظرون...):

جالس ١: لك أن تعرف أن أحداً يسمعك في جميع الأحوال... أن تدرك أن أحداً ممّن وصلهم

الكلام سيرفعه مثل نشيد بدل حنجرتة، ويكتبه بأطراف أصابعه، مثل حركات

أكيدة.

لك أن تدرك أنهم لا يعرفونك، لكنهم يستقبلون أي قادم بألفة.

جالس ٢: هذا يكفي. لعلّك سرتَ كلاماً لغيرك.

جالس ٣: من أين أتيت بهذا الكلام؟

جالس ٤: (يوزّع عليهم أوراقاً): لا حاجة للمراجعة، ولا للحفظ... يكفي أن تقرأوا ما أعدّ

لكم.

جالس ٥: (مقاطعاً): لو تسمعون كلاماً آخر... لو تنظرون إلى جهة أخرى...

جالس ١: ... كيف؟

جالس ٥: ما تقومون به مضيعة للوقت وللانفعال... أنتم تقفون في المكان عينه الذي يقفون

فيه، مع فارق وحيد: أنتم تشتكون، وهم يتسعدون.

جالس ٢: سبق أن سمعت هذا. أليس كذلك؟

جالس ٥ : ليس المهم ما سمعت... المهم: هل سمعتَ جيداً؟  
(عتمة).

(الأربعة واقفون، وقد وضعوا أوراقاً خلف ظهورهم):

واقف ١ : أتعرف؟ الممثل لا يقوى على إيقاف دوره لكي يُحسِّن التفرُّج على نفسه وهو يلعب.

واقف ٢ : كذلك هو الشاعر إذ يقرأ قصائده: لا يتعرَّف عليها، لا يتذكَّرها... له أفضلية العبور إليها وحسب؛ تباغتته في منحنى أو انعطافة من دون أن يكون مستعداً لذلك.  
صوت (من جهة خافية): هذه الخشبة تنصرف إلى أخشابها من دون مسَّاحٍ أو رقيب.

يحلو لها أن ترشق، أن تبصق، أن تقتل، أن تراود المشاهد عما تخفيه وراء شفتيها المزمومتين، أو بين ساقَيْها المضمومتين.

يحلو لها أن تقول من هنا ما لا تُحسِّنُ قولَه عادةً... ما لا تفعله، أن تقوله من هنا.  
يحلو لها أن تلتئم على خشبها مثل قُبْلَةٍ بين شَفَتَيْ صاحبها.

واقف ٣ : ما أحسنها! لن تفيد أحداً، بمن فيهم حراس الحدود أو قضاة البلاغة.

واقف ٤ : ها أنت تحتاج إلى أن تلعب.

ها أنت تنصب أفخاخاً لفراشة وذبابة وسلحفاة، وتخطبها بألفة القريب.

واقف ١ : لماذا تحتاج إلى أن تضع للحروف أصابع وأقداماً!؟

واقف ٢ : لماذا تريد أن يكون للكلام فعلٌ يَقَعُ وقوعُ الفأس على خشبه!؟

صوت: (من جهة خافية): لأنني أريد أن أمُرَّ مجاذيفَ يدي بين نهديها مثل من يشقُّ موجَ النَّشْوة.  
(عتمة).

(عتمة خفيفة. ثلاثة يتهايمسون).

مسافر ١ : لم يعد أحد منهم لكي يخبرنا بما جرى، بما واجهوه في الرحلة...

مسافر ٢ : كيف لنا أن نحتاط، إذا؟!

مسافر ٣ : المهم أننا رحلنا...

مسافر ١ : (مقاطعاً): ... وهذا البحر المَعْتَم!

صوت ١ : (من جهة خفية): دعوا غيركم ينامون.

صوت ٢ : (من جهة خفية): دعوا غيركم يتكلمون.

(عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): أنا الموقع أدناه، لا أجد ورقة لكي أضع فوقها توقيع.

أنا المتكلم الآن، أندفع وراء ما أقول لعلي أجد من يستقبلني.

أنا الكاتب باسم سري: يتخفى في هيئة قارئ، أو يطمع في استشارة أسئلة.

لا يسعني الاستمرار في قول جميل كهذه... تصرف. قل شيئاً.

(صمت).

أنا خشبة خافية، منصوبة، لا تلبث أن تخرج إلى العلن من دون مخرج؟

أنا حوار من دون ممثلين؟

أنا قصيدة مقلوبة على قفاها؟

(صمت).

ألا أكون لعبة لفظية؟ عقلية؟ ثقافية؟...

(مستدركا): ... لا، طالما أن الحس يدفعها دفعا... طالما أن الحس ينيرها في شرايينها،

فتشع تباعا.

(عتمة).

(اثنان في شكل وجاهي):

واقف ١ : لا أحد يسمع...

واقف ٢ : ... وإن سمع.

واقف ١ : لا أحد يقرأ...

واقف ٢ : ... ولن يقرأ.

واقف ١ : لا أحد يسمع ما سينتهي إلى قوله...

واقف ٢ : ... ولن يسمع غيره.

واقف ١ : لا أحد يُراجع ما سبق أن قاله...

واقف ٢ : ... إذ المُهم هو تَهْرِينُ عضلاتِ الفم، ليس إلّا.

(صمت).

واقف ١ : هل تعرف أنني انقطعتُ عن الذهاب إلى المسرح؟

واقف ٢ : هل تعرف أنني انقطعتُ عن الذهاب إلى السينما؟

واقف ١ : هل تعرف أنني لا أقرأ أي كتاب؟

واقف ٢ : هل تعرف أنني أجد كثيرين يعيدون عليّ ما سبق أن سمعته من غيري؟

(صمت).

واقف ١ : لِمَ لا تذهب إلى المسرح؟

واقف ٢ : لأن ممثلاً نَهَرَنِي في آخر مرة ذهبْتُ فيها إلى صالة عرض.

واقف ١ : وَلِمَ نَهَرَك؟

واقف ٢ : لأنني باشرتُ بالردّ على ما كان يقول.

واقف ١ : كنتَ في عرض... لِمَ كنتَ تريد الردّ؟

واقف ٢ : (غاضباً، مغادراً): ألسنا أحراراً... أليس لنا حقٌّ في التعبير؟

(عتمة).

(أحدهم جالس على كرسي خشبية واطئة، ما أن يقترب منه أحدهم ويقول له جملة، حتى ينهض، ويجيب رافعاً يده اليمنى إلى صدره).

عابر ١ : (يقترب من صاحب الكرسي، يقول جملة، ولا يلبث أن يبتعد): السلام عليكم...  
الجالس (يقوم، مع حركته): ... والحمد لله.

عابر ١ : (يقترب من صاحب الكرسي، يقول جملة، ولا يلبث أن يبتعد): كان عليك أن تصفحه على وجهه ما أن تفوه بتلك العبارة.

الجالس (يقوم، مع حركته): ... والحمد لله.

عابر ١ : (يقترب من صاحب الكرسي، يقول جملة، ولا يلبث أن يبتعد): لعلك لم تنتبه:  
وضّع ورقة المئة دولار في جيبه، لا في صندوق التبرعات.

(يقوم، مع حركته): ... والحمد لله.

عابر ١ : (يقترب من صاحب الكرسي، يقول جملة، ولا يلبث أن يبتعد): ملعونٌ من يقبل  
بما أمر به قاطع الطريق بعد أن سيطر على أول بيت، وأجبر المسنة الصابرة على إعداد الشاي له.

الجالس (وهو يقوم، مع حركته): ... والحمد لله.  
(عتمة).

(شاشة بيضاء، شاشة حاسوب، يظهر فوقها تباعاً اسم الكتاب ومؤلفه واسم دار النشر).

(عتمة ووقفة).

صوت منفرد (في العتمة): يطلبون الظهور بأي ثمن، قبل مُرافقة ملائكة الجنة.

يطلبون صورة. صورة ممتدة لثوان، لدقائق.

يطلبون فيلماً عنهم، ولو أنهم تدبروه بأنفسهم؛ يطلبونه لمجد الصورة وسحرها وبريقها، قبل هذا وذاك ممّن يتوجّهون إليهم بالكلام، ويحدّقون في وجوههم مثل وعيدٍ ماحقٍ.

يطلبون شاشات التلفزيون، إذ هي موجودة لغيرهم.  
يطلبون أن ينتقلوا من مقعد المتفرّج إلى بريق الصورة المنبعثة من الشاشة.  
يريدون أن يكونوا... أن يكونوا في الصورة.

متكلم (ينتظر ظهور الضوء): ما هذا؟! نحن في فيلم هوليودي؟!  
(عتمة).

(شاشة من قماش رقيق، تضاء من الخلف بواسطة مصباح: تتحرك بين الشاشة  
والمصباح دمي شفافة مُلوّنة، يتمّ تحريكها بواسطة حبال وقضبان دقيقة، من دون  
كلام).  
(عتمة).

(ثلاثة مسافرين في عتمة خفيفة).

مسافر ١: أحتاج إلى حبوب للنوم.

مسافر ٢: أحتاج إلى حبوب لمعدتي الخاوية.

مسافر ٣: أحتاج إلى حبوب تنفجر من غيظ، أو من ألم.

صوت ١: (في العتمة): دعوني مستلقيًا في أرجوحة تتهاذى فوق خرائط السفن، وتُهدّدها  
نسيمات الحرية.

صوت ١: (في العتمة): ماذا لو تكتب موضوع إنشاء عن الشَّبَعِ...

(من دون أي جواب) ... دعوني أنام.

(عتمة).

(واقفون ثلاثة وجاهًا).

واقف ١ : سأقولها مباشرة: يعجبني المثنى.



يا له من حيلة لكي نقول معًا، لكي نكون معًا، من دون اجتماع أو وفاق أو حتى تجاوز.

(بعد تردّد) أنا فيكَ، أنا منك، أنا معك، لكي أكون أنت.

واقف ٢ : أنكفي، نحن الثلاثة، لكي نقول: نحن؟ أنكفي، نحن، لكي نقوى على تسخير الجميع والكل والكلمات... على تسخيرها لنا؟

واقف ٣ : كيف نكون الكل والجميع والكلمات فيما نتوجّه إلى غيرنا؟

واقف ١ : أيقونون إذّاك خارج النّحن هذه؟

واقف ٢ : كيف نقول: نحن، ونعني أننا وأنهم في سويّة جملة واحدة؟!

واقف ٣ : اللغة مرآة: خادمة، ناقلة، غشّاشة، مهما قيل عن أمانتها.

لا تُباع، لا تُشترى، لدرجة أنها لا تعرف المساومة ولا العائدات.

لا تخدم أحدًا، لا تتواني عن التمرين أمام أشجع ضيوفها.

يا لكرمها غير المتاح لأحد!

واقف ١ : هذا يكفي!

واقف ٢ : لك أن تطردهم بمجرد أن تفتح صفحة بيضاء.

واقف ٣ : إنهم يستقبلونك بمجرد أن تتلفّظ بأي كلمة... فكيف إن وضعت كرسيًا، أو طلبت من طبّاخ أن يقف وراء مريلته!  
(صمت).

عابر ١ : (يستوقف عابرًا): مسيو نوبة، كيف الحال؟

مسيو نوبة (يتوقّف): من أين تعرف هذا اللفظ؟

عابر ١ : أهو اسمك فعلاً؟

مسيو نوبة : ...

عابر ١ : ظننت أنني أطلّقتك عليك من دون معرفة أحد، من دون معرفتك حتى.

مسيو نوبة : أتعرف؟ الجديد الذي دخل حياتي، هو هذا اللفظ.

(شارحا) إنه لفظ عجيب، مُدهِشٌ... هناك ألفاظٌ تسحرنِي... ألا يحدث لك أن تتعلّقَ بالفاظٍ من دون أن تعرف معناها بالضرورة؟  
أنا أتباهى بهذه الألفاظ العجائبية... أكاد أن أُغري بها نساء لو لم يكن الشرع قد نهاني عن ذلك... لذلك، أكتفي من هذه الألفاظ بنصلها اللامع: تدعو الآخرين إلى الخشية منها، مني، من دون أن أشهرها أبداً.

مسيو نوبة : إذا؟

مسيو نوبة : أنت تلهو بها... هذا لا يجوز. إن طلبت استعمالها، فلك أن تقولها لغيري، لما أمرُ بجانبكما، بصوت خفيض يدعو إلى الاحترام... إلى الخوف بالأحرى.  
(ممسكاً برقبته، قبل أن ينصرف): أفهمت، مسيو أبله؟  
(عتمة).

(يتمشيان).

عابر ١ : أرغب في أن أتلَفَظَ بأسماء، بكلمات، بأفعال، لا تظهر في جريدة أو شاشة، وإنما ممّا يتهامسونه في الخفاء...  
عابر ٢ : مثل مسيو نوبة؟  
عابر ١ : أتعرفه؟  
عابر ٢ : كيف لك أن تتعرّفَ عليها، ثم تنقلها؟  
عابر ١ : لا أعرفها، لكنني أشعر بحصولها...  
(بعد توقف) بمجرد حدوث الفعل في الكلمات، فهذا يعني أنه قابل للحدوث...  
هذا يعني أنه حدث من دون ريبة، من دون حاجة إلى التفقّد، إلى الفحص.  
(عتمة).

(اثنان في شكل وجاهيّ):

عابر ١ : أتعرف اللفظ: تتلمّظ؟  
عابر ٢ : لا. ما يعني؟

عابِر ١ : أتعرف هند رستم؟ هلأ رأيت أحد أفلامها؟

عابِر ٢ : نعم.

عابِر ١ : هذا الفعل مُخَصَّصٌ لها... لم يستعمله أحد منذ أن اختفت عن الشاشة.

عابِر ٢ : ألا يُناسِبُ هيفاء وهبي على سبيل المثال؟

عابِر ١ : لا يناسب أحداً منهنَّ، اليوم، طالما أنهنَّ يتلوَّين مُدركاتٍ أن المتفرِّجين يكتفون بالبصبة.

(عتمة).

صوت منفرد (في العتمة): تجمعنا الصورة، ونختفي معها.

من سيعود إليها إذ نغيب؟

من سيحفظ أسماءنا، ولنا أسماء نتبناها في عمر الرشد؟

ألهذا تراهم لا يبتئونها أبداً؟ ألا يُفقدون بذلك الحاجة إليها، حاجتي إليها؟

لعلهم أقوىاء في تغييبي ما شاؤوا.

(صمت).

أنشهد تشييع الكلمات بعد افتراق المتظاهرين؟

ما يبقى منهم، ومن يبقى منهم في استعادة لما حصل... لكنهم ينتظرون شاشة الصور لكي يتحقَّقوا ممَّا قاموا به، ممَّا فعلوه.

المهم أن تظهر، لا أن تقول. إذ تكون بذلك موجوداً، بارزاً، معترفاً به بالتالي، وإلا فإنك ستكون في البهمة...

يا لجمال هذا اللفظ: البُهْمَة. التلُفْظ به يدلُّ عليه. (بعد تردُّد) لا، بل هو أجمل منها.

(صمت).

تسألني أين تبدأ التظاهر...  
 (متوقِّفًا، مستكملاً) تبدأ حيث أضع قدمي.  
 (بعد توقُّفٍ) يلتقون في الصراخ. لكنهم ينصرفون فرادى إلى تدبير نعوشهم.  
 فرادى أبدًا، من دون وهم بقاء، أو هتاف مشترك، أو وقوع العين على العين.  
 (مستكملاً) أقصى ما ترسمه أصابعي، إذ تصل إلى أطراف أصابع أخرى في صف  
 التظاهرة، هو مسافة الخلاء الذي يمتدُّ بيننا.  
 مجاورة، من دون شك. لا مشاركة، من دون شك.  
 (صمت).

(عابران، وقد أدار كل واحد ظهره للآخر).  
 عابر ١ : يا إلهي، ما سأفعل ما أن أخرج من هذا الكلام إلى غير رجعة؟  
 عابر ٢ : الأمر بسيط: تعرفه وتُنكره.  
 عابر ١ : ما هو؟  
 عابر ٢ : سبق أن فعلته.  
 عابر ١ : ما هو؟  
 عابر ٢ : أن تعمل في خدمة غيره.  
 عابر ١ : ألهذا قلتَ عني إنني مناوِرٌ ومُختالٌ؟  
 (صمت).

(يستكملان حوارهما وجاهيًا، بعد أن التحق بهما ثالث).  
 عابر ١ : أَتَظُنُّ أن نيتشه، لما قال قَوْلَتَه، وقَّعَ، على كتابه هذا، توقيعَ الطبيب الشرعي لما  
 يتشبَّه من موت أحدهم، فيشرِّع الغيابَ بختمٍ قانونيٍّ؟

عابـر ٢ : ألا تعرف أنهم كانوا يتناقشون في أمور يمتنعون عن التحدث بها أمام العامة خَشِيَّةَ فَهْمِهِمُ الخاطئي لها، ولما يُجيزه الفكر لنفسه في مسائله، فيما لا تقوى العامة على تصوُّره، ولا على تَقَبُّله؟

عابـر ١ : ألا تظنُّ أنهم أبقوا مناقشة هذه المسائل فيما بينهم، بحيث إن القضاة الجُدَدَ سَفَّهوا القُدَمَاءَ، واتَّخذوا مقاعدهم بدلاً منهم، وحصروا المناقشة فيهم، وهي عدم المناقشة وإقعاً، وجعلوا النقاش مُمَكِّناً بمستوى ما حصلوه من ثقافة ومُدْرَكَاتٍ؟

عابـر ٣ : عابـر ٣: ألا تظنُّ...؟ ألا تظنُّ...؟

كفانا ظنوناً. نريد حقائق. نريد حقائق.

لَمْ تَقُلْ قَوْلَهُ نيتشه؟

عابـر ١ : أخشى من وقوع السيف على رقبتني.

عابـر ٢ : لكنك لن تقولها، بل صوت من الأصوات.

عابـر ١ : هذا لا يهمُّ أمام السيِّف... لعلك نسيْتَ كذلك أن الناشر سيرفض نشرها حتى إن كتبتها.

عابـر ٣ : (ساخراً): ألا تظنُّ...؟ ألا تظنُّ...؟

أنا أظنُّ أنَّكَ جبانٌ.

عابـر ١ : أما قرأتَ ابن العربي إذ كتب: «الهدى هو أن يهتدي الإنسان إلى الحيرة»؟

عابـر ٣ : لا، هذا مدعاةٌ لأكثر من جِلْدَةٍ، لا للتفكير.

(عراك بالأيدي وسباب، من دون كلام).

(عتمة).

(عابران، وهما يتمشيان).

عابـر ١ : رأيتُ ذلك في الأفلام من دون شكٍّ... رأيته هنا وهناك، أشبه بعلامة دولية، من دون أن تردِّ في كتاب أو في دليل شرطة... هكذا تحلُّ صورة الفيلم بدَلِّ وسائل الإيضاح.

عابـر ٢ : عَمَّ تتكلم؟

عابـر ١ : ما تريدين أن أقوله في ثلاث كلمات رسمَ مسار حياتي منذ سنوات وسنوات...

(يبقي العابر ٢ صامتًا) رأيتَ ذلك من دون شكٍّ لما يقتاد الشرطي أحدهم في سيارته... ماذا يفعل به؟ (يبقي العابر ٢ صامتًا)... يضع يده على رأسه وينزله في المقعد الخلفي من السيارة... ألا ترى قُوَّةَ هذه الصورة؟ قوة معناها؟ (يبقي العابر ٢ صامتًا). أتعرف أن هذا لا يعني شيئًا، لأن المعتقل مُشْتَبَهٌ به فقط. لكن وضعَ اليد على رأسه أكثر من رمزي، كما لو أن هالة البراءة قد سقطت عنه، فدخل في دائرة الشك.

هذا ما ظننتُ، لما أنزلوني من غرفتي فوق السطح... أمسكني بيدي اليمنى، ونزل بي الدرجات كلها... لم يضع صاحب اللباس المدني يده على رأسي، حتى حين بلغنا السيارة، التي كانت تنتظرنا مع اثنين من جماعته... فتح بوابة المقعد الخلفي، ودفعني دفعًا إليها، ثم أرفقها بشتيمة أستحي من ترددها على مسامعك... تيقنْتُ عندها أن سمة البراءة سقطت مني من دون امتحان، وأنني أكثر من مشبوهٍ، وأنني علقتُ في ورطة لا فكاك منها إلا من الذين تدبروا نزولي إلى هذا العالم السفلي. (عتمة).

عابر (وحده) : لا أحد يسألني لكي أجيب.

لهذا أنا أتكلّم من دون دعوة من أحد... من دون انتظار أحد... في بدايات الكلام أو في مُنتهاه.

لا يسأل أحد إن غضبتُ أو حزنتُ أو سكّْتُ أو غبْتُ... قد يجيب إن طُلبَ منه، وأنا أقع تحت أنظاره، دومًا، هنا وهناك... قد يجيب إن سُئِلَ عني: إنه من الخاسرين الأكيدين. (عتمة).

(عابر يستوقف عابراً).

عابـر ١ : ما أفعل إن انزلتُ قدمي على السُّلم؟

عابِر ٢ : ألا يكون هَاتِفُكَ النِّقَالَ مَعَكَ؟

عابِر ١ : لا.

عابِر ٢ : اتَّصَلْ، وَأَخْبِرْ مِنْ تَشَاءُ بِمَا حَصَلَ لَكَ.

عابِر ١ : أما سمعتَ؟ لا أملك هَاتِفًا نَقَالًا.

عابِر ٢ : فايس بوك؟... يوتيوب؟... تويتر؟...

عابِر ١ : (مقاطِعًا): ... لا هذه، ولا تلك.

عابِر ٢ : (مغادرًا): هل أنتَ طبيعيٌّ؟

عابِر ١ : لِحُسْنِ الحِظِّ، لم أنزل على السُّلَمِ.

(عُتْمَة).

متكلم (وحده): (وحده): ها إني أَتَنَفَّسُ (يقوم بالحركة المناسبة)...

ها إني أضعُ رِجْلًا على رِجْلٍ (يقوم بالحركة المناسبة)...

ها إني لا أحزن ولا أفرح بما يجول في خاطري...

ها إني هادئ مثل حِصَاةٍ. أختفي في ظَنِّي مثل حِصَاةٍ...

أأكون قد اختفيت من دون علم أحد؟ أأكون نسيْتُ كوني عابِرًا، نسمة خفيفة في  
ممرَّات الكلام؟

(عُتْمَة).

عابِر ١ : (عابِر ١ يقود العابِر ٢ طلبًا لمحادثة هامسة بينهما):

عابِر ٢ : ماذا تفعل؟!؟

عابِر ١ : ألا ترى أنهم خدعونا مرَّةً جديدة؟!؟

عابِر ٢ : أعود وأكرِّر: ماذا فعلت؟!؟ ماذا تفعل؟!؟

عابِر ١ : أخشى من أنهم سيسمعوننا...

عابِر ٢ : وهل هناك ما نخفيه؟!؟

عابِر ١ : ألا ترى أنها لعبة؟!... إنهم يتلاعبون بنا.

عابِر ٢ : ونحن، أين كُنَّا لما كانوا يُخطِّطون؟

عابِر ١ : ...

عابِر ٢ : ونحن، ماذا كُنَّا نفعل حين كانوا يُعدُّون العُدَّة قبل أن يديروا المحرَّكات؟

عابِر ١ : ...

عابِر ٢ : ألا نكون، في أحسن الأحوال، غافلين يشتكون؟

عابِر ١ : ...

(عتمة).

(ثلاثة مسافرين في عتمة خفيفة):

مسافر ١ : (ممسكًا بكتاب): أنا أتعلَّم الإنكليزية، وأنت؟

مسافر ٢ : أحرقتُ جواز سفري وبطاقة هويتي وعقد زواجي وفاتورة الكهرباء. وأنت؟

مسافر ٣ : أنا أصلي... أنا أخاف.

مسافر ٢ : أنا أتعلَّم الصينية من دون مُعلِّم.

مسافر ١ : الصينيون كُثُرٌ، لكنهم لا ينتشرون.

مسافر ٢ : سينتشرون مثل غيرهم لما سيتفوقون... إذَاكَ أَكون في استقبالهم.

مسافر ١ : (مغادرًا): هل تقوى هذه السفينة على انتظارهم؟

مسافر ٢ : (مغادرًا): متى أنام في فراش من دون جواز سفر؟

مسافر ٣ : (وحده): الغريب أنني لم أُصَبْ بِدُوار البحر...

الغريب أنني دُخْتُ إثر دوران الجُمَلِ الفصيحة بعد الجُمَلِ الفصيحة... مع أنني  
أُمِّي.

(عتمة).



(متكلمون في البسة متشابهة، مُغَفَّلَةٌ يتردون فوقها ألبسة أخرى تُعطيهم هبات متباينةً ومحددةً):

متكلم ١ : أقول إنني أضرب...

متكلم ٢ : (مقاطعاً): ... لا أنا الذي أقول...

أقول إنني ألعب أو أخاتلُ أو أتسللُ بينَ بين، أو أتلمل وراء ما يخفيني.  
أقول إنني أعيش إذ أقول.

هي بيتي...

متكلم ١ : (مقاطعاً): هذه سمعتها.

متكلم ٢ : لا، أنا قرأتها...

هل سمعت؟ هل قرأت؟ هل عرفت أن لهذا البيت شُرفاتٍ ونوافذَ كثيرة، وأنها تفضي إلى خارجه من دون مشقةٍ؟  
(صمت).

متكلم (وحده): (وحده): لا تَخَفُ من الكلمة، ولا من شيوعها...

ليست سوى خُرْدَةٍ... تُحَدِّثُ طينياً إذ تَقَعُ.  
المهم ألا تنتشر الصورة.

الصورة عَيْنَةُ الوجود، ودلالة الكينونة...

حتى رجال الدين يفكرون في استبدال العبارة القديمة: «في البدء كان الكلمة...».  
حتى الفلاسفة، من أرسطو حتى هايدغر، يفكرون في تبديل أسلوب التعبير،  
أسلوب الحضور.  
(صمت).

(مستعيداً الكلام): الكلام حسَّاسٌ، قد يتضايق منّا إن لم نُحَسِّنِ المَشْيَ معه، أو  
النوم إلى جانبه.

قد يدعوننا إلى مائدة هو طَبَقُها، لو أحسنَّا رميَ الشُّباكِ، وإلا فإنه سيكون مثل  
سمكٍ خارجِ بَحْرِهِ: مَيِّتٌ وجافٌ.  
كانت الصور تأتي من خلف... الآن صارت تأتي من قُدَّامِ.  
(عُتْمَة).

(خمسة يصلون تباعًا).

عـابر ١ : هناك قرعٌ على الحيطان (قرع على حيطان)... آن لي أن أصمت.  
عـابر ٢ : لعلها الدُّمَى... آن لي أن أبكي... على مَبْعَدَةٍ منكم.  
عـابر ٣ : أريد أن أبقى شاهدًا على الأقلِّ.  
عـابر ٤ : هل يمكنني البقاء غاضِبًا وَيَقْظًا؟  
(صمت).

عـابر ٥ : (مقاطِعًا): لو تسمعون كلامًا آخر... لو تنظرون إلى جهة أخرى...  
(لا يجيبه أحد).

(متابعًا) ما تقومون به مضیعة للوقت وللانفعال... أنتم تقفون في المكان عينه  
الذي يقفون فيه، مع فارق وحيد: أنتم تشتكون، وهم يتسَيِّدون.  
(قهقهة عالية؛ يتوقَّفون، يبحثون عن مصدر القهقهة، ثم يتابعون).  
تقول وتقول ما سبق أن قلت... لعلك نسيت أن هذا لا يعدو أن يكون تدافعاتٍ  
في هواء...

عـابر ٣ : لعلك تناسيتَ أننا عابرون في مَمَرٍ استعارَةٍ...

عـابر ٥ : (مقاطِعًا): ... وما جرى؟

عـابر ٢ : جرى في جملة متشعِّبَةٍ.

عـابر ٥ : والدُّمَى؟

عـابر ١ : تشبيه مَقِيَّتْ.

(قهقهة عالية، متعاطفة؛ يتوقفون، يبحثون عن مصدر القهقهة، ثم يتابعون).

عابر ٥ : والقصيدة؟

عابر ٣ : تجري... تجري...

عابر ٤ : (وهو يخرج): ... من دوننا.

عابر ٢ : (وهو يخرج): ... من دوننا.

عابر ١ : (وهو يخرج): ... من دوننا.

عابر ٣ : (وهو يخرج): ... من دوننا.

عابر ٥ : (يخرج كسير الرأس).

(قهقهة عالية، متتابعة).

(عتمة تامة)

## للشاعر

للشاعر اللبناني شربل داغر أكثر من ستين كتاباً، بالعربية والفرنسية. كتب الشعر وترجمه ودرسه، وكتب الرواية وترجمها ودرسها، وأصدر كتباً مرجعية في الفن الإسلامي والفن العربي الحديث.

من مجددي قصيدة النثر في العالم العربي؛ عدّه نقاد وشعراء شاعر «ما بعد قصيدة النثر»، إذ قامت قصيدته على تشكيلات بنائية متجددة، في فضاءات ومدارات تجمع بين المرئي والتأملي، وبين التخيلي والمحسوس، وبين تقلب المعاني وتصفح الوجود، وبين اللغة والجسد، حيث تنتهي القصيدة إلى أن تكون موضوعاً للقصيدة.

له ما يزيد على عشر مجموعات شعرية، وخمس مختارات شعرية، وأنطولوجيتان بالفرنسية والإلمانية، وله مجموعات قصائد مترجمة إلى الفرنسية والإنكليزية والألمانية والفارسية والإيطالية واليابانية وغيرها. كما اختيرت قصائد من شعره في أكثر من أنطولوجية، عربية وأجنبية، عن الشعر العربي الحديث، بين فرنسية وألمانية وإنكليزية (الولايات المتحدة الأمريكية) وغيرها.

ممن ترجمه : جورج دورليان، فينوس خوري- غاتا، نعيم أبي راشد، كريستين زهير، سوزان اللقاني، كاميليو غوميز- ريفز، بن بناني، باسل سمارة، سيمون فتال، عيسى بلاطة، خالد المعالي، سليمان توفيق، سرجون كرم، سبستيان هاينه وموسى بيدج وغيرهم. وكان شعره موضع درس في بحوث محكمة، عربية وأجنبية، وفي أطروحات جامعية.

اعتنى بدرس شعره أكثر من ناقد، ومنهم الدكتور مصطفى الكيلاني الذي أصدر بالعربية كتاباً دراسياً عن شعره: «شربل داغر: الرغبة في القصيدة» (٢٠٠٧). كما اعتنى فنانون بشعره، ونظموا حوله معارض تشكيلية، وأصدروا عنها كتباً شعرية- فنية، ومنها معرض جامع لسبعة فنانون عرب في «المتحف الأردني للفنون الجميلة» (٢٠٠٣). كما ترجم داغر لعدد من الشعراء: رامبو، ريلكه، ليوبولد سيدر سنغور، أندريه شديد؛ وأعدّ وترجم أنطولوجية في الشعر الزنجي- الإفريقي المكتوب بالفرنسية.

## في الشعر :

- «فُتات البياض»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.
- «رشم»، دار الورد للنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- «تخت شرقي»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-عمّان، ٢٠٠٠.
- «حاطب ليل»، دار النهار للنشر، بيروت، ٢٠٠١.
- «إعراباً لشكل»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-عمّان، ٢٠٠٤.
- «لا تبحث عن معنى لعله يلقاك»، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.
- «ترانزيت»، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- «القصيدة لمن يشتهيها»، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠.
- «على طرف لساني»، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.
- «دُمى فاجرة»، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٦.
- «يا حياة، أتوق إليك، فتجيبني: أتوق إليك»، منشورات المتوسط، ميلانو (إيطاليا)، ٢٠١٨.

## أنطولوجيات ومختارات بالعربية والأجنبية:

صدرت لداغر ترجمات من شعره في أكثر من لغة (الفرنسية، والإنكليزية، والألمانية، والفارسية، والإيطالية، واليابانية)، وفي مختارات وأنطولوجيات عن كبار الشعراء العرب الحديثين. كما صدرت عنه أكثر من مختارات في أكثر من بلد عربي، منها :

- «غيري بصفة كوني» (مختارات)، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.
- «تلدني كلماتي» (مختارات)، دار محمد علي الحامي، صفاقس (تونس)، ٢٠٠٧.
- «وليمة قمر» (مختارات)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩.
- «لا يصل الكلام، بل يسير» (مختارات)، دار ميم للنشر، الجزائر، ٢٠١٣.

كما صدرت عنه أنطولوجيتان، بالفرنسية والألمانية:

«Obscurités aux aguets» (traduit par: dr. Naoum Abi Rached), l'

Harmatan, Paris, 2005

«Mein andererleib» ( Übersetzt von Dr. SarjounKaram und Dr.

Sebastian Heine, Shaker Media, Aachen, 2016.

### في ترجمة الشعر والشعراء:

- «العابر الهائل بنعال من ريح» (ترجمة رسائل رامبو إلى العربية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥؛ طبعة ثانية، ٢٠٠٥، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس)، 2014؛ طبعة ثالثة، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان.

- «دم أسود» (مختارات شعرية إفريقية)، دار المحيط، أصيلة (المغرب)، ١٩٨٩.

- «أنطولوجيا الشعر الزنجي- الإفريقي»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- عمان، ١٩٩٨.

- «الوصية» لريلكه، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، ٢٠٠١.

- «شملُ تشابهٍ ضائع» (مختارات من شعر أندريه شديد)، سلسلة «إبداعات عالمية»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١.

- «ليوبولد سیدار سنغور: طام- طام زنجي»، سلسلة «إبداعات عالمية»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٢.

### كتب ومعارض وعروض ابتداءً من شعره:

- جمال عبد الرحيم: «رشم» (كتاب فني- شعري من ١٢ محفورة، بالعربية والفرنسية والإنكليزية)، البحرين، ٢٠٠٠.

- محمد فتحي أبو النجا: «شغف» (كتاب فني- شعري مصنوع باليد، بمواد مختلفة)، الإسكندرية، ٢٠٠١.

- وجدان (الأردن)، وإيتيل عدنان وغادة جمال (لبنان)، وجمال عبد الرحيم (البحرين)، وهناء مال الله (العراق)، ومحمد أبو النجا (مصر) وفيصل السمرة (السعودية): «تواشجات»، المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة، عمان، ٢٠٠٣.

- سالم اللبان: «عتبات للرحيل... وللوصول أيضاً» (سينوغرافيا شعرية)، تونس، ٢٠٠٦.

- أحمد جاريد: «ما يجمعني بنجمي البعيد» (كتاب من المحفورات الفنية، بالفرنسية والعربية)، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.

- محمد العامري: «الغبطة بالكلام والمتعة في التصوير»، (٣٤ عملاً بين لوحة ومحفورة)، عمان، ٢٠١٠.

### في درس الشعر:

- «التقاليد الشفوية العربية» (بالفرنسية)، منظمة اليونسكو، باريس، ١٩٨٥.

- «الشعرية العربية الحديثة: تحليل نصي»، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨؛ طبعة ثانية، دار مختارات للنشر، عمان، ٢٠٠٦؛ طبعة ثالثة، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨.

- «العربية والتمدن: في اشتباه العلاقات بين النهضة والمثاقفة والحداثة»، دار النهار للنشر، بيروت، مع منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٩.

- «الشعر العربي الحديث: القصيدة العصرية»، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٢.

- «الشعر العربي الحديث: كيان النص»، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٤.

- «الشعر العربي الحديث: القصيدة المنثورة»، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٥.

- «الشعر العربي الحديث: قصيدة النثر»، منتدى المعارف، بيروت، ٢٠١٨.

- «القصيدة والزمن: الخروج من نظام الواحدية التمامية»، دار رؤية للنشر، القاهرة، ٢٠١٥.

- (إشراف) «سنغور: صاحب النزعة الإنسانية» (بالفرنسية)، دار إيديفرا، باريس، ١٩٩١.
- (إشراف) «العربية في لبنان»، منشورات جامعة البلمند، لبنان، ١٩٩٩.
- (إشراف) «عصر النهضة: مقدمات ليبرالية للحدثة»، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
- (إشراف) «برفقة جرجي زيدان: النهضة في عهدة الحاضر»، منشورات جامعة البلمند، ٢٠١٥.